الفكر اللهجى
عند أبى العلاء المعري
(ت ٤٤٩هـ)

دكتور

ممدوح إبراهيم محمود محمد

مدرس أصول اللغة

بكلية اللغة العربية بأسيوط

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذى أنعم فأغفلت الشكر ، وأحسن فأسأت ،حمدا يوفى على كل عدد جال فى ضمير ، ونطق به ناطق وأشار إليه مشير ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه الغر الميامين .

وبعـــــد ،،،

فقد شهدت القرون الهجرية الثلاثة (الثالث والرابع والخامس) أوج ازدهـــار الثقافة والحضارة الإسلامية ، وبلغت فيها الحياة العلمية والأدبية شأوا عظيماً ــ على ما ألم بالأمة العربية والإسلامية فى النصف الثاني من القرن الرابع الهجري وما تلاه من ضـــعف وانحلال سياسي وتصدع وانهيار الدويلات الفتية التى قامـــت فى الأقطـــار الإســـلامية ــ فاتسعت حركة الترجمة ، وكثر المترجمون والمؤلفون والدارسون فى العلوم المختلفة الـــتى لم تقتصر على ما يتصل بالدين كعلوم القرآن والحديث والفقه والعقيدة والتصـــوف ، بـــل اهتمت بالفروع الأخرى كالفلسفة والمنطق ، والرياضيات ، وعلم الفلـــك والتنجـــيم ، والجغرافيا والتاريخ ... إلخ ، وتربع أعلام على قمم عدد من هذه الفـــروع ، واحتشـــدا المبرزون والرواد الذين خلدت أسماؤهم فى فروع العلوم اللغوية والأدبيـــة فى الشـــعر وفى النـــثر الفني والأدب ، وفى البلاغة والنقد ، وفى النحو وعلم اللغة .

وكان أبو العلاء المعري هو : أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن ســـليمان ... بن قضاعة ، المولود سنة ٣٦٣هـــ ، والمتوفى سنة ٤٤٩هـــ [١] ، أحد الأعلام الذين لمعت أسماؤهم فى تلك الفترة ، فقد تشبع بروح عصره ، وتمثـــل ثقافاته ، وانعكس أثـــر ذلك على نتاجه ، إذ كان عصراً يجمع فيه اللغوي ثقافات متعددة وشاملة ، فقد كانـــت عادة أهل الشام ــ (وهي بيئته التى قضى فيها الشطر الأكـــبر من حـــياته إذ قضى معظم حياته فى حلب) ــ والعراق ــ (وقد انتقل إليها طوراً من حياته ثم عاد إلى حلـــب) ــ والبلاد التى غلبت فيها اللغة العربية لعهد أبى العلاء أن يبدأ الدارسون فيها بدرس علـــوم

---

[١] تاريخ بغداد ٤ / ٢٤٠ ، والبداية والنهاية ١٢ / ٧٢ .

اللسان والدين ، حتى إذا بلغوا من ذلك ما أرادوا سما من شاء منهم إلى درس ما أحب من العلوم العقلية والفلسفية [١] ، وهو ما وضح آثره فى ثقافة أبى العلاء وفكره عامة ، وإن كانت العلوم اللغوية هي أظهر العلوم التى درسها وأنفق أيام عزلته فى درسها للناس .

وهو وإن أفاد فى مؤلفاته على كثرتها وتنوعها من مؤلفات سابقيه إلا أنه قد تفوق على كثير منهم إذ تشهد كلماته وجمله وعباراته التى ظهرت فى ثوب قشيب ، وصورة بليغة ، لاسيما فى كتابه (الفصول والغايات فى تمجيد الله والمواعظ) على مدى حرصه فيها على التناسب بين اللفظ والجرس ، أو فى الوزن والبناء ، وعلى مراعاة المحسنات البديعية مما يكسبها جمالاً فى اللفظ وعذوبة فى السمع .

لذا أردت أن أكتب بحثاً عن المعري أبحث فيه عن فكره اللهجي ومدى تأثره بالسابقين وما أضافه إليهم ، وكان حديثه (رحمه الله) عن اللهجات مقصوداً لذاته تارة إذ نراه يخترع الوسائل ويلتمس السبل المتنوعة لعرض هذه اللهجات ، وتارة ثانية نجده يوردها وكأنها وسيلة تلتمس لغيرها من الغايات . والوصول إلى فكره اللهجي أمر مجهد لتناثره فى مؤلفاته على كثرتها من ناحية ، ولعدم اكتمال هذا الفكر فى موضع واحد ، بل تجده يشير إلى اللهجة فى مؤلف دون أن ينسبها ، على حين ينسبها ويعلل لها أحياناً فى مؤلف آخر .

وقد اقتضت الدراسة أن يأتي فى مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة فصول ، وخاتمة ، وفهرس .

أما المقدمة : ففيها تحدثت عن أهمية الموضوع ، وسبب اختياره .

وفى التمهيد : تحدثت عن الدراسات اللهجية عند العرب قبل المعري وموقفه منها.

وأما الفصول الثلاثة فهي كالتالي :

الفصل الأول : الأصوات وطرائق الأداء فى البيئات العربية عند المعري.

ويشتمل على خمسة مباحث كالتالى :

المبحث الأول : الإبدال.

---

[١] تجديد ذكرى أبى العلاء ــ د/ طه حسين ص١١٥ .

المبحث الثـــانى : الإظهـــار والإدغـــام.

المبحث الثالث : الهمـــز والتسهـــيل.

المبحث الرابع : الـــوقف.

المبحث الخامس : سلب الحركة ومطلها.

الفصل الثاني : الخصائص الصرفية للبيئات العربية عند المعري .

ويشتمل على أربعة مباحث كالتالى :

المبحث الأول : التصحيـــح والإعـــلال.

المبحث الثانى : اختلاف البنية فى البيئات العربية.

المبحث الثالث : المقصـــور والممدود.

المبحث الرابع : التذكـــير والتأنيث.

الفصل الثالث : الخصائص النحوية للبيئات العربية عند المعري .

ويشتمل على مبحثين هما :

المبحث الأول : الخصائص التركيبية فى البيئات العربية .

المبحث الثانى : الأدوات النحوية

أما الخاتمة ففيها ذكرت أهم النتائج التى توصل إليها البحث.

وأما الفهرس : فهو للمصادر والمراجع ، ولموضوعات البحث .

والله ـــ سبحانه وتعالى ـــ أسأل أن أكون قد وفقت فيما صبوت إليه إنه نعم المـــولى ونعم النصير .

الباحـــث

التمهيـــــد

الفكر اللهجي قبل المعري وموقفه منه

تعد اللهجات العربية هي الدعائم الأساسية التي قامت عليها العربية الفصـــحى فالفصحى ليست لغة قريش ، ولا لغة غيرها من القبائل العربية ، وإنما هي مزيج من لهجات شتى ، حدث من احتكاك كثير من أفراد هذه القبائل بعضهم بـــبعض في مواســـم الحـــج والتجارة ، والأسواق الأدبية ، فنتج عنه هذا الاحتكاك بين القبائل المختلفة ما عرف باسم اللغة الفصحى ، والتي قد نمت وازدهرت بعد مجيء الإسلام ونزول القرآن الكريم بها .

ولاأدل على أهمية دراسة اللهجات عندهم من أنها تعد أصلا مـــن الأصـــول التاريخية التى أسهمت فى تكوين الفصحى ، بل هى خيرمعين لها ، إذ هى على كثرتها المنبع الذى استقى منه العلماء قواعد لغتهم ، وكانت خير معين لأرباب الفصاحة والبيان علـــى اختلاف فنونهم ، وما كانت خصائص الفصحى وسماتها إلا مستعارة من اللـــهجات الـــتى تندرج تحتها ٠، فكثير من ميراث أمتنا يكمن فى دراسة لهجات القبائل العربية لما لها مـــن اتصال وثيق بعلوم القرآن وقراءاته ٠

وقد هيأ الله لهذه الأمة علماء أجلاء حفظوا لنا كثيرا من آثار هـــذه اللـــهجات وخصائصها فذكروها في مؤلفاتهم ، وإن أغفلوا كثيراً منها ؛ إلا أنه لم يكن حديثهم عنـــها مقصودا لذاته ،وإنما كان وسيلة تلتمس لتخريج شئ مخالف للغة العرب وتعليله ، ســـواء ورد ذلك فى قراءة قرآنية ، أو فى حديث نبوي ، أوفى بيت شعري ؛ لهذا أجاز بعضـــهم الاحتجاج بها جميعا ، فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ وإن كان غير ما جاء به خيرا منه [1]٠

لذا فإنه يمكننا القول أنه رغم انتشار الفصحى بين العرب كافة لم تستطع القبائل العربية التخلص من لهجاتها ، فكانت لسان أبنائها في بيئاتهم المتعددة ، كل حسب ما اعتاد عليه نطقه . وكان ذلك من أهم أسباب نزول القرآن الكريم بقراءات عدة ؛ إذ هي الوثيقة التاريخية والمرآة الصادقة التي كانت تعكس الواقع اللغوي الذي كان سائدا في شبه الجزيرة

---

[1] الخصائص ١٢/٢ ،١٤

العربية قبل الإسلام ، لاسيما وأن من العرب من لم يستطع مفارقة ما اعتاد عليه نطقه في بيئته لمرضه أو لكبر سنه ؛ لذا كانت هي آصل المصادر جميعا في معرفة اللهجات العربية .

وأبو العلاء المعري هو أحد العلماء الذين وفقهم الله ــ سبحانه وتعالى ــ لمعرفة لهجات العرب . فقد نص في كثير من كتبه على هذه اللهجات ، وبين كثيرا من خصائصها وسماتها سواء على مستوى الأصوات و طرائق الآداء، أو البنية ، أو التركيب ، أوالدلالة . إلا أنه في عرضه لهذه اللهجات قد اقتفى أثر سابقيه ، فسار على نهجهم ولم يزد عليهم فى أكثره ، إذ لم يعرض لها عرضا مفصلا يوقفنا على الخصائص التعبيرية والصوتية لهذه اللهجات كل على حده ، وإنما اكتفى بإشارات عابرة مبثوثة في كتبه ، أو في رسائله فقد وردت هذه اللهجات قصدا وعرضا ؛ إما تنبيها عليها ، وإما شرحا للفظ ، وإما توجيها لقراءة قرآنية ، أو لبيت شعري ، أو فى سياق نص نثرى .وتارة ثانية تجده ينفرد فى تناوله لها بتعليلات لم ترد عند غيره ولم يسبق إليها كما فى تعليله لتخفيف الهمز فى بعض المواضع ، وكما فى ذكره لتلاقى اللهجات فى موضع سياقي معين دون غيره فى نفس الظاهرة وإن اختلفت فى الأصل ؛

لذا كان منهجه في عرض اللهجات كالتالي :

١ ــ ينص كثيرا على اللهجة بقوله : (وهي لغة) دون نسبتها إلى بيئتها العربية.

٢ ــ يعزو اللهجة إلى أصحابها ــ أحيانا ــ وإن قل في هذه الناحية عن سابقتها.

٣ ــ يربط اللهجة بالقراءة القرآنية ، والأبيات الشعرية كثيراً .

٤ ــ في كثير من الأحيان يذكر اللهجات دون تنبيه على أنها لهجة ، وقد نصت عليها مصادر اللغة .

٥ ــ أنه في ــ بعض الأحيان ــ يذكر المواضع التي ينبغي أن ترد عليها اللهجة ، وقد انفرد في بعضها .

٦ ــ يرجح أحيانا لهجة على غيرها ، فيصفها بأنها الأكثر ، أو الأوجه .

٧ ــ يشير في بعض الأحيان إلى التزام جميع البيئات العربية سمتا واحداً فيما هو الأفصح في موقعة وإن خالفوا ما عليه في بيئاتهم .

وكان منهجى في تناول هذا الفكر اللهجى عند أبى العلاء المعري متمثلا في الآتي

:

١ ــ إبراز هذه اللهجة التي نص عليها أو لم ينص عليها في صورة فكر لهجي للرجل دون التعمق في تعليلات ، أو تأويلات المحدثين .

٢ ــ نسبة كثير مما أهمل المعري عزوه إلى اللهجات العربية مستعينا على ذلك بالمعجمات العربية ، وكتب اللغة ، والقراءات ، والتفسير ، والنحو ، وغيرها من مصادر اللغة .

٣ ــ مراجعة ما نسبه المعري تأكيدا ، أو زيادة ، أو تصويبا .

٤ ــ بيان العلة العامة أو الظاهرة للهجة موضع الدراسة ، دون التعمق في اختلافات المحدثين في تفسيرها .

٥ ــ ربط اللهجة موضع الدراسة بالقراءات القرآنية ، والشعر العربي لبيان مدى فصاحتها من ناحية ، ومدى موافقتها للعربية الفصحى من ناحية ثانية .

٦ ــ تصنيف هذه اللهجات وتوزيعها على ثلاث مستويات لغوية : هي المستوى الصوتي ، والمستوى الصرفي ، والمستوى النحوي . وقد تركت المستوى الدلالي و إن كانت بعض مباحثه تعنى فى جزء منها باختلاف اللهجات العربية كالترادف ، و المشترك اللفظى ، و الأضداد ؛ وذلك لارتباط هذا المستوى فى أكثر مباحثه بفقه اللغة . وقد درست مباحث فقه اللغة عنده فى بحث مستقل[1] .

٧ ــ بيان مدى موافقة المعري لسابقيه ، أو اختلافه عنهم .

---

[1] مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط العدد٢٧ الجزء الرابع (فقه اللغة فى تراث أبى العلاء المعري)

الفصـــل الأول

الأصوات وطرائق الأداء فى البيئات العربية عند المعري

قد تختلف اللهجات العربية عن اللغة المشـــتركة فى الأصـــوات ، فالصـــوت فى الفصحى قد يقابله صوت آخر فى لهجة من لهجاتها المنتشرة فى بقاعها على تراميها، صامتا كان هذا الصـــوت أم صائتا ، تأثرا بما يجاوره تارة ، و آداء تارة ثانية ؛ لعلة عارضـــة أو داعيـــة إلى ذلك ، وتتمثل هذه الاختلافات كما ذكرها المعري فى خمسة مباحث كالتالى :

- المبحث الأول : الإبدال .
- المبحث الثانى : الإظهار والإدغام .
- المبحث الثالث : الهمز و التسهيل.
- المبحث الرابع : الوقف.
- المبحث الخامس : سلب الحركة ومطلها.

المبحث الأول : الإبدال

الإبدال وسيلة من وسائل نمو اللغة ، وظاهرة عامة في كل لغات البشر ، كما أنه سنة من سنن العرب في كلامها ، وهذا ما أكده ابن فارس في قوله : " ومن سنن العرب إبدال الحروف ، وإقامة بعضها مقام بعض " [١]. وفوق ذلك فهو ــ أيضا ــ مظهر من مظاهر اختلاف اللهجات ، إذ فيه تتفاوت القبائل العربية وتختلف ، فبعضها يؤثر في الإبدال صوتا على حين يؤثر قبيل آخر صوتا آخر ، كل بحسب ما اعتاد عليه في بيئته ، وهذا فيما تشابه من الحروف وتقارب مع اتحاد المعنى .

وهو لغة : مصدر أبدلت كذا من كذا : إذا أقمته مقامه . [٢]

واصطلاحا : هو جعل حرف مكان آخر مطلقا . [٣]

وعند اللغويين : هو جعل حرف مكان آخر أو حركة مكان أخرى . [٤] وهو أدق من التعريف السابق ؛ لأنه يلحظ التغيرات التي تلحق الحركات .

وقد قسمه العلماء إلى قسمين : صرفي ولغوي . فالصرفي يقع في حروف معينة دون مراعاة لعلاقة صوتية بينها وقد جمعوا هذه الحروف في قولهم (هدأت موطيا) . أما الإبدال اللغوي فهو أعم وأشمل إذ يقع في حروف المعجم جميعها ، لذا قال أبو حيان : " قال شيخنا الأستاذ أبو الحسن بن الصائغ : قلما نجد حرفا إلا قد جاء فيه البدل ولو نادراً " . [٥]

بل وفي حركاتها بشرط أن تكون بين الحرفين علاقة صوتية عند أكثر القدامى ، وجميع المحدثين . [٦] لذا عرفه بعضهم بقوله : " هو عبارة عن إبدال حرف من كلمة ما

---

[١] الصاحبي ٣٣ .

[٢] مقاييس اللغة (ب د ل) .

[٣] العربية خصائصها وسماتها ٣١٩ .

[٤] اللهجات العربية د / إبراهيم نجا ص ٧١ .

[٥] المزهر ١ / ٤٦١ .

[٦] انظر تفصيل ذلك في رسالتنا للدكتوراه (الظواهر اللغوية في معاني القراءات للأزهري ١٩، ٢٠).

بحرف يقرب منه .

لفظا . ويحصل الإبدال غالبا بين الحروف التي هي من مخرج واحد أو مخارج متقاربة " .[١]

وقد اختلف علماء اللغة في مرجعه ، فبعضهم يرى أنه من قبيل اختلاف اللهجات[٢] ، وبعضهم الآخر يرى : أنه إذا أمكن الحكم بأصالة إحدى الكلمتين وفرعية الأخرى فهو من قبيل الإبدال ، وإذا لم يمكن ذلك فهو من قبيل اختلاف اللهجات .[٣] فهو يفرق بين ما هو إبدال ، وما هو من اختلاف اللهجات .

وقد تعرض هذا الحكم المبني على الأصالة والفرعية لنقد علماء اللغة المحدثين ؛ لأن وجهته المبنية على الشيوع والكثرة غير صالحة لأن تكون مقياسا علميا سليما .[٤]

أما أبو العلاء المعري ــ في تناوله لهذه الظاهرة ــ فقد فرق بين الإبدال الصرفي والإبدال اللغوي الذي سماه سماعيا ، ولم يشترط في اللغوي ضرورة وجود علاقة مخرجية بين الصوتين المبدلين ، بل يجوز عنده أن يبدل صوت من آخر بعيد عنه . وقد نص على ذلك صراحة فقال : " فأما قولهم كميت وكمنت فليس هو إبدالا تصريفيا ، وإنما هو إبدال سماعي يبدل فيه الحرف مما قاربه وباعده " . وهو في ذلك يكون قد وافق ابن السكيت (ت ٢٤٤هـ)[٥] ، وأبي الطيب اللغوي (ت ٣٥١هـ)[٦] ، فقد ذكرا في مؤلفيهما عن الإبدال كلمات كثيرة لا توجد فيها علاقة صوتية بين الحرفين المبدلين ، وخالف أكثر القدامى الذين اشترطوا ذلك كالفراء ، وابن دريد ، وابن جني ، وابن فارس،

---

[١] الفلسفة اللغوية ــ جورجي زيدان ص٦٠ .

[٢] انظر توضيح ذلك في الإبدال لأبي الطيب ٦٩ ، والمزهر ١ / ٤٧٤ ، وفقه اللغة د / وفي ١٨٥ ، واللهجات العربية ٧٥ ، والتطور اللغوي التاريخي ١١٢ .

[٣] الخصائص ٢ / ٨٤ ، وشرح المفصل ١٠ / ٣٥ ، ٣٦ ، ومن أسرار اللغة ٧٥ ، ودراسات في فقه اللغة ــ صبحي صالح ٢٣٨ .

[٤] اللهجات العربية د / نجا ٧٥ ، واللهجات العربية نشأة وتطور ٢ / ١٢٧ .

[٥] رسالة الملائكة ٢٦٢ .

[٦] الإبدال لابن السكيت ٣ ، ٤ ، والإبدال لأبي الطيب اللغوي ١٠٢/٢ وما بعدها .

ومكي بن أبي طالب .[١]

وفي تسميته الإبدال اللغوي (الإبدال السماعي) دليل على إدراكه أنه يخالف ما عليه الصرفيون من الإبدال وهو الإبدال القياسي من ناحية ، وأنه مظهر من مظاهر اختلاف اللهجات من ناحية أخرى ؛ لأنه يكون في كلمات معينة فقط قد سمعت عن بعض العرب ، وقد نص على ذلك في بعض المواضع ، وعزاه إلى بيئته اللهجية في مواضع أخرى كما سنرى.

وبمراجعة الأمثلة التي أوردها المعري لهذه الظاهرة في رسائله المتعددة نجدها قد أتت عنده كالتالي :

أولا : اللهجات الملقبة :

من الظواهر اللهجية التي أوردها أبو العلاء المعري ما يعرف باسم اللهجات الملقبة. وهي لهجات أبدل فيها حرف من حرف آخر ، وقد لقبت بلقب معين . وقد أشار إلى هذه الألقاب كثير من قدامى العربية كثعلب ، والجاحظ ، وابن جني[٢] ، وإن لم يشر إليها المعري وهو متأخر عنهم . وهي كالتالي :

١- العجعجة :

وهي قلب الياء المشددة فى الوقف جيما .[٣]

وقد أشار إليها المعري عند حديثه عن أن الواو أقوى من الألف فقال : " الواو أقوى من الألف ؛ لأن الواو يمكن أن تلحقها الحركة ، والألف لا تحرك ، ثم صارت هذه الواو التى كانت ألفاً فى الماضي ــ [أى فى مثل علا يعلو] ــ ياء فى قولك : علىٌ ؛ فذهب لينها على رأي سيبويه والمتقدمين ، وصارت تجوز على مذهبه فى القوافي مع : سقى ورعى ، ثم وقف

---

[١] انظر تفصيل ذلك في الظواهر اللغوية في معاني القراءات للأزهري ص٢٠ .

[٢] مجالس ثعلب ١ / ٨٠ ، والبيان والتبيين ٣ / ٩٩ ، ١٠٠ ، والخصائص ١٢/٢ ، وسر الصناعة ٢٠٥/١ .

[٣] رسالة الصاهل والشاحج ص٦٠٠ ، و المزهر ٢٢٢/١.

عليها بعض الناس فصيرها جيما فى الوقف فقال : علج ، فهذه حكاية سيبويه أن بعض العرب يجعل الياء المشددة فى الوقف جيما . وغيره يجعل الوصل مثل الوقف ، قال الراجز :

لا تعجبي لحجـــة المحتـــج

إن الفرار فى الحروب منج

خالي لقيـــط وأبو علـــج

المطعمان اللحم بالعشـــج

وبالغـــداة فلق البرنج

ينـــزع بالقرن وبالصيصج [١]

ففي هذا النص يشير المعري (رحمه الله) إلى هذه الظاهرة دون أن ينسبها لأحد من العرب ، وقد خصها بالياء المشددة وفيه نظر ؛ لأنه إذا كان بعض العلماء قد خصها باليـــاء المشددة كسيبويه ، والأصمعي ، وابن فارس ، وابن يعيش [٢] ، فإن من العلماء من أجاز قلب الياء جيماً مطلقاً خفيفة كانت أو مشددة كأبي عمرو ، والرضى [٣] ، ومنهم من خصها بالياء الخفيفة وجعل التشديد حادثاً بعد القلب على لغة من يشدد فى الوقف ، كالعكبري إذ قال فى تعليقه على البرنج والصيصج : " فإنه قدر الوقف على الياء فسكنت ثم أبدلها جيماً مشددة ثم كسر بعد ذلك ، والقياس أن لا تبدل المتحركة ، لأنها قويت وبانت بحركتها ، وأما الصيصى فأصلها التخفيف ؛ لأن الواحد صيصة خفيفة الياء ، وإنما شدد على لغة من يشدد فى الوقف نحو هذا خالد ثم كسرها لما تقدم " . [٤]

كما أشار المعري إلى اختلاف العلماء فى كون الظاهرة خاصة بالوقف كســـيبويه ،

---

[١] رسالة الصاهل والشاحج ٦٠٠ ، ٦٠١ .

[٢] الكتاب ٤ / ١٨٢ ، والإبدال لأبى الطيب ١ / ٢٥٧ ، والمقاييس (ع ج) ، وشرح المفصل ١٠ / ٥٠ ، ٥

[٣] الإبدال لأبى الطيب ١ / ٢٦٠ ، وشرح الشافية ٢ / ٢٨٧ .

[٤] اللباب فى علل الإعراب والبناء ٢ / ٣٥٠ .

أو فيه وفى الوصل ، وهو محق فى ذلك ، فسيبويه ، والرضى ، وابن يعيش ، يجعلون هذا الإبدال مقيداً بالوقف خاصة [١] ، وأبو الطيب اللغوي ، وأبو علي القالي ، وابن جني يجيزونه فى الوصل والوقف [٢] . ولعلها فى الأصل كانت فى الوقف ، ثم أجرى الوصل مجرى الوقف .

أما عن نسبة العجعجة : فلم يعزها المعري إلى قبيل معين من العرب ، فى حين عزاها سيبويه إلى ناس من بنى سعد [٣] ، كذا عزاها لهم أبوبكر بن السراج (ت ٣١٦هـ)، وابن يعيش [٤] ، وعزا الفراء إبدال الياء المشددة جيما إلى طيئ ، وإبدال المخففة إلى بنى دبير من بنى أسد خاصة [٥]،كذا فعل أبو حيان.[٦]

وعزاها أبو عمرو بن العلاء لبنى حنظلة قال : قلت لرجل من بنى حنظلة : ممن أنت ؟ قال : فقيمج ، قال : قلت : من أيهم ؟ قال : مرج يريد : فقيمي ومرى . [٧] وعزاها الرضى إلى ناس من بنى تميم [٨] ،

والأصح أنها لأهل البادية كما نقل القالي وابن جني عن الأصمعي وخلف [٩] ؛ لأن بنى سعد من تميم [١٠] ، وحنظلة أيضاً من تميم ، إذ تنسب إلى حنظلة بن مالك بن زيد مناة بنى تميم [١١] ، وطيئ تسكن فى أواسط نجد ، وبنو أسد ، وقضاعة من القبائل البدوية أيضاً ، إلا

---

[١] الكتاب ٤ / ١٨٢ ، وشرح الشافية ٢ / ٢٨٧ ، وشرح المفصل ١ / ٥٠ ، ٥١ .

[٢] الإبدال ١ / ٢٥٧ ، والأمالي ٢ / ٧٩ ، والمحتسب ١ / ٥٧ .

[٣] الكتاب ٤ / ١٨٢ .

[٤] الأصول فى النحو ٣٧٦/٢ ، و شرح المفصل ٩ / ٧٤ .

[٥] الإبدال لأبى الطيب ١ / ٢٥٨ ، ٢٦٠ .

[٦] ارتشاف الضرب ١ / ١٥٩ .

[٧] سر الصناعة ١ / ١٧٥ .

[٨] شرح الشافية ٢ / ٢٨٧ .

[٩] الأمالي ٢ / ٧٩ ، وسر الصناعة ١ / ١٧٥ .

[١٠] معجم البلدان ١ / ٥٠٧ .

[١١] السابق ١ / ٢٧٤ ، ومعجم ما استعجم ٤ / ١٦٥ .

أن هناك فرق بين هذه القبائل فى الموضع الذى تقلب فيه الياء جيماً ، فبنو قضاعة يبدلون الياء جيما إذا جاءت بعد العين خاصة لذا سميت الظاهرة العجعجة ونسبت إليهم ، كذا قال ابن منظور والزبيدي وبعض المحدثين [١] أما طيئ وبنو سعد فيبدلونها فى الوقف دون الوصل كما سبق عن سيبويه ، وابن يعيش ، والفراء ، وأبى حيان ، وذلك إذ كانت مشددة ، وأما بنو دبير من بنى أسد فيبدولون الياء المخففة فى الوقف دون المشددة كما سبق .

أما علة هذا الإبدال : فهي كون الجيم أبين وأوضح فى السمع من الياء عند الوقف ، فحرف الياء يزداد خفاءً فى الوقف لسكونه وضعفه ، وهذا ما عناه سيبويه بقوله : " لأن الياء خفية فأبدلوا من موضعها أبين الحروف وذلك قولهم : تميمج فى تميمي [٢] ، وعللها ابن يعيش باتحاد المخرج والصفة بين الجيم والياء و هو ما أجاز تبادلهما ، وقلبت الياء جيماً لشدة الجيم وهو ما يناسب قبيلة بدوية كبنى سعد قال : " الجيم تبدل من الياء لا غير ؛ لأنهما اختان فى الجهر ، والمخرج ، إلا أن الجيم شديدة ولولا شدتها لكانت ياء " [٣] ، وهو ما أقره علماء اللغة المحدثون . [٤]

٢ ــ الطمطمانية :

ويراد بها إبدال لام التعريف ميما ، مثل طاب أمهواء ، وصفا أمجو ، أي طاب الهواء ، وصفا الجو .

وقد أشار المعري إلى هذه الظاهرة فقال : " وقد أنعم الله على هذه الرفقة الراحلة بأمنها من العرب ، بتدبير (السيد عزيز الدولة) ــ أعز الله نصره ــ لأن الله سبحانه أدال به الرعية ونقلها مما كانت فيه ، فكان مثلها مثل لام التعريف ، لما رآها الله تعالت قدرته تدغم في ثلاثة عشر حرفا من حروف المعجم على لغة أهل الحجاز والعالية وكل ساكن في أرض العرب إلا من شاء الله قيض لها قوما من اليمن من حمير ، يجعلونها ميما فلا تدغم في

---

[١] اللسان (ع ج ج) ، والتاج (ع ج ج) ، واللهجات العربية فى التراث ٣٧٥ .

[٢] الكتاب ٤ / ١٨٢ .

[٣] شرح المفصل ١٠ / ٥٠ ، ٥١ .

[٤] فصول فى فقه العربية ٢٣٢ ، واللهجات العربية فى التراث ٣٧٥ .

شيء من الحروف ، كما لا تدغم فيها الميم " .[١]

وقد أورد لهذه الظاهرة شواهد مختلفة من الحديث والشعر فقال : " وأما لغة حمير في تصييرهم لام المعرفة ميما ، فقد جاءت في الحديث المأثور عنه ــ ﷺ ــ وذلك أنه قال : "ليس من امبرا مصيام في امسفر "[٢] ، ودخل أبو هريرة على عثمان وهو محصور فقال : "طاب امضرب " يريد: طاب الضرب[٣] . وأنشد أبو عبيد القاسم بن سلام :

ذاك خليلي وذو يناصحني ∴ يرمي ورائي بامسهم وامسلمة [٤]

يريد : بالسهم والسلمة . وأنشد غيره لبعض شعراء اليمن :

سَبَتني حبتي رُهْمُ ∴ بوجه مثل ذي امشرق

وفرع مثل عناب ∴ وفَرْق أيما فرق

إذا تمشي تدفاعا ∴ كمشي امفحل ذي أموسق

أراد : الشرق ، والفحل ، وذا الوسق .[٥]

ولهذه الظاهرة شواهد كثيرة غير ما سبق منها ما جاء في كتاب الرسول ــ ﷺ ــ إلى وائل بن حجر " ... ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ،و من زنى مم ثيب فضرجوه بالأضاميم ... " .[٦]

وإبدال اللام ميما لا يختص بكون اللام شمسية أو قمرية ، وفيما سبق من شواهد

---

[١] رسالة الصاهل والشاحج ٣٨٤ .

[٢] أخرجه الخطيب البغدادي من حديث كعب بن عاصم الأشعري(الكفاية في علم الرواية ١٨٣/١) .

[٣] السابق نفسه ، وغريب الحديث لأبي عبيد ٤ / ١٩٣ .

[٤] غريب الحديث ٣ / ١٩٤ .

[٥] رسالة الصاهل والشاحج ٤٨٥ ، ٤٨٦ .

[٦] الفائق في غريب الحديث ١ / ١٤ ، والنهاية ٣ / ٤٢ .

دليل على ذلك ، كذا قال ابن هشام أنها تدخل على النوعين [١]. خلافا لما ذكره الزجاجي في حواشيه على ديوان الأدب من أنه خاص باللام القمرية . [٢]

أما عن نسبة الظاهرة : فقد عزاها المعري إلى حمير كما سبق وهو ما عليه معظم المصادر القديمة كأبي عبيد القاسم بن سلام ، والأزهري ، والثعالبي ، والجوهري ، وابن منظور ، والحريري . [٣] وعزاها أبو العباس ثعلب إلى الأزد قال : " هذه لغة في الأزد مشهورة "[٤] وعزاها إلى طيء كل من ابن يعيش ، وابن الحاجب ، وابن هشام ، والسيوطي ، والأشموني . [٥]وعزاها إلى أهل اليمن أو بعضهم كل من الأخفش ، وابن يعيش ، وابن مالك ، والعيني ، وابن الأثير [٦]. وعزاها صاحب (المباني في نظم المعاني) إلى دوس . [٧]

وبالنظر في القبائل السابقة التي عزيت إليها الظاهرة نجد أنها كانت ــ جميعها ــ تسكن جنوب اليمن فدوس بطن من شنوءة من الأزد من القحطانية [٨]، والأزد أزد اليمن ، وطيء أيضا كانت تسكن بلاد اليمن قبل أن تنتقل إلى شبه الجزيرة لذا كان قول ابن هشام أنها لغة لبعض أهل اليمن لا لجميعهم صائبا ؛ لأنه لم يحصر الظاهرة في حمير وحدها ، وإن عزاها ــ كما سبق ــ إلى طيء وحمير . قال : " وحكى لنا بعض طلبة اليمن أنه سمع

---

[١] مغنى اللبيب ٧١ .

[٢] التصريح بمضمون التوضيح ١ / ٤٨٥ .

[٣] انظر على الترتيب : غريب الحديث ٤ / ١٩٤ ، والتهذيب ١٢ / ٣٠٩ (س ل م) ، وفقه اللغة ص٧٣ ، والصحاح واللسان (س ل م) ، ودرة الغواص ٢٢٣ .

[٤] مجالس ثعلب ١ / ٥٨ .

[٥] شرح المفصل ١٠ / ٣٤ ، وشرح الشافية ٣ / ٢١٥ ، والمغنى ٧٠ ، وهمع الهوامع ٣٠٨/١ ، وشرح الأشموني ٤ / ٢٣٧ ، النهاية ٣ / ٤٢ .

[٦] معاني القرآن ١٨٢/١ ، وشرح المفصل ٩ / ٤٩ ، وهمع الهوامع ١ / ٣٠٨ ، وشرح شواهد العيني ٩٦/١ .

[٧] مقدمتان في علوم القرآن ٢٢٢ .

[٨] اللهجات العربية في التراث ٣٩٩ .

في بلادهم من يقول : خذ الرمح واركب امفرس ، ولعل ذلك لغة لبعضهم لا لجميعهم ..."[١].

٣ــ الاستنطاء :

وهو عند اللغويين أن تبدل العين الساكنة نونا إذا جاورت الطاء ، وذلك مثل : أنطى في أعطى .[٢]

يقول المعري : " أما أنطاكية فهي على الفأل : أنطى ، في معنى أعطى . وروى أن النبي ــ ﷺ ــ قرأ : ﴿ إنا أنطيناك الكوثر ﴾[٣] وفي أنطى ضمير وهو اسم الله " .[٤]

فالمعري أشار إلى الظاهرة دون أن ينص عليها ، ودون أن ينسبها لبيئتها . إلا أن هذه الظاهرة قد اشتهرت بين اللغويين بهذا الاسم ، وقصرها أكثرهم على الفعل (أعطى) إذ العين فيه قد أبدلت نونا لمجاورتها الطاء . خلافا لما ذكره د / أنيس من أن الظاهرة ليست خاصة بالفعل (أعطى) وإنما هي في كل عين سواء وليها الطاء أو صوت آخر ، وأن الرواة قد سمعوا هذه الصفة ممثلة في الفعل (أعطى) فأشكلت عليهم ، ولم يصفوها لنا على حقيقتها "[٥] . وهذا افتراض بلا دليل يدحضه كثرة الشواهد التي جاءت بإبدال العين في (أعطى) نونا ، وعدم وجودها في غيره .

فمن الحديث قوله ــ ﷺ ــ : " اليد المنطية خير من اليد السفلى "[٦] وقوله في حديث الدعاء : " لا مانع لما أنطيت ، ولا منطي لما منعت "[٧] . وقوله ــ ﷺ ــ في كتابه

---

[١] المغنى ٧١ .

[٢] تاج العروس (ن ط و) .

[٣] سورة الكوثر آية (١) وهي أيضا قراءة الحسن وطلحة وابن محيصن فى مختصرشواذ القرآن ١٨٢ ، والبحر المحيط ٨ / ٥١٩ .

[٤] رسالة الصاهل والشاحج ٦٥٢ .

[٥] في اللهجات العربية ١٤٢ .

[٦] المعجم الكبير للطبراني ١٧ / ١٦٦ ، ١٦٩ .

[٧] النهاية ٥ / ٧٥ ، كنز العمال ٦ / ٢١٢ .

لوائل بن حجر: " وأنطوا الثبجة "[١] . وفي كتابه ــ ﷺ ــ لتميم الداري : " هذا ما أنطى محمد رسول الله ــ ﷺ ــ لتميم الداري وأصحابه إني أنطيتكم عينون وحبرون والرطــوم وبيت إبراهيم برمتهم ، وجميع ما فيهم نطية بت ونفذت وسلمت ذلك لهم ولأعقابهم من بعدهم أبد الأبد ... " . [٢] ومن الشعر قول الأعشى :

جيــادك في القــيظ في نعمــة ∴ تصان الجلال وتنطــي الشــعيرا[٣]

وقول الآخر :

من المنطيات الموكب الملح بعــدما ∴ يرى في فروع المقلــتين نضــوب[٤]

وقول الآخر :

عقدت عليه الجسر للفخر فارتمــت ∴ إليه وفود البحر تغرف ما أنطــى[٥]

فإبدال العين نونا في الفعل (أعطى) هو ما ينطبق على هذه الظاهرة ، أما ما جاء من إبدال العين نونا في كلمات أخرى ذكرها أبو الطيب مثل : الدعفص والدنفص مــن الرجال: الزري المنظر القميء[٦] ، فليس من الظاهرة . وعلى هذا فالاستنطاء ليس ظاهرة عامة في كل عين ساكنة وإنما هو خاص بالعين الساكنة التي تجاور الطاء وفي كلمة (أعطى) ومشتقاتها فقط . [٧]

أما عن نسبة الظاهرة : فقد عزاها ابن الأعرابي إلى حمير[٨] ، وتبعــه في ذلك ابن

---

[١] النهاية ٥ / ٧٥ .

[٢] صبح الأعشى ١٣ / ١٢٧ ، السيرة الحلبية ٣ / ٢٣٧ .

[٣] الإبدال لأبي الطيب ٢ / ٣١٨ .

[٤] اللسان (ن ض ب) .

[٥] نفح الطيب ٦ / ٥٠ .

[٦] الإبدال ٢ / ٣١٩ .

[٧] فصول في فقه العربية ١٢١ .

[٨] التهذيب ١٤ / ٢٣ .

الجوزي[١] ، وعزاها الجوهـــري إلى أهل اليمن وتبعه في ذلك ابن الأثـــير ، وابن منظور[٢] . وعزاها السيوطي إلى سعد بن بكر ، وهذيل ، والأزد ، وقيس ، والأنصار[٣] ، وتبعه في ذلك الزبيدي .[٤]

وعن عزو الظاهرة إلى حمير، أو سعد بن بكر ، أو الأزد ، أو أهل اليمن عامة لا سؤال فيه ، أما عزوها لقيس وهذيل ففيه نظر . يقول أحد الباحثين المحدثين : " بالبحث في الظواهر اللهجية لقيس ، وفي ديوان هذيل ، لم أعثر على تلك الظاهرة ، لذلك أرجح أن (قيسا) في نص السيوطي ، ليس المراد بها قيس عيلان ، وإنما هي قيس أخرى ، وأرجح أنها بطن من همدان القحطانية ، بدليل بيت الأعشى السابق . وهو من قيس القحطانية "[٥] . يؤيد ذلك ما ذكره الزبيدي من قوله بعد أن ذكر القبائل السابقة جميعها : " وهؤلاء مـــن قبائـــل اليمـــن ما عـــدا هذيل "[٦] . أي قيس اليمنية .

أما نسبتها إلى هذيل فيذكر الباحث أنها ليست تلك القبيلة المعروفة من مضر وإنما هي هذيل اليمنية . فتكون الظاهرة قد خلصت لليمن بدليل وجود الأنصار والأزد في نص السيوطي وجميعهم من اليمن .[٧]

ولا مانع عندي من نسبة الظاهرة إلى هذيل المضرية بدليل ما ورد عن ابن مسعود والأعمش أنهما قرءا قوله تعالى : ﴿ وأنطاهم تقواهم ﴾[٨] . وما ذلك إلا لأن اللغـــات أو اللهجات لا تعرف الثبات أو الاطراد ، بل تنتقل بين القبائل بالمجاورة والاخـــتلاط فمـــن

---

[١] غريب الحديث ٢ / ٤١٨ .

[٢] الصحاح (ن ط و) والنهاية ٥ / ٧٥ ، واللسان (ن ط و) ، وكتر العمال ٢١٢/٦ .

[٣] المزهر ١ / ٢٢٢ .

[٤] تاج العروس (ن ط و) .

[٥] اللهجات العربية في التراث ٣٨٦ .

[٦] تاج العروس (ن ط و) .

[٧] اللهجات العربية في التراث ٣٨٦ .

[٨] سورة محمد آية (١٨) ومختصر شواذ القرآن ١٤٢ .

المعروف ــ جغرافيا ــ أن بعض بطون هذيل وقيس كانت تجاور الأزد في السراة[١] . ومن هنا يأتي التأثير ، فانعكست بعض الظواهر الأزدية ومنها الاستنطاء على قبيلة هذيل وقيس ، ومنهم بنو سعد بن بكر .[٢] وقول الزبيدي السابق " إنما لقبائل اليمن ما عدا هــذيل " يؤيد ذلك.

٤ ــ التلتلــة :

وهي كسر حرف المضارعة : يقول المعري :" ويدلك على أن الكسرة عندهم مع الهمزة أيسر منها مع الياء أنهم يقولون : إعلم ، وإستعين ، وإخال فيكسرون مع الهمزة كما يكسرون مع التاء والنون . وقد قرأت بذلك القراء يحيى بن وثاب وغيره ، ويروى أنه قرأ : ﴿ فأمتعه قليلا ثم اضطره ﴾[٣] بكسر الهمزة من اضطره ، وكذلك يفعل في غيرها مــن حــروف المضارعة فقرأ : ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ﴾[٤] ، و ﴿ لا تركنــوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ﴾[٥] وهذه لغة للعرب فيما كان على فعل يفعل ، وما جــاوز الأربعة ، نحو أسود واقشعر ، وإذا صاروا إلى الياء فروا إلى الفتح فلم يقولــوا (يعلــم) كذلك ، يقول سيبويه وقد حكاها الفراء عن قوم من العرب . وإن صحت فهــي شــاذة وليست من باب ينحل وقرأ أصحاب القراءة التي مر ذكرها (إن تكون تيلمــون فــإنهم يألمون كما تيلمون) فكسروا مع التاء ولم يكسروا مع الياء " .[٦]

ويقول في قول الشاعر :

جاريــــة بســــفوان دارهــــا ∴ تمشــي الهوينــا مــائلا خمارهــا

قلــت لبــواب لديــه دارهــا ∴ تيــذن فــإني حمؤهــا وجارهــا

---

[١] معجم البلدان ٣ / ٢٠٥ .

[٢] لغات الأزد (مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، العدد ١١٧ لسنة ١٤٢٢هـ ص٤٣٧ .

[٣] سورة البقرة آية (١٢٦) وهي قراءة يحي بن وثاب فى البحر المحيط ٥٥٥/١ .

[٤] سورة آل عمران آية (١٠٦) وهي قراءة يحي بن وثاب فى الجامع لأحكام القرآن ١٦٧/٤ .

[٥] سورة هود آية (١١٣) وهى قراءة أبي عمرو فى الكشاف٤٠٨/٢، وزاد المسير ١٦٥/٤ .

[٦] رسالة الملائكة ١٢٥ ــ ١٢٧ .

يريد : لتيذن على لغة من كسر التاء في أول المضارع ، وتلك لغة مشهورة يقول: إخال ، وتخال ، ونخال فإذا صاروا إلى الياء فتحوا " .[١]

ففي النصين السابقين نجد أن المعري (رحمه الله) يشير إلى ظاهرة لهجية مهمة ، إذ كان كل قبيل من العرب أو كل مجموعة من القبائل تتخذ لها نمطا أو اتجاها يختلف عن الأخرى ، كما يذكر ضمنا المواضع التي ترد فيها هذه الظاهرة من خلال ما استشهد به من نماذج عليها ، وذكر أنها لغة للعرب ولم يبين منهم تحديداً هل كل العرب أم بعضهم ، وذكر أيضا أنها في موضع ما من مواضعها لغة لقوم من العرب وهي شاذة ، وإن قرئ بها ، ثم يبين أن هذه الظاهرة (التلتلة) تكون في جميع حروف المضارعة ما عدا الياء .

والأصل فى الفصحي أن يزاد حرف المضارعة مضموما في الماضي الرباعي تقول : يدحرج ، ويكرم ، كما يزاد مفتوحا عند بناء المضارع من الثلاثي أو الخماسي أو السداسي مثل ينصر ، ويتعلم ، وينطلق . إلا أن من العرب من يكسر حرف المضارعة في كل ذلك . أما قوله (ما عدا الياء) فهذا أمر مختلف فيه بين العلماء فمنهم من أجازه على قلة[٢] ، ومنهم من منعه[٣] ، والصحيح جوازه لوروده كما سيأتي .

أما عن المواضع التي يكسر فيها حرف المضارعة ، أو تأتي فيها ظاهرة التلتلة فهي مستنبطة من خلال النماذج التي أوردها المعري وغيره استدلالا على الظاهرة وهي كما يلي:

١ ــ مضارع الثلاثي المبني للفاعل إذا كان الماضي على وزن (فعل) بكسر العين. بدليل قوله تعالى : ﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا ﴾ فقد قرأ أبو عمرو بكسر التاء والماضي من فعل يكسر العين كذا قراءة ﴿ إن تكونوا تيلمون فإنهم يألمون كما تيلمون ﴾[٤]

---

[١] عبث الوليد ١٦٩ .

[٢] شرح شافية ابن الحاجب ١ / ١٤١، المزهر ١ / ٢١١ ، ودرة الغواص ٢٢٤ .

[٣] البحر المحيط ١ / ٥٥٧ .

[٤] سورة النساء آية (١٠٤)وهى عند أبى جعفرالنحاس قراءة لمنصور بن المعتمر (إعراب القرآن ٤٨٦/١)

بكسر التاء والفعل (ألم) بكسر العين. ومنه قول الشاعر (تيذن) وهو من أذن بكسر العين .

٢ ــ الفعل الأجوف كما في الفعل (إخال ، ونحال ، وتخال) وقد ورد لفظ (إخال) بكسر الهمزة في الشعر العربي كثيراً . ومنه قول زهير بن أبي سلمى :

وما أدري وسوف إخال أدري ∴ أقوم آل حصن أم نساء[١]

وقول كعب بن زهير :

أرجو وآمل أن تدنو مودتها ∴ وما إخال لدينا منك تنويل[٢]

كذا أورد المعري في ديوانه الفعل (إخال) بكسر الهمزة قال :

عندى فاعلم ، نصيحة عجب ∴ وما إخال السفيه قابلها[٣]

٣ ــ ما كان مبدوءا بهمزة وصل مما جاوز ثلاثة أحرف . مثل قوله : إعلم ، وإستعين وقراءة (ثم اضطره)[٤] وعليها قراءة ﴿ وإياك نستعين ﴾ بكسر النون[٥] . كذا قراءة : ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ﴾ .

٤ ــ ما كان أوله ياء أو غيرها وهو من باب (فعل يفعل) بفتح العين في الماضي والمضارع معا كما في قوله : (ينحل) ، وإنما كسروا ؛ لأن مضارعه مشاكل لمضارع فعل بكسر العين ، فلما كسر أول مضارع (فعل) بكسر العين في جميع اللغات إلا في لغة أهل الحجاز ، كذلك كسروا (يفعل) بفتح العين هنا .[٦]

وهناك مواضع أخرى يكسر فيها حرف المضارعة سواء كان ياء أم غيرها وقد

---

[١] الحماسة البصرية ٢ / ٣٠٠ .

[٢] جمهرة أشعار العرب ٢٣٧ .

[٣] لزوم ما لا يلزم٢/٣١٠ .

[٤] وهي قراءة يحيى بن وثاب : المختصر فى شواذ القرآن ص ١٦ ، والمحرر الوجيز ١ / ٢٠٩ .

[٥] سورة الفاتحة آية (٥) وهي قراءة يحيى بن وثاب كما في تفسير الثعالبي ١١٨/١، وعزاها ابن خالويه إلى جناح ابن حبيش ، والمختصر فى شواذ القرآن ٩ .

[٦] اللهجات العربية في التراث ٣٩٥ .

ذكرها د / الجندي ، ولم يشر إليها المعري .[١]

أما نسبة الظاهرة :فالعلماء قد اختلفوا في نسبتها ، فقد جعلها سيبويه لغة جميع العرب إلا أهل الحجاز[٢] ، وعزاها ابن جني في الخصائص وفي سر الصناعة إلى بهراء[٣] ، وفي المحتسب إلى تميم[٤] ، وفي المنصف إلى عقيل[٥] .وعزاها إلى تميم كل من الزمخشري والثعلبي والقرطبي [٦] ، وعزاها أبو حيان إلى قيس وتميم وأسد وربيعة[٧] ، ولعله نقل ذلك عن الفراء[٨] ، كذا قال ابن منظور ، وعزا الفتح أو الضم إلى أهل الحجاز ، وقوم من أعجاز هوازن ، وأزد السراة ، وبعض هذيل .[٩]

وهذا الاختلاف بين اللهجات فيما كان حرف المضارعة فيه غير ياء ، فإن كان ياءا فجمهور العرب ــ من غير الحجازيين ــ لا يكسر الياء بل يفتحها . وذكر أبو حيان أن بعض كلب يكسرها[١٠] ، ومعنى هذا أن كلبا وهي من قضاعة[١١] ، تكسر جميع حروف المضارعة حتى الياء ، خلافا لبهراء وهي من قضاعة أيضا فإنها تكسر ما كان أوله التاء فقط يقول ابن منظور : " تلتلة بهراء كسرهم تاء تفعلون يقولون : تعلمون وتشهدون ونحوه والله أعلم " [١٢].

---

[١] السابق ٣٨٨ وما بعدها .

[٢] الكتاب ٤ / ١١٠ .

[٣] الخصائص ١ / ١٣ وسر الصناعة ١ / ٢٠٦ .

[٤] المحتسب ١ / ١٣٠ .

[٥] المنصف ١ / ٣٢٢ .

[٦] الكشاف ٤٠٨/٢ ، وتفسير الثعلبي ١٢٤/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦٧/٤ .

[٧] البحر المحيط ١ / ٥٥٧ .

[٨] الجواهر الحسان – للثعالبي ١ / ١١٨ .

[٩] اللسان (ق ل ل) .

[١٠] البحر المحيط ٧ / ٣٤٣ .

[١١] معجم البلدان ٢٥٤/٢

[١٢] اللسان (ت ل ل) .

والحقيقة أن أهل الحجاز ــ وخاصة قريش ــ يكسرون حرف المضارعة أيضا وذلك في الفعل (إخال) كذا ما كان أوله همزة وصل مثل قراءة (ثم اضطره) ، فقد عزاهما إلى قريش كل من ابن عطية ، وأبي حيان[١] ، بينما عزى فتح الهمزة في (أخال) إلى بني أسد[٢] . كا عزا التبريزي كسر همزة (إخال) إلى طيء[٣] وعزاه المرزوقى إلى هذيل .[٤]

وإذا كان د / الجندي قد شك في نسبة الكسر في (إخال) إلى هذيل وقريش ونسبة الفتح لأسد . وذلك لأن هذيلا قبيلة تتصل بالحجاز وكان عليها أن تقول ذلك بالفتح ؛ لأن الحجاز تفتح هذا بدليل ما جاء في شعر ابن أبي ربيعة :

ما لقلبي كأنه ليس مني ∴ وعظامي أخال فيهن فترا

بفتح همزه (أخال) والسبب أن عمر حجازي[٥] . فإني أثبت الكسر لهما وذلك لما يلي :

أ) إجماع العلماء على أن كسر همزة إخال فصيح في الاستعمال وإن شذ في القياس، فالكسر هو الأفصح .[٦]

ب) إنه قد جاء في شعر عمر بن أبي ربيعة أيضا كسر الهمزة من إخال وهو قوله:

إخال ثلجا طعمه ∴ قد خالطته قرقف[٧]

كذا روى البيت الذي استشهد به د / الجندي بالكسر .[٨]

---

[١] المحرر الوجيز ١ / ٢٠٩ ، والبحر المحيط ١ / ٥٥٧ .

[٢] اللسان (خ ى ل) ،والمصباح المنير(خ ى ل) ، وخزانة الأدب ٩ / ١٥٣ .

[٣] خزانة الأدب ٣ / ٥٩٦ .

[٤] شرح الحماسة للمرزوقي ٤ / ١٨٤٥ .

[٥] اللهجات العربية في التراث ٣٩١ .

[٦] الصحاح (خ ى ل)، ومجمع الأمثال ص١٠٠ ، والمصباح المنير (خ ى ل) ،وخزانة الأدب ١٥٣/٩ ، والكليات ٤٣٥ .

[٧] الديوان ١٣٣ .

[٨] الديوان ١٠٧ .

جـ) أنه قد جاء في الحديث النبوي الشريف (إخال) بكسر الهمزة مما يدل على أنه عربي حجازي جيد أو قرشي . ومن ذلك : " عن ابن عباس قال : قدمنا رسول الله ﷺ أغيلمة بني عبد المطلب على جمرات من جمع ، وجعل يلطخ أفخاذنا ويقول : أبيني لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس زاد سفيان فيه ولا إخال أحدا يرميها حتى تطلع الشمس".[١]

د) ومما يدل على نسبته إلى هذيل أيضا ما جاء في المعجم الكبير عن عبد الله بن مسعود وهو (هذلي) قال : من سره أن يلقي الله غدا مسلما فليحافظ على هذه الصلوات المكتوبات حيث ينادي بهن فإنهن من سنن الهدى ، وإن الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى ولعمري ما إخال أحدا منكم إلا قد اتخذ من بيته مسجدا ... " .[٢]

ثانيا : اللهجات المنسوبة الغير ملقبة :

١ ــ بين الأصوات المتقاربة المخارج :

ــ بين الهمزة والهاء :

وقد نص المعري على كثرة هذا الإبدال ، فالهاء تبدل من الهمزة في كلمات كثيرة ذكر بعضا منها يقول : " والوجه الآخر في (مهيمن) أن يكون من الأمن ، وقد أبدلت الهاء من الهمزة وقد يبدلونها من الهمزة كثيرا ، كما قالوا : هبرية وإبرية لما يتساقط من وسخ الرأس ، وهرقت وأرقت ، وهرحت الدابة وأرحتها ، وهما والله وأما والله " .[٣]

ومن ذلك أيضا قوله : " فأما مهراق فإن الهاء بدل من الهمزة فكأن أصله موءراق، فالهاء زائدة ؛ لأنها وضعت موضع الهمزة ، وليس ذلك إلا في هذا البناء وحده ، وتقول : مُهْريق ، ومُهْرَيق ، ومهَراق ، ومهْراق فتحرك وتسكن ، ومن ذلك قول امرئ القيس :

فإن شفائي عبراة مُهَراقة

---

(١) الكتاب المصنف فى الأحاديث والآثار – ابن أبى شيبة ٣ / ٢٣٣ .

(٢) المعجم الكبير ٩ / ١١٦ ، حديث رقم ٨٥٩٦ .

(٣) رسالة الملائكة ٢٣٥ .

وقال آخر :

فكنت كمهريق الـــذي في ســـقائه ∴ لرقـــراق آل فـــوق رابيـــة صَـــلْد

ومثل مهراق: هرحت الدابة ، وهنرت الثوب " .[١]

ومن ذلك أيضا : دهده : في دهدأ . يقول : " النحويون يذكرون دهديت فيما أبدلت فيه الألف من الهاء . كأنهم قالوا دهده ، ثم قللوا دهدى ، فـــإذا ردوه إلى أخبـــار المتكلم قالوا دهـــديت ، وإنما حملهم على الإبدال تكرر الهاء في كلمة واحدة . وإبـــدال الهاء من الهمزة أكثر وأقيس كما قالوا : أراق وهراق . وقال قوم إنما أبدلت الهمزة مـــن الهاء ، وقالوا : دهدأ ، ثم أبدلوا الألف من الهمزة ، كما قالوا : قرأ وقرا ، وأبطأ وأبطا . قالت الهذلية :

ككبة الغـــزل جالـــت في أمـــدقها ∴ بينا تدهـــدهنا عـــدنا ندهـــديها[٢]

فالمعري في هذا الفعل (دهده) يجيز أمرين أحدهما : إبدال الهاء من الهمزة ، إذ أصله دهدأ وهو الأكثر والأقيس عنده . ثانيهما : إبدال الهمزة من الهاء ، ثم تخفيف الهمزة بقلبها ألفا وعلى هذا فالهاء أصل والهمزة بدل .

ولم يشر أبو الطيب اللغوي إلى إبدال الهاء من الهمزة في دهدأ ، وإنما أشـــار إلى إبدال الياء من الهاء فقال : يقال دهدهت الحجر ودهديته : إذا دحرجته "[٣] كذا فعل ابن سيدة وابن منظور والفيروز أبادي .[٤]

وإبدال الهاء من الهمزة لهجة عربية فصيحة جاءت في القراءات القرآنية ، كمـــا في قراءة ابن كثير ﴿ هأنتم ﴾ "[٥] وقراءة : ﴿ هياك نعبد وهياك نستعين ﴾[١] وفي الحديث

---

[١] السابق ٢٤٤ .

[٢] عبث الوليد ٨٧ .

[٣] الإبدال لأبي الطيب ٢ / ٥٣١ ، ٥٦٧ .

[٤] المحكم (هـــ د هـــ د) ٤ / ٩٤ ، واللسان (د هـــ د هـــ) ، والقاموس (د هـــ د هـــ) .

[٥] سورة آل عمران من الآية (٦٥) ، انظر المحرر الوجيز ٤٥٠/١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠٨/٤

النبوي الشريف " ... إن النبي ـ ﷺ ـ قال بعدما دخل بيته واشتد وجعه : هريقوا على من سبع قرب لم تحلل " . [٢] وفي الشعر العربي الفصيح كما في قول أوس بن حجر :

ليث عليه من البردي هبرية ... كالمرزباني عيار بأوصال[٣]

وقد نسب أكثر العلماء إبدال الهاء من الهمزة إلى طيء . [٤] وعزاها الخليل إلى أهل الحجاز قال : " وأهل الحجاز يقولون في الإجابة (ها) خفيفة ، وفي هذا المعنى يقولون : ها بدل من ألف الاستفهام تقول : ها إنك زيد ، معناه : أإنك زيد ، أو يقصر فيقال هإنك زيد"[٥] وعزاها اللحياني إلى أهل اليمن قال ابن سيدة : " أراقه هو وهراقه على البدل عن اللحياني وقال : هي لغة يمانية ثم فشت في مضر ... " . [٦] وعزاها الزبيدي إلى تغلب قال : " وهي لغة بني تغلب حكاها اللحياني عنهم في نوادره " . [٧]

وعلى كل فنسبة هذه الظاهرة إلى طيء أو اليمن نسبة صحيحة ؛ لأن طيئا كانت تسكن اليمن ، ثم هاجرت إلى نجد . أما نسبتها إلى بني تغلب فلعله من قبيل التأثر بين اللهجات المتجاورة ؛ لأن بني تغلب من نجد ، فالظاهرة وجدت أولا في طيء ثم انتقلت إلى بني تغلب بعد هجرة طيء إلى نجد .

أما نسبتها لأهل الحجاز ، فلأن أهل الحجاز يخففون الهمزة أصلا ، ولا يحققونها ، فلعل ذلك كان سببا أو طريقا لتخفيف الهمز . قال ابن يعيش معللا لهذا الإبدال : " أبدلوها منها إبدالا صالحا على سبيل التخفيف ، إذ الهمز حرف شديد مستثقل ، والهاء

---

[١] الفاتحة آية (٥) وقد قرأ بها أبو السوار الغنوي . المحرر الوجيز ١ / ٧٢ .

[٢] فتح الباري (كتاب الوضوء ١ / ٣٠٢).

[٣] الإبدال لأبي الطيب ٢ / ٥٦٨ / ٥٦٩ .

[٤] المحتسب ١ / ٤٠ ، وسر الصناعة ٢ / ٥٥٢ ، والشافية ١ / ١١٦ ، والممتع لابن عصفور ٣٩٧/١، و بحوث ومقالات فى اللغة ص٢٣٢ .

[٥] العين (ها) ٤ / ١٠٣ .

[٦] المحكم (ر ى ق) ٦ / ٥٠٠ .

[٧] التاج (أ ر ق) .

حرف مهموس ضعيف ، فمخرجاها متقاربان إلا أن الهمزة أدخل منها في الحلق ، قالوا : هرق الماء: أرقته . [١]

إلا أن هذا الإبدال يجب أن يقف عند الكلمات التي سمع فيها هذا البدل ولا يتعداها إلى غيرها فيجعل مقيسا ، وقد حدد ابن خالويه هذه الكلمات التي سمع فيها إبدال الهاء من الهمزة . [٢]

ـــ بين العين والحاء :

وقد أورد منه المعري قوله : " الحرصات مثل العرصات ، أبدلت الحاء من العين " .[٣] فالمعري قد نص على جواز هذا الإبدال ، وأن العين هي الأصل والحاء بدل منها وأصل العرصات : جمع عرصة : وهي وسط الدار[٤] ، وقيل : كل موضع واسع لا بناء فيه[٥] ، أما الحرصات فهي جمع حرصه وهي وسط كل شيء . [٦] فقد روى عن زيد بن ثابت أنه قال في الحرصة التي تكون بين اللحم والجلد في الرأس خمسون درهما . [٧]

ولم أجد أحداً من علماء اللغة أورد إبدال الحاء من العين في الحرصات غير الخليل بن أحمد الذي قال : الحرصة : مستقر وسط كل شيء كالعرصة للدار " . [٨] وقد نفى ذلك الأزهري فقال " لم أسمع حرصة بمعنى العرصة لغير الليث " . [٩] وقد نقل ذلك عنه ابن منظور ، والزبيدي . [١٠]

---

[١] شرح المفصل ١٠ / ٤٢ .

[٢] ليس في كلام العرب ٣٦٦ .

[٣] رسالة الغفران ٢٤٨ .

[٤] العين (ع ص ر) ١ / ٢٩٨ .

[٥] النهاية ٣ / ٢٠٨ ، واللسان (ع ر ص) .

[٦] العين (ح ص ر) ٣ / ١١٦ .

[٧] مصنف عبد الرازق ــ لأبي بكر الصنعاني ٩ / ٣١٥ .

[٨] العين (ح ص ر) ٣ / ١١٦ .

[٩] التهذيب (ح ص ر) ٤ / ١٤٠ .

[١٠] اللسان والتاج (ح ر ص) .

وهذا الإبدال وإن كانت تقره قوانين اللغة لقرب مخرج الحرفين (العين والحاء) وقد ورد في كلمات كثيرة كما في ضبحت الخيل وضبعت ، وبحثر وبعثر ، وحدس وعدس ، والحرج والعرج في الإبل الكثيرة ... إلخ [١]. إلا أنه يجب ألا يعتد به في مثل الحرصات والعرصات لأن أكثر علماء على الفرق بينهما في المعنى ، فالحرصات أعم : إذ هي وسط كل شيء ، أم العرصات فهي فقط في وسط الدار .

وقد عزى إبدال الحاء من العين في مواضع عدة إلى البيئات البدوية كأسد وتميم وأهل اليمن . قال الخليل بن أحمد : " العرجلة : القطيع من الخيل . وهي بلغة تميم الحرجلة"[٢] . قال الفراء : " في قوله تعالى : ﴿ أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور ﴾ [٣] :"وسمعت بعض أعراب بني أسد يقرأها (بحثر) وهما لغتان : بحثر وبعثر " .[٤] وذكر نشوان الحميري أن أهل اليمن يقولون في (زلع) جلده بالنار : زلح .[٥]

ـــ بين الضاد والظاء :

وقد أورد المعري هذا الإبدال في قوله : " وزعمت أنك رأيت جاموسا خرج من بيضة ! فعلى أي وجه أحمل كذبك ؟ مثلي معك مثل الرجل مع عمر بن عبد العزيز لما قال له : ما تقول في رجل ظحى بضبي ؟ فقال عمر : قل : ضحى بظبي . فقال : إنها لغة . فقال عمر : انقضى العتاب " .[٦]

فالظاء في (ظبي) قد أبدلت ضاداً في لغة لم يذكرها المعري . وقد أورد السيوطي هذا الحديث في مزهره عن عمر بن الخطاب . قال : " يروى أن رجلا قال لعمر بن الخطاب: ما تقول في رجل ظحى بضبي ؟ فعجب عمر ـــ ومن حضره ـــ من قوله ، فقال :

---

[١] الإبدال لأبي الطيب ١ / ٢٩٢ وما بعدها .

[٢] العين (ع ج ل) ٢ / ٣٢٠ .

[٣] العاديات من الآية (٩) .

[٤] معاني القرآن ٣ / ٢٨٦ .

[٥] شمس العلوم ٤ / ٣٧٢ .

[٦] رسالة الصاهل والشاحج ٣٠٥ .

يا أمير المؤمنين إنها لغة ــ وكسر اللام ــ فكان عجبهم من كسره لام لغة أشد من عجبهم من قلب الضاد ظاء والظاء ضادا " .[١]

والإبدال بين الضاد والظاء وقع في كثير من الكلمات أهمها : فاضت نفسه ، وفاظت ، والحضض والحظظ ، والحضل والحظل في الفساد الذي يلحق أصول سعف النخل ، والعضلان والعظلان ، وهو ضرب من الفأر أو الجرذان " .[٢]

وذلك لقرب مخرجيهما ، واتحادهما صفة عند الأقدمين . وبهما قرئ قوله تعالى ﴿وما هو على الغيب بضنين ﴾[٣] فقد قرأ ابن كثير . وأبو عمرو ، والكسائي (بظنين) بالظاء ، وقرأ الباقون (بضنين) بالضاد .[٤]

أما عن نسبة هذه الظاهرة (إبدال الظاء ضادا) : فقد عزا الفراء الظاء في (فاظت) إلى أهل الحجاز وطيء .[٥] وعزاها أبو زكريا النووي (ت ٦٧٦هـ) إلى طيء وحدها[٦] ، وجعلها أبو زيد لغة لجميع العرب إلا بني ضبة بن أد .[٧]

أما لغة الضاد في (فاضت) فقد عزاها الفراء إلى قضاعة وتميم وقيس . وعزاها أبو زيد إلى بني ضبة بن أد وحدهم ، ووافقه ابن دريد ، والسهيلي[٨] ، وعزاها أبو عبيد إلى ناس من تميم[٩] ، كذا قال ابن السكيت[١٠] ، وعزاها الأصمعي لربيعة بن مالك قال ابن فارس : قال (أي الأصمعي) وسمعت مشيخة فصحاء من ربيعة بن مالك يقولون :

---

[١] المزهر ١ / ٥٦٢ ، ٥٦٣ .

[٢] الإبدال لأبي الطيب ٢ / ٢٦٧ ، والمزهر ٢ / ٥٦١ وما بعدها .

[٣] سورة التكوير آية (٢٤) .

[٤] إعراب القرآن ٥ / ١٦٣ .و الإتحاف ١ / ٥٧٤

[٥] الزاهر ٢ / ٣٤٧ ، و مشارق الأنوار ٢ / ١٦٦ ، واللسان (ف ى ظ) .

[٦] شرح النووي على صحيح مسلم ٧ / ٨١ .

[٧] اللسان (ف ى ط) .

[٨] الجمهرة (ظ ف ى) ، والروض الأنف ٣ / ١٢٨ ، والمزهر ١ / ٤٦٢ .

[٩] المزهر ١ / ٤٦١ .

[١٠] إصلاح المنطق ١ / ٢٨٦ .

فاضت نفسه بالضاد ، وسمعت شيخا منهم ينشد :

وكـــدت لـــولا أجـــل تـــأخرا ∴ تفيض نفسي إذ زهـــاهم زمـــرا[١]

وعزاها ابن منظور لتميم وكلب .[٢]

والحقيقة أن هذه القبائل جميعها (قضاعة ، وتميم ، وقيس ، وبني ضبة ومنازلهـــم بجوار بني تميم [٣] وربيعة بن مالك وهم بطن من تميم[٤] ، وكلب يغلب عليهم جميعا طابع البداوة .

ومما يؤكد نسبة الظاء إلى أهل الحجاز أن الضاد كتبت بالظاء في مصاحف ابـــن عباس ، وعائشة ، كما قرأها بالظاء ابن محيصن وابن كثير في قوله تعالى (بظنين) بـــدل (بضنين) ـــ كما سبق ـــ وابن عباس وعائشة حجازيان ، وابن كثير مكي ، وابن محيصـــن قرشي فهم جميعا يؤلون إلى بيئة الحجاز .[٥]

أما ما ذكر في اللسان نقلا عن ـــ أبي زيد وأبي عبيدة ـــ : أن فاظت نفسه بالظاء لغة لقيس[٦] ففي ظاهره التناقض ، إذ قد سبق نسبة الضاد إلى قيس ، مما دفع أحد الباحثين المحدثين لتبرير هذه الروايات المضطربة فقال : " أمام هذه الروايات المضطربة ، نـــرجح أن قبائل قيس ـــ منها ما كان يجاور الحجاز كغطفان ، ومنها ما كان يجاور منـــاطق الشـــرق كغنى ، والذين كانوا يجاورون الحجاز من الحضر ، وما كان منها متصلا بأسد وتميم مـــن البداوة ـــ فرواية أبي عبيدة وأبي زيد تحمل على ما جاور الحجاز من قبائل قيس ـــ وهـــم الناطقون بالظاء – وأما الناطقون بالضاد فهم أهل البادية منهم والمتصلون بأسد وتميم .[٧]

---

[١] المقاييس (ف ى ض) .

[٢] اللسان (ف ى ظ) .

[٣] معجم قبائل العرب ٢ / ٦٦١ .

[٤] الاشتقاق لابن دريد ص٦٧ .

[٥] اللهجات العربية في التراث ٤٢٨ ، ٤٢٩ .

[٦] اللسان (ف ى ظ) .

[٧] اللهجات العربية في التراث ٤٢٩ .

وعلى ذلك فلغة الظاء لأهل الحجـــاز ومن جاورهـــم ، ولغة الضاد لأهل الباديـــة ومن جاورهم .

بين السين والصاد :

يقول المعري : " فأما (سقر) فإن كان عربيا فهو مناســـب لقـــولهم : صـــقرته الشمس: إذا آلمت دماغه ، يقال بالسين والصاد . قال ذو الرمة :

إذا ذابت الشمس أنفى صـــفراتها ∴ بأفنـــان مربـــوع الصـــريمة معبـــل

والسين والصاد يتعاقبان في الحرف إذا كان بعدهما قاف أو خاء أو غين ، أو طاء . يقال : سقت وصقت ، وسويق وصويق ، وبسط وبصط ، وسلغ الكبس وصلغ " .[١]

فالمعري يجيز إبدال السين طاء في كل اسم أو فعل حين يقع بعدها حـــرف مـــن الحروف الأربعة المذكورة . ويضيف شرطا آخر لهذا التعاقب : وهو أن تتقدم السين على هذه الحروف ، فإن تأخرت عنها بدون فاصل أو بفاصل امتنع هذا الإبدال . يقول : " إذا كان في أول الاسم أو الفعل أو في وسطهما سين وبعدها طاء أو غين أو خاء أو قاف جاز أن تجعل تلك السين صادا مثل قولهم : سقر وبسط وسلخ الغنم والسويق للمشروب ، فإذا كانت تلك السين بعد هذه الحروف المذكورة إما والية لها وإما غير موالـــية فإن التغيير لا يقع مثل قولك خلس الشيء ، و في يديه قبس ، وهذا غلس الصبح وطسم المترل ... " .[٢]

فكأن المعري يجعل هذا الإبدال مقيسا عند توافر الشروط التي ذكرها ، وعلـــى هذا أكثر علماء العربية كسيبويه ، وأبي الطيب اللغـــوي ، وابـــن ســـيدة ، وأبي محمـــد البطليوسي .[٣] وذلك لاتحاد مخرجهما ـــ (السين والصاد) ـــ إذ هما من طرف اللســـان فيما بينه وبين الثنايا من ناحية ، ومن ناحية ثانية اتحادهما في الهمس ، والصفير ، والرخاوة ،

---

[١] رسالة الملائكة ٢٣، ٢٤ .

[٢] عبث الوليد ٢٠٤ .

[٣] الكتاب ٤ / ٤٧٩ وما بعدها ، الإبدال ٢ / ١٧٢ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، والمخصص ١٣ / ٢٦٨ ، المزهر ١ / ٤٦٩ ، ٤٧٠ .

والإصمات ، ومن ناحية ثالثة للتخفيف وذلك بان يكون عمل اللسان واحدا متصعداً حين ينطق بالصاد وبعدها حرف من حروف الاستعلاء الأربعة السابقة ، أما في النطق بالسين ففيه كلفة على اللسان إذ يتسفل بالسين ويتصعد بحروف الاستعلاء بعده . فإذا تقدمت السين على هذه الحروف فلا كلفة على اللسان ؛ لأنه انحدار من علو وهو خفيف .

أما عن نسبة هاتين اللغتين : فقد عزى النطق بالصاد في الكلمات السابقة إلى القبائل البدوية . إذ عزاه الفراء إلى بني العنبر[١] ، وهم من تميم ، وقد توغلوا في البداوة ، و من ذلك ما جاء عن زغيب بن نسير العنبري من قوله :

نظرت بأعلى الصوق والباب دونه ∴ إلى نعم ترعى قوافي مسرد[٢]

كذا عزاه يونس إلى عمرو بن تميم[٣] ، وعزاه د / الجندي إلى القبائل البدوية بصفة عامة معللا ذلك بقوله : " أصوات الإطباق أصوات مفخمة ، لها رنة قوية في الآذان ، مما يلائم طباع البدو وخشونتهم فلا عجب ــ إذا ــ أن تشيع تلك الأصوات في لهجات البدو، وأن تأخذ في الانقراض من ألسنة المتحضرين"[٤] . كذا عزاه د / داود سلوم إلى تميم.[٥]

أما ما جاء في كتب اللغة من نسبة الصاد في لفظ (الصراط) إلى قريش ، والسين إلى عامة العرب[٦] ، فذلك دليل على أن اللغة ظاهرة اجتماعية تخضع في نظمها وأصولها لظروف البيئة ، وأنها لا تعرف الحتمية والقسر ، والدليل على ذلك ــ أيضا ــ ما رواه الفراء عن بني سليم وهوازن وأهل العالية وهذيل من أنهم يقولون : هو أخوه صوغه ــ بالصاد . وكلهم أهل حضر ، وكان عليهم أن ينطقوا ذلك بالسين ، لكنهم

---

[١] الإبدال لأبي الطيب ١ / ١٥ ، ١٦ ، وفي اللهجات العربية ١٢٨ .

[٢] اللهجات العربية في التراث ٤٤٦ .

[٣] اللهجات العربية في التراث ٤٤٦ .

[٤] في اللهجات العربية ١٢٧ / ١٢٨ .

[٥] المعجم الكامل في لهجات الفصحى ٢٠٢ .

[٦] الإبدال لأبي الطيب ١ / ١٥ ، التهذيب (س ر ط) ، والكشاف ١١/١ ، وحاشية الشهاب على البيضاوي ١ / ١٣١ ، والبحر المحيط ١/ ٢٥ .

خالفوا ما كان يتوقع منهم .[١]

وعلى هذا نستطيع أن نقول إن النطق بالصاد في قريش أو غيرها من أهل الحضر إنما هو في كلمات قليلة معدودة ، وأنه هو الأصل في البيئات البدوية كما سبق .

وباللغتين قرئ قوله تعالى : ﴿ والنخل باسقات ﴾[٢] ، ﴿ وكأنما يساقون إلى الموت﴾[٣] و ﴿ أسبغ عليكم نعمه ﴾ .[٤]

ـــ بين الزاي والصاد :

يقول المعري : " قالوا في المثل (لم يجرم من فزد له) ـــ يريدون : فصد له ، فسكنوا الصاد على لغة ربيعة ، ثم أبدلوا منها الزاي " .[٥]

فأصل فزد عنده هو (فصد) ثم أسكن بنو ربيعة الصاد أولا ، ثم أبدلت الصاد زايا. وهذا يعني أن إبدال الصاد زايا لا يكون إلا بعد إسكان الصاد . وأصل المثل هو (لم يحرم من فصد له) بالحاء في يحرم ، ويضرب في القناعة باليسير[٦] . وإبدال الصاد في فصد زايا عليه كثير من علماء اللغة ، واشترطوا فيه أن تسكن الصاد ، وأن يقع بعدها دال .[٧]

وقد وصف سيبويه أهل هذه اللهجة ـــ (أي الزاي) ـــ بالفصاحة قال : " سمعنا العرب الفصحاء يجعلونها (الصاد) زايا خالصة ... وذلك قولك في التصدير : التزدير ، وفي الفصد : الفزد ، وفي أصدرت : أزدرت "[٨] . كذا قال الزمخشري :" الصاد الساكنة إذا وقعت قبل الدال جاز إبدالها زايا خالصة في لغة فصحاء من العرب ومنه : (لم يحرم من

---

[١] اللهجات العربية في التراث ٤٤٥ .

[٢] سورة ق آية (١٠) وانظر المحرر الوجيز ١٥٨/٥ .

[٣] سورة الأنفال آية (٦) .

[٤] سورة لقمان آية (٢٠) ، وانظر فتح القدير ٢٤١/٤.

[٥] رسالة الصاهل الشاحج ١٢٤ .

[٦] مجمع الأمثال ٢ / ١٩٢ .

[٧] الكتاب ٤ / ٤٧٧ ، والتهذيب (ص د ف) ١٢ / ١٠٤ ، وسر الصناعة ١ / ٥١ ، والمفصل ٥١٩ ، والقاموس (ف ص د) .

[٨] الكتاب ٤ / ٤٧٨ .

فزد له) وقول أبي حاتم : هكذا فزدى أنه .[١]

ولم يحددا من هم هؤلاء الفصحاء من العرب . على حين عزاها ابن دريد إلى تميم فقال : " الزقر لغة في الصقر تميمية "[٢] . وعزاها أبو الطيب اللغوي إلى طيء قال : " يقال: هي المزدغة والمصدغة للمخدة ، وطيء تقلب كل صاد ساكنة زايا ... "[٣] ونسب إلى كلب أنها تقلب الصاد زايا مع القاف خاصة .[٤]

وما يعزز نسبة الظاهرة إلى طيء ورود المثل على لسان حاتم وهو من طيء ، ومما يؤيد نسبتها أيضا إلى كلب وهم بطن من قضاعة أنه قد نسب إليها– أيضا ــ وإلى عذرة وبني القين وهما من بطون قضاعة ، وديارهم قريبة من مساكن كلب .[٥] أنهم يقولون (الزراط) بالزاي الخالصة بدلا من الصاد في الصراط .

وعلى هذه اللهجة قرئ (الزراط) في قوله تعالى : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم﴾[٦] وعليها أيضا قول الشاعر :

يزيد زاد الله في خيراته ... حامي نزار عند مزدوقاته[٧]

أي: مصدوقاته .

وقد علل ابن جني إبدال الزاي من الصاد الساكنة وبعدها دال بقوله : " لما سكنت الصاد ضارعوا بها الدال التي بعدها بأن قلبوها إلى أشبه الحروف بالدال من مخرج الصاد وهي الزاي ؛ لأنها مجهورة ، كما أن الدال مجهورة ، فقالوا : فزد ، فإن تحركت الصاد لم يجز فيها البدل وذلك نحو : صدر ، وصدف ، لا تقول فيه : زدر ، ولا زدف ، وذلك أن الحركة قوت الحرف وحصنته فأبعدته من الانقلاب ، بل يجوز فيها إذا تحركت

---

[١] المفصل ٥١٩ .

[٢] الجمهرة (ر ص ق) ٢ / ٣٢٤ .

[٣] الإبدال ١٢٦ ، ١٢٧ .

[٤] سر الصناعة ١ / ١٩٦ .

[٥] معجم قبائل العرب ٣ / ٩٧٤ ، ٩٩١ .

[٦] الفاتحة آية (٦) ورواها الأصمعي عن أبي عمرو ، البحر المحيط ١٤٣/١ .

[٧] سر الصناعة ١ / ١٨٠ ، والبحر المحيط ٣ / ٣٢٦ .

إشمامها رائحة الزاي، فأما أن تخلص وهي متحركة زايا كما تخلص وهي ساكنة فلا وإنما تقلب الصاد زايا أو تشم رائحتها إذا وقعت قبل الدال ، فإن وقعت قبل غيرها لم يجز ذلك فيها "[١] . كذا قال ابن سيدة ، وابن منظور ، والزبيدي .[٢]

ـــ بين الثاء والفاء :

يقول المعري : " فأسبح الله وأمجده وأقول قد صارت لي بكما وسيله فوسعا لي في الجدف إن شئتما بالفاء ، وإن شئتما بالثاء ؛ لأن إحداهما تبدل من الأخرى كما قالوا : مغاثير ومغافير ، وأثافي وأفافي ، وثوم وفوم .... " .[٣] كذا قوله : " والجفل (بالفاء والثاء) : النمل.[٤]

فالمعري (رحمه الله) يقر الإبدال بين (الثاء والفاء) وذكر لذلك عدداً من الأمثلة كما سبق ، ويلاحظ أن بين الحرفين علاقة تسمح بانتقال أحد الصوتين إلى الآخر ، فهما متقاربان مخرجا وصفة ، إذ الثاء صوت أسناني ، والفاء صوت شفوي أسناني ، وهما رخوان مهموسان ، مستفلان ، منفتحان [٥]

وقد أجاز كثير من علماء العربية هذا الإبدال بينهما وذكروا لذلك نماذج عديدة ومنهم الخليل بن أحمد ، وابن دريد ، وأبو الطيب ، والأزهري ، والجوهري ، وابن سيدة ، وأبو حيان ، وابن منظور ، والزبيدي وغيرهم .[٦]

فمن ذلك : الجدث والجدف وهما بمعنى واحد وهو القبر . والمغافير والمغاثير وهما بمعنى ما ينضحه الثمام والرمث والعشر كالعسل ، وثم وفم ، والثوم والفوم ، وثلغ رأسه

---

[١] سر الصناعة ١ / ٥٩.

[٢] المحكم (ص د ف) ٨ / ٢٩٢ ، واللسان ، والتاج (ف ص د) .

[٣] رسالة الملائكة ١٦ .

[٤] الفصول والغايات ٤٣٤/١

[٥] الأصوات اللغوية ٤٦ ،٤٧

[٦] أنظر على الترتيب : الجمهرة (ث ج د) ، والإبدال ١٨١/١ وما بعدها ، والتهذيب (ج د ث) ٣٣٤/١٠ ، والمحكم (ج د ث) ٣٠٧/٧ ، والبحر المحيط ٧ / ٣٠٨ ، ٨ / ١٧٠ ، واللسان (ج د ث) والتاج (ج د ث) .

يثلغه ثلغا ، وفلغه يفلغه فلغا : إذا شدخه .

ولا أدل على صحة هذا الإبدال من وروده في القراءات القرآنية ، والحديث النبوي الشريف ، والشعر العربي . فمن القراءات . قوله تعالى : ﴿ فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون ﴾[١] قرئ بالفاء من الأجداف . وكذا قوله : ﴿ وفومها وعدسها وبصلها ﴾ قرئ وثومها . [٢] ومن الشعر قول المعري :

مراس الأذى ولباس الضنى ∴ وسُقيَ الحمام وسكنى الجدث[٣]

وقول لبيد :

أقول لصاحبي بذات غسل ∴ ألما بي على الجدث المقيم[٤]

وقد استعمل الشريف الرضي وهو شاعر عباسي اللغتان معا في شعره (جدث وجدف) في معنى القبر . قال :

يا صاحب الجدث الذي نفثتْ به ∴ فاسترجعته برغُمنا الأزمانُ

نبكيك لو يثنى بأدمعنا الردى ∴ أو يرعوى لبكائنا الحدثان[٥]

كذا قوله :

ويوم أدعوكم للخطب أحذرُهُ ∴ داع يبلغ من قد ضمه الجدف[٦]

واستعمال الشاعر لغة غير لغة قومه في شعره أمر تقره عوامل الاتصال والتأثر بين

---

[١] سورة يس آية (٥١) انظر الكشاف ٢٣/٤.

[٢] سورة البقرة آية (٦١) .وهى لابن مسعود ، و أبى (زاد المسير ٨٩/١،والمحررالوجيز ١٥٣/١)

[٣] لزوم ما لا يلزم ٢٥٢/١

[٤] ديوان لبيد صـ٥٠

[٥] الديوان ٥١١/٢ .

[٦] الديوان ٦/٢ .

البيئات العربية ، وقد وضحه ابن جني وبين أسبابه وموقفه من هذه الظاهرة[١] ، كما أجازه أبو العلاء المعري . فقال : " كان بعض العرب يسمع لغة بعض فيستعملها في شعره كما قال طفيل الغنوي :

فلما فنا ما في الكنائن قارعوا ∴ بكل رقيق الشفرتين مشطب

قال فنا ، فاستعمل لغة طيء وليست من لغة قومه . [٢]

وفي بحثنا (العلة اللغوية عند ابن جني في ضوء علم اللغة الحديث) تفصيل كامل لهذه الظاهرة . [٣] وفي الحديث : " إذًا يفلغوا رأسي " ويروى : يثلغوا رأسي " . [٤]

أما عن نسبة اللغتين : فقد عزا أبو الطيب اللغوي النطق بالثاء إلى بني أسد ، وتميم، وطيء . قال : " قال الفراء : بنو أسد المغثور والجميع المغاثير ، وغيرهم بالفاء ... وتميم تسمى الأثافي : الأثاثي .... ويقال : ولد في الدفئي ، وطيء يقول : في الدثئي : إذا ولد في آخر الشتاء ، وقبل الصيف ... "[٥]

وذكر الإمام بدر الدين العيني (ت ٨٥٥هـ) عن أبي عبيدة أن الجدث بالثاء لغة أهل العالية وأهل نجد يقولون : جدف بالفاء . [٦]

وعزا الفيومي الثاء إلى أهل تهامة ، والفاء إلى أهل نجد[٧] ، وعزا ابن منظور الثاء إلى بني أسد ، والفاء إلى بني سليم . [٨]

وعلى هذا فالبيئات البدوية قد مالت إلى صوت الثاء بدلا من الفاء ، بينما مالت الحضرية كبني سليم إلى صوت الفاء .

---

[١] الخصائص ١ / ٣٧٣ وما بعدها ، ٢ / ١٤ .

[٢] عبث الوليد ٢٣٣ .

[٣] مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط . العدد السابع والعشرون ٤١٩/١ وما بعدها لسنة ٢٠٠٨ .

[٤] الإبدال لأبي الطيب ١٨٣ .

[٥] السابق ١٨٦ ، ١٩٠ ، ١٩٤ .

[٦] عمدة القارئ ٨ / ١٨٦ .

[٧] المصباح المنير (ج د ث) .

[٨] اللسان (ك ر ث أ) .

والثاء لتميم ــ ومن جاورها ــ أليق ؛ لأنها بدوية تؤثر مــا كــان واضــحا في السمع، ولا شك أن الثاء أوضح في السمع من الفاء ، على الرغم من أنهما مهموسان .[١]

٢) بين الأصوات المتباعدة المخارج :

ــ بين الهمزة والواو :

ذكر المعري أن الواو إذا وقعت في أول الكلمة أو وسطها قلبت همزة عند بعض العرب مضمومة كانت أو مكسورة ٠ يقول : " وقلبهم الواو المضمومة همزة شائع وكثير ، يقولون : ولد له أولاد ، وألد له ، وفي الكتاب العزيز وقتت وأقتت وهو مــن الوقــت ، وقولهم : أد بن طانجة ، يجوز أن يكون أصله ود ، قلبت الواو همزة ، ويجــوز أن يكــون مأخوذا من الأد ، وهي القوة ، أو من قولهم : أدت الإبل إذا حنت حنينا شديداً " .[٢]

كذا قوله : " الآدر مخففة من الأدؤر جمع كل دار .وكل واو مضمومة فى وسط أو أول يجوز همزها مثل واو وجوه والتشاور " ٠.[٣]

وشرط هذا الإبدال فى المضمومة عنده أن تكون ضمة الهمــزة لازمــة أى لغــير الإعراب . فإن كانت الضمة لإعراب لم يجز الهمز كقولك هذه دلوٌ وغزوٌ. أما إن كانــت الضمة عارضة لالتقاء الساكنين مثل قوله تعالى (ولا تنسوا الفضل بينكم) فإن البصريين لا يجيزون همز هذه الواو ، وقد أجاز همزها أهل الكوفة ٠.[٤]

وعلل المعري ذلك بمجاورة الواو الضمة ، وعزاها إلى هذيل قال عن همز واو موسى : "حكى بعضهم (مؤسى) إذا كان اسما ، وزعم النحويون أن ذلك لمجاورة الواو الضمة ؛ لأن الواو إذا كانت مضمومة حتما لغير إعراب ، وغير ما يشابه الإعراب جاز أن تحــول همزة . كما قالوا : وقتت وأقتت ، وحمائم ورق وأرق ، ووشحت وأشحت قال الهذلي :

---

[١] اللهجات العربية في التراث ٤١٨ .

[٢] رسالة الملائكة ١٣٠ ، ١٣١ .

[٣] الفصول والغايات ١/ ٢٣٥ .

[٤] الفصول والغايات ١ / ٢٣٦ .

(١)

أبا معقل إن كنت أشـــحت حُلَـــةً ∴ أبا معقل فانظر بسهمك من ترمـــي ..... " .(٢)

وعن الواو المكسورة يقول : " الواو المكسورة إنما تهمز إذا وقعت أولاً مثـــل : وشاح وإشاح ، ووعاء وإعاء ، كما قال الهذلي :

هـــواء مثـــل بعلـــك مســـتميت ∴ علـــى مـــا في إعائـــك كالخيـــال

وكان المازني يذهب إلى أن همزها في الأوائل مطرد ، والجرمي يزعم أنه مسموع، فأما إذا وقعت في غير الأوائل فهي مقرة على حالها مثل قولهم مقـــاوم في جمـــع مقـــام ، ومـــراود في جمـــع مرود " .(٣)

ويقول أيضا : " ومن ادعى أن إياك جائز أن تكون من وايت وجعلها فعلى مـــع ذلك ، فإنه يقول : أصلها وئياك فجعلت الهمزة ياء ، وجعلت الواو المكســـورة في أولهـــا همزة؛ لأن العرب يفعلون ذلك كثيرا فيقولون : وساد ، وإساد ، ووشاح ، وإشـــاح ... وعزاها لهذيل واستدل بقول الأعلم أخو صخر الغي الهذلي السابق .(٤)

وعلى هذا فإبدال الواو المضمومة أو المكسورة همزة عنده من لغة هذيل . إلا أنه يشترط في المضمومة أن تكون الضمة لازمة ، أي ليست حركة إعـــراب ، ويشـــترط في المكسورة أن تكون في أول الكلمة .

وقد نقل علي بن سلطان القارئ (ت ١٠١٤هـــ) عن الطيبي جواز قلب الواو المفتوحة همزة ، إلا أن قلب المضمومة قياسي كقوله تعالى : " أقتت " أما إبدال الهمزة من الواو الغير مضمومة فسماعي .(٥)

---

(١) البيت :ل معقل بن خويلد الهذلي فى المحكم ٣ / ٤٦٩ (ح ش و) ، اللسان (و ش ح) .

(٢) رسالة الملائكة ص١٠ .

(٣) عبث الوليد ١٨٤ .

(٤) رسالة الملائكة ٩٨ ، ٩٩

(٥) مرقاة المفاتيح ٢ / ٥٨٣ .

وإبدال الهمزة من الواو المفتوحة وإن أجازه ابن جني قبله ــ مثل أناة في وناة ، وأحد في وحد ، وأجم في وجم ، وأسماء في وسماء[١] ــ إلا أنه لم يرد فى القراءات القرآنية ، إذ فيها ورد قلب المضمومة والمكسورة فقط دون المفتوحة فمن المضمومة قوله تعالى : ﴿ إذا الرسل أقتت﴾ وقرئ وقتت[٢]، ومن المكسورة قوله تعالى ﴿ ثم استخرجها من وعاء أخيه﴾ وقرئ (من إعاء أخيه)[٣] كذا جاء في الشعر العربي . فمن المضمومة قول الشاعر :

يحل أُحَيْدة ويقال بعل ∴ ومثل تُمول منه افتقار

أراد : يحل وحيدة فلما انضمت الواو جعلها همزة .[٤]

ومن المكسورة قول الهذلي :

له إلدة سفع الوجوه كأنما ∴ يصفقهم وعك من الموم ماهن[٥]

فالواو : هي الأصل ، والهمزة بدل منها . وذلك للتخفيف من ثقل الضمة على الواو ، كما أنهم يستثقلون الكسرة .[٦]

وقيل إن إبدال المكسورة همزة إنما هو بالحمل على المضمومة قال ابن جني : " فإن قلت : فالهمزة على كل حال أثقل من الواو فكيف عدل عن الأثقل إلى ما هو أثقل منه . قيل : الهمزة وإن كانت أثقل من الواو على الإطلاق فإن الواو إذا انضمت كانت أثقل من الهمزة ؛ لأن ضمتها تزيدها ثقلا ، فأما إسادة وإعاء فإن الكسرة فيهما محمولة على الضمة في أقتت ... " .[٧]

---

[١] سر الصناعة ١ / ٩٢ .

[٢] سورة المرسلات آية (١١) وهي قراءة أبى عمرو (السبعة في القراءات ص٦٦٦ ، والإتحاف ٥٦٧/١ .

[٣] سورة يوسف آية (٧٦) وهي قراءة ابن جبير ، البحر المحيط ٥ / ٣٢٨ ، وروح المعاني ٢٩/١٣ .

[٤] الزاهر في معاني كلمات الناس ٢ / ١٢٧ .

[٥] ديوان الهذليين ٣ / ٤٩ .

[٦] الحجة في القراءات السبع ١ / ٣٦٠ .

[٧] الخصائص ٣ / ١٨٥ ، ١٨٦ .

أما عن نسبة هذه الظاهرة : فالمعري قد نسب إبدال الواو المضمـــومة والمكسورة إلى هذيل ، كذا عزاها إلى هذيل ابن دريد قال : " هذيل تقول : إشـــاح في وشـــاح ... ويقال: إسادة لغة هذلية "[١] . كذا قال الصفاقسي : " إبدال الواو المكسورة همزة مطرد في هذيل"[٢] . وكذا عزاها إلى هذيل د / عبد الجواد الطيب ، ود / الجندي .[٣]

و عزاها ابن عطية ،وأبو حيان ، والألوسي إلى سفلى مضر[٤] ، وعزا الخليل بن أحمد قلب الواو المكسورة إلى تميم قال : " وسد فلان فلانا وتوسد أي وضع رأسه علـــى وساده ، والإسادة لغة ... وهي لغة بني تميم ، وكذلك لغتهم في كـــل واو مكســـورة في الأدوات على فعال وفعاله " .[٥]

وهذا الإبدال مسموع عن بعض العرب – كما سبق – وإن لم تكن علاقة صوتية بين الحرفين المبدلين ، وربما كان ذلك تخفيفا من ثقل النطق بالثقيلين (الواو و الضـــمة) أو المتنافـــرين (الواو والكسرة)٠

---

[١] الجمهرة (ح ش و) .

[٢] المجيد في إعراب القرآن المجيد ١ / ٢٠٩ .

[٣] من لغات العرب لغة هذيل ١٠٠ ، ١٠١ ، واللهجات العربية في التراث ٣٤٣ .

[٤] المحرر الوجيز ٥ / ٤١٨ ، والبحر المحيط ٨ / ٣٩٦ ، وروح المعاني ٢٩/ ١٧٣ .

[٥] العين (د س و) .

المبحث الثانى

الإظهـــار والإدغـــام

من مظاهر الاختلاف بين اللهجات العربية اختلافهم في نطق الحرفين المـــثلين أو المتقاربين كل منهما منفردا على حده ، أو بإدغام أحدهما في الآخر ؛ تخفيفا من ثقل تكرار النطق بالصوت ؛ إذ يثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد ، ثم يعودوا إليه ، فلما صار ذلك تعبا عليهم أن يداركوا في موضع واحد ولا تكون مهلة ، كرهوه وأدغموا ؛ لتكون رفعة واحدة ، وكان أخف على ألسنتهم مما ذكرت لك .[١]

والإظهار لغة : هو البيان .[٢] واصطلاحا : هو إخراج كل حرف من مخرجه من

---

[١] الكتاب ٤ / ٤١٧ .

[٢] دستور العلماء ١ / ١٧٤ .

غير غنة في المظهر .[١]

أما الإدغام لغة : فقد عرفه أبو العلاء المعري بقوله : " الأصل في الإدغام إدخال شيء في شيء . ومن ذلك يقال : أدغمت الفرس في اللجام . قال الهذلي :

جُرْدٌ إذا فزعوا أدغمن في اللُجُم[٢]

كذا جاء في معجمات اللغة .[٣]

واصطلاحا : عرفه الرضي بقوله : أن تأتي بحرفين ساكن فمتحرك " .[٤]

وعرفه غيره من اللغويين بقوله : الإتيان بحرفين ساكن ومتحرك من مخرج واحد بلا فصل بينهما بأن ينطق بهما دفعة واحدة " .[٥]

وعند القراء هو : خلط الحرفين المتماثلين أو المتقاربين أو المتجانسين فيصيران حرفا واحدا مشددا يرتفع اللسان عند النطق ارتفاعة واحدة " .[٦]

وقد اشترط العلماء في المدغم أن يلتقي الحرفان خطا ولفظا ، أو خطا لا لفظا ، ليدخل نحو (إنه هو) فلا تمنع الصلة التي هو الواو الملفوظ بها في إنه هو ، ويخرج نحو (أنا نذير) لوجود الألف خطا وإن لم يكن يلفظ به .[٧]

كذا اشترطوا لوقوعه أن يكون الصوت الأول ساكنا ، حتى لا يوجد ما يفصل بين الصوتين المدغمين : قال سيبويه (أصل الإدغام أن يكون الأول (أي الحرف الأول) ساكنا"[٨] فإذا كان متحركا فلابد من إزالة الحركة حتى لا تحجز بينهما .

---

[١] نهاية القول المفيد في علم التجويد ١١٧ .

[٢] رسالة الصاهل والشاحج ٦٤٩ ، والبيت لساعدة بن جؤيه وصدره (عقربات بأيديهم أعنتها) الصاهل ٦٤٩ ، وديوان الهذليين ٣ / ١٩١١ .

[٣] المقاييس (د غ م) ، والمحكم (غ د م) ٥ / ٤٧٢ .

[٤] شرح الشافية ٣ / ٢٣٤ .

[٥] حاشية الخضري على ابن عقيل ٢ / ٤٧٤

[٦] نهاية القول المفيد ١٠٤ .

[٧] النشر ١ / ٢٧٨ والإتحاف ٣١ .

[٨] الكتاب ٤ / ٤٧٢ .

كما يشترط فيه إدغام ما ضعف من الحروف فيما قوى وليس العكس ؛ لأن رد الأقوى إلى الأضعف نقص في الحرف وفي اللفظ " .[١]

أما حديث أبي العلاء المعري عن هذه الظاهرة فنجده في موضعين أحدهما : " هو إدغام لام التعريف في بعض حروف المعجم " ، وثانيهما : " الإدغام في أصوات الحلق " .

أما الأول : وهو إدغام لام التعريف في بعض حروف المعجم فقد ذكر أنها تدغم في ثلاثة عشر حرفا فقط منها ، وقسمها إلى ثلاثة أقسام ، قال : " لام التعريف ، لما رآها الله تعالت قدرته تدغم في ثلاثة عشر حرفا من حروف المعجم على لغة أهل الحجاز والعالية وكل ساكن في أرض العرب إلا من شاء الله ، قيض الله لها قوما من أهل اليمن من حمير ، يجعلونها ميما فلا تدغم في شيء من الحروف ، كما لا تدغم فيها الميم ، والحروف التي تدغم فيها لام التعريف تنقسم في ترتيب حروف المعجم ثلاثة أقسام . فالقسم الأول حرفان متواليان وهما الثالث من حروف المعجم والرابع ، وذلك : التاء والثاء . والثاني : عشرة أحرف متواليات أولها الدال على ترتيب حروف المعجم وآخرها الظاء . والثالث : حرف فارد تدغم فيه اللام وهو النون " .[٢]

وذكر في موضع آخر نماذج لإدغام لام التعريف في بعض الحروف وأنها تصير من جنس ما بعدها . قال : " لام التعريف تصير مع الراء راء إذا قلت : الرجل ، ومع الدال دالا إذا قلت : الدر ، وعلى هذا تجري حال المدغمات " .[٣] أي يصير الحرف الأول إلى جنس الثاني في جميع المدغمات .

وما أورده المعري من إدغام لام التعريف في الأحرف الثلاثة عشر السابقة يعد إجماعا عند علماء اللغة والتجويد . إذ ذكروا أنها تدغم وجوبا في التاء ، والثاء ، والدال ، والذال ، والراء ، والزاي ، والسين ، والشين ، والصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء ،

---

[١] مشكل إعراب القرآن لمكي ٢ / ٧٧١ .

[٢] رسالة الصاهل والشاحج ٤٨٤ ، ٤٨٥ .

[٣] السابق ٤٩٦ .

والنون .[١]

وتسمى هذه الحروف ــ (أي التي تدغم فيهـا لام التعريـف) ــ شمسـية ، ويظهرونها وجوبا فيما عداها . وهي أربعة عشر حرفا ، وتسمى قمرية .[٢]

وأضاف بعض العلماء إلى الحروف التي تدغم فيها لام التعريف حرف اللام .[٣] وعللوا إدغام لام التعريف في هذه الحروف الأربعة عشر بقرب المخرج بينها وبين اللام . كما عللوا عدم إدغامها فيما عداها ببعد المخرج عنها . قال مكي بن أبي طالب : " وعلة إدغام لام التعريف في هذه الحروف أن مخرجها من مخارج هذه الحروف في الفـم ، فلمـا سكنت ولزمها السكون أشبهت اجتماع المثلين . والأول ساكن ، وكثرة الاستعمال لها . مع أن أكثر هذه الحـروف أقوى من اللام ، ليس منها ما ينقص عن قوة اللام إلا التاء ، فكان في إدغامها فيهن قوة لها ، فأدغمت فيها لذلك . ولا تدغم في باقي حـروف الفـم لتباعدها عن مخـرج الفـم منهن أو في الصفـة أو في القوة " .[٤]

كذا قال الفخر الرازي : " العلة الموجبة لجواز هذا الإدغام قرب المخرج ، فإن اللام وكل هذه الحروف المذكورة مخرجها من طرف اللسان وما يقـرب منـه فحسـن الإدغام".[٥]

ويقول عن علة عدم إدغامها فيما عدا الحروف الأربعة العشر كما في (العابدون ، والحامدون ، والآمرون بالمعروف) بإظهار اللام : " وإنما لم يجز الإدغام فيها لبعد المخرج فإنه إذا بعد مخرج الحرف الأول من مخرج الحرف الثاني ثقل النطق بهما دفعـة واحـدة ، فوجب تمييز كل واحد منهما من الآخر ، بخلاف الحرفين اللذين يقـرب مخرجاهمـا ؛ لأن

---

[١] الكتاب ٤ / ٤٥٧ ، الكشف ١ / ١٤١ ، وشرح الشافية ٣ / ٢٧٩ ، وشرح المفصل ١٤١/١٠ ، والتفسير الكبير ١ / ٩٢ .

[٢] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٤١٦ .

[٣] النشر في القراءات العشر ١ / ٢٢١ / ، والكشف ١ / ١٤١ ، والتفسير الكبير ١ / ٩٢ .

[٤] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها ١ / ١٤١ .

[٥] التفسير الكبير ١ / ٩٢ ، ٩٣ .

التمييز بينهما صعب " .[١]

أما نسبة الظاهرة : فقد عزاها أبو العلاء المعري إلى أهل الحجاز والعالية ، وكل ساكن من أرض العرب إلا من شاء الله . كما سبق . وهذا يعني أن إدغام لام التعريف في الحروف الثلاثة عشر أو الأربعة عشر يشمل جميع العرب ، دون أن يختص بقبيل معين لذا ذكر العلماء أن هذا الإدغام واجب[٢] . فكونه واجبا دليل على شمولية النطق به .

أما الموضع الثاني :

وهو الإدغام في أصوات الحلق وهي (الهمزة والهاء ، والعين والحاء ، والغين والخاء) فقد ذكر المعري جوازه ، واستدل عليه بإدغام الخاء في الغين . قال : " وأوشك بالرجل من يهود يفتقر إلى الرجل من رهط المسيح ... فمثل هذا الرجل إذا افتقر إلى غيره فحل في مترله ، مثل الحرف المدغم لقيه الحرف الآخر فانقلب الأول إلى حال الثاني . ألا ترى أنك لما أردت أن تدغم الخاء في الغين جعلت الخاء غينا فقلت : اسلغ غنمك ، فجعلت الخاء من اسلغ غينا لمكان إدغامها في غين غنمك ؟ ... وعلى هذا تجري حال المدغمات " .[٣]

أي أن الخاء إذا جاءت ساكنة قبل الغين أبدلت الخاء غينا وأدغمت الغين في الغين. وقد أجازه سيبويه قبله إلا أنه جعل الإظهار أحسن منه قال : " الغين مع الخاء البيان أحسن والإدغام حسن ، وذلك قولك : " ادمخلفا ، كما فعلت ذلك العين مع الحاء ، والخاء مع الغين البيان فيهما أحسن ؛ لأن الغين مجهورة وهما من حروف الحلق ، وقد خالفت الخاء في الهمس والرخاوة فشبهت بالحاء مع العين ، وقد جاز الإدغام فيها ؛ لأنه المخرج الثالث وهو أدنى المخارج من مخرج الحلق إلى اللسان ، ألا ترى أنه يقول بعض العرب : منخل ، ومنغل فيخفى النون كما يخفيها مع حروف اللسان والفم لقرب هذا

---

[١] السابق ١ / ٩٣ .

[٢] الكتاب ٤٥٧/٤ ، وشرح الشافية ٢٧٩/٣ ، وشرح المفصل ١٤٠/١٠ ، وهمع الهوامع ٤٩٨/٣ .

[٣] رسالة الصاهل والشاحج ٤٩٥ ، ٤٩٦ .

المخرج من اللسان ، وذلك قولك في اسلخ غنمك : اسلغنمك " .[١]

وعلى هذا فإدغام حروف الحلق بعضها في بعض جائز ، وإن قل ؛ لأنها عند أكثر علماء اللغة ليست بأصل للإدغام[٢] . فالبيان أحسن من الإدغام لبعد حروف الحلق .[٣]

قال ابن يعيش : " الإدغام في حروف الفم واللسان هو الأصل ؛ لأنها أكثر في الكلام ، فالثقل فيها إذا تجاورت وتقاربت أظهر ، والتخفيف لها ألزم وحروف الحلق والشفة أبعد من الإدغام ؛ لأنها أقل في الكلام ، وأشق على المتكلم وما أدغم منها فلمقاربة حروف الفم واللسان " .[٤]

أما كون البيان أحسن من الإدغام عند اجتماع الخاء والغين فقد علله ابن يعيش ــ بأمرين ــ فوق كونهما من حروف الحلق وهي ليست بأصل في الإدغام هما : أن الغين قبل الخاء في المخرج ، والباب في الإدغام أن يدغم الأقرب في الأبعد ، وأن الغين مجهورة ، والخاء مهموسة ، والتقاء المهموسين أخف من التقاء المجهورين والجميع جائز حسن " .[٥]

أما عن نسبة الظاهرة :

فإني لم أجد أحداً من العلماء قد عزا إدغام أيا من حروف الحلق بعضها في بعض إلى قبيلة معينة من قبائل العرب ، وإنما نسبوا الإدغام إجمالا في جميع مظاهره إلى البيئات البدوية كتميم وأسد ، وبكر بن وائل ، وكعب بن ربيعة ، ونمير[٦] وهما بطنان من عامر بن صعصعة من هوازن سكنتا العروض مجاورتين لتميم .[٧]

---

[١] الكتاب ٤ / ٤٥١ .

[٢] الكتاب ٤ / ٤٤٩ ، إعراب القرآن ١ / ١٨٠ .

[٣] إعراب القرآن ٣ / ٩٩ .

[٤] شرح المفصل ١٠ / ١٣٥ ، ١٣٦ .

[٥] السابق ٣ / ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، و١٠ / ١٣٧ .

[٦] الكتاب ٤ / ٤٧٣ ، والحجة لأبي علي ٣ / ٢٣٢ ، وحجة القراءات لأبي زرعة ٢٣٠ ، والبحر المحيط٣ / ٥٢٣ ، وشرح الشافية ٣ / ٢٤٤ ، والتصريح بمضمون التوضيح ٤٠١/٢ ، واللهجات العربية في التراث ٣١١ ، واللهجات العربية نشأة وتطورا ٣٥٦ .

[٧] معجم البلدان ١ / ٢٥٢ ، ٥١٨ ، ٢ / ٢٥٠ ، ٢ / ٨٨ ، ١٦٢ / ١٢٣ .

بينما عزى الفك أو الإظهار إلى البيئات الحضـــرية كقريش ، وثقيف ، وكنانه ، والأنصار ، وهذيل .[1]

[1] الكتاب ٤ / ٤٧٣ ، والحجة لأبي علي ٣ / ٢٣٢ ، وشرح الشافية ٢ / ٢٣٩ ، ٣ / ٢٤٦ .

المبحث الثالث

الهمـــز والتسهـــيل

أجمع علماء العربية ــ قديما وحديثا ــ على أن صوت الهمزة صوت ثقيل علـــى اللسان عند النطق به . وذلك لما تحتاجه من جهد عضلي حين النطق بها ، قال الرضي (ت ٦٨٦هـــ) : " اعلم أن الهمزة لما كانت أدخل الحروف في الحلق ، ولها نبرة كريهة تجري مجرى التهوع ثقلت بذلك على لسان المتلفظ بها " .[١]

ولما كانت الهمزة كذلك وهي من سمات الفصحى كان لابد من بيان كيفية النطق بها لذا قال مكي : " يجب على القارئ أن يعرف جميع أحوالها وطباعها فيتوسط اللفظ بهـــا ولا يتعسف في شدة إخراجـــها إذا انطق بها ، لكن يخرجها بلطافـــة ورفـــق ؛ لأنها حرف بعد مخرجه فصعب اللفظ به لصعوبته .... " .[٢]

ونظرا لصعوبة النطق بصوت الهمزة ــ كما سبق ــ فإنا نجد العـــرب ــ تبعـــا لاختلاف بيئاتهم ــ قد سلكوا طرائق مختلفة في النطق بها . فمنهم من يحققها ، ومنهم من يسهلها بين بين ، أو حذفا ، أو إبدالا " كل مع مواضع معينة . يقول ابن درســـتويه (ت ٣٣٧هـــ) : " العرب تحقـــق الهمزة أحيانا ، وتخفـــفها أحيانا في مواضع معلومة ؛ لعلـــل عارضة ، ولذلك حدود مفهومـــة " .[٣]

وقد أدرك أبو العلاء المعري (رحمه الله) هذه الطبيعة الخاصة لصوت الهمـــزة ، فذكر أن العرب يتسامحون فيها فقال : " وليس في الحروف حرف أكثـــر مســـامحة مـــن الهمزة... " .[٤]

---

[١] شرح الشافية ٣ / ٣١ ، وانظر الكتاب ٣ / ٥٤٨ ، وشـــرح المفصـــل ١٠٧/٩ ، وفي اللـــهجات العربية ص٧٧ .

[٢] الرعاية ١١٩ .

[٣] تصحيح الفصيح وشرحه ١٧٦ .

[٤] رسالة الصاهل والشاحج ٤٩٦ .

كما تحدث المعري عن المواضع الذي يجوز أن تخفف فيها الهمزة أو لا يجوز ، وهي عنده كالتالي :

١ــ أن تقع الهمزة متوسطة (أي في عين الكلمة) ، أو متأخرة (أي موضع اللام) وتخفيفها في آخر الكلمة أكثر منه في وسطها قال : " تخفيف الهمزة إذا كانت متوسطة في مثل : ثائر وجائر أقل منه فيها إذا كانت لاما في آخر الفعل والاسم ، مثل قولهم : قرا في قرأ ، والخطا في الخطأ ؛ لأن الأواخر يلحقها التغيير من لحاقه الأواسط والأوائل ، والأواخر موضع الوقف ... " . [١]

وهذا يعني أن التخفيف لا يكون في الهمزة إذا كانت أولا ، وهذا هو ما عليه علماء اللغة قديما وحديثا ؛ وذلك لضعفها وقربها من الساكن ، فكما لا تبتدئ بساكن فلا تبتدئ بحرف قد أوهنته . [٢]

٢ــ أن تكون الهمزة قافية في البيت الشعري فيراعى أمر القافية همزا أو غيره . قال في قول البحتري :

عجز من الدهر لا يأتي بعارفه ∴ إلا تلبث دون الأثْي واستانا

: " استانا أصلها الهمز ؛ لأنها من الأناة ؛ ولا يجوز أن يهمز في هذا الموضع لأنها قد وقعت مع ألفات في القافية ، ولا يجوز أن تقع معهن الهمزة ، وكذلك الرأل أصله الهمزة ، ولا يجوز همزه في قوله امرئ القيس : (كأن مكانها الردف منها على رال) كما لا يجوز همزالرأس في قول الآخر :

يقول لي الأمير بغير جرم ∴ تقدم حين جد بنا المراسُ

فمالي إن أطعتك في حياة ومالي غير هذا الرأس راس

فأما الرأس الذي ليس في القافية فالمنشد فيه مخير إن شاء همز وإن شاء ترك" . [٣]

---

[١] عبث الوليد ٢٣٠ .

[٢] الكتاب ٣ / ٥٤٥ ، وشرح المفصل ٩ / ١٠٧ ، والتطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ٧٦ ، ولغة تميم ٣٠١ .

[٣] عبث الوليد ٢٢٤ .

وقال في شرحه لبيت البحتري :

أيهـــا الطالـــب الطويـــل غنـــاؤه ∴ ترتجي شـــأو مـــن يفوتـــك شـــأوه

:" أصل الشأو الهمز ، ولا يجوز أن يهمزــ ها هنا ــ شاوه في القافية ، والشأو الأول يجوز همزه وترك همزه " . [١]

فلفظ الشأو إذا كان في وسط الكلام جاز فيه التحقيق والتخفيف ، أما إذا كان قافية وجب تحقيقه لمناسبة القافية قبله . فإن كانت القافية قبله غير مبنية على الهمزة خففت كما في قول جبيهاء الأشجعي :

إن المدينـــة لا مدينـــة فـــالزمي ∴ نعـــف الســـتار وقنـــة الأوجـــام

يجلب لك اللبن الغريض وينتـــزع ∴ بالعيس من يمـــن إليـــك وشـــام[٢]

٣ ــ إذا صاحبت في القوافي ما هي على زنته كما في قول الراجز :

لا تقـــربن الشـــاما إن الشـــأما ∴ كـــان لـــدراء العـــراق وخمـــا

فالهمزة في الشأم محققة لا يجوز فيها التخفيف بحال في هذا الموضع ؛ لأنها موازية لخاء وخم . [٣]

فإذا اتفق لها أن تصاحب في القوافي حروف اللين صارت ألفا كمـــا في شـــام ، وياءا كما في ريم ، وواوا كما في بوس ، وسول ... وهي في ذلك غير جارة للعيب ، بل قد أدت حق الحروف الصحيحة في حسن العشرة . [٤]

وعلى هذا فالهمزة قد تلزم التحقيق في موضع ، على حين هي في الكلمة نفسها تلزم التخفيف في موضع آخر حين تحتاج إليه .

٤ ــ أن يؤدي الهمز أو ترك الهمز في الشعر إلى عيب شعري . ومن ذلـــك قـــول بيـــت

---

[١] عبث الوليد ٣٢ .

[٢] رسالة الصاهل والشاحج ٤٩٧ .

[٣] السابق نفسه .

[٤] السابق ٤٩٦ .

البحتري :

يرنق النسر في جو السماء وقد ∴ أومى إليه شعاع السيف يادبه

: " أصله (يأدب) بالهمز ؛ لأنه من أدب إذا دعا إلى الطعام ولا يجوز همزه في هذا الموضع ؛ لأنه يصير عيبا ، كما لا يجوز ترك الهمز في قول الفرزدق :

ولج بك الهجران حتى كأنما ∴ ترى الموت في البيت الذي كنت تألفا

ومن همز في بيت أبي عبادة ، أو ترك الهمز في بيت الفرزدق فقد جعل في القصيدة ضربا من السناد " .[١]

أنظر إلى براعة المعري وتأمله مواقع الكلم أو طرائق العرب في بناء قصائدهم فاللفظ الواحد تتفق فيه البيئات العربية جميعها همزا ، أو تخفيفا في موضع معين من شعرهم ، وإن جاز غيره في غير هذا الموضع على اختلاف بيئاتهم .

ومن ذلك همز (يأدب) في قول البحتري قد عد عيبا وإن جاز في موضع آخر ، وترك الهمز في قول الفرزدق عيب وإن ترك في مكان آخر فلا يعد عيبا .

وما ذلك إلا لأن الهمز في بيت البحتري ، وترك الهمز في بيت الفرزدق خلل أو عيب بالشعر يسمى السناد . يقول أبو هلال العسكري في كيفية نظم الكلام والقول في فضيلة الشعر وما ينبغي استعماله في تأليفه : " وينبغي أن تتحامى العيوب التي تعتري القوافي مثل : السناد والإقواء والإيطاء وهو أسهلها ، والتوجيه ، وإن جاء في جميع أشعار المتقدمين و أكثر أشعار المحدثين.[٢] ،والسناد هو اختلاف الأرداف وهو عيب من عيوب الشعر .[٣]

كما ذكر المعري (رحمه الله) أن تخفيف الهمز يكون في موضع ما لغة العرب أجمعين ، وأنه لازم لهم ، أي أن القبائل التي عرف عنها تحقيق الهمز تخفف أيضا في هذه المواضع ولذا عدى التخفيف فيها من سمات الفصحى . وذلك في موضعين هما .

---

[١] عبث الوليد ٥١ .

[٢] الصناعتين ١ / ١٥١ .

[٣] اللسان (س ن د) .

الأول : أن تلتقي همزتان في كلمة واحدة . قال : " ومما توصف به الهمزة من الحكمة أنها إذا لقيت همزة في كلمة واحدة ، لم يكن بد من تخفيف إحدى الهمزتين . فذلك مثل للرجل الحازم يلقى مثله فيعلم كل واحد منهما أن اجتماعه مع الآخر يشق عليه ، فيلزم أحدهما نفسه التخفيف ، وربما ترك وطنه وارتحل إذا كان الآخر من جنسه ، وذلك مثل الهمزة في قول الخليل : لما لقيتها الهمزة في (جائئ) و إحداهما همزة فاعل التي تحدث في المعتل : قائم وبابه ، والأخرى الهمزة الأصلية . فالخليل يرى أن همزة (فاعل) نقلت من مكان العين وجعلت مكانها الهمزة التي من الأصل " .[١]

ويقول : " إذا اجتمعت الهمزتان في كلمة واحدة فخففت إحداهما وجب أن تحقق الأخرى ، وكذلك إذا حققت الواحدة وجب تخفيف صاحبتها ... " .[٢]

وإذا كان المعري لم يوضح لنا علة اجتماع العرب على تخفيف إحدى الهمزتين فقد وضحها ابن جني بقوله : " وإنما لم تجتمع الفاء والعين ، ولا العين واللام همزتين لثقل الهمزة الواحدة ؛ لأنها حرف سفل الحلق ، وبعد عن الحروف ، وحصل طرفا ، فكان النطق به تكلفا ، فإذا كرهت الهمزة الواحدة فهم باستكراه الثنيتين ورفضهما ــ لاسيما إذا كانتا مسطحبتين غير مفترقتين ، فاء وعينا ، أو عينا ولاما ــ أحرى ، فلهذا لم تأت في الكلمة لفظة توالت فيها همزتان أصلان البتة " .[٣]

أما التقاؤهما في مثل درائئ وخطائئ ، وفي مثل قراءة أهل الكوفة (أئمة) بهمزتين[٤] فهي أيضا وإن كانت الأولى في جميعها زائدة ــ شاذة .[٥] وتخفيفها يكون بإبدال الثانية حرف لين من جنس حركة ما قبلها .[٦]

---

[١] الصاهل والشاحج ٤٩٧ .

[٢] عبث الوليد ١١٨ ، ١١٩ .

[٣] سر الصناعة ١ / ٧٤ ، ٧٥ .

[٤] سورة التوبة من الآية (١٢) وهي قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي . انظر معاني القراءات ٤٤٧/١ .

[٥] سر الصناعة ١ / ٧٥ .

[٦] الكتاب ٣ / ٥٥٢ ، وشرح المفصل ٩ / ١١٦ .

الثاني : أن العرب يجمعون على تخفيف الهمز في كلمات معينة منها : برية ، ونبى ، والشوى . يقول : " وليس قولهم (شوى) في معنى شاء بدليل على أن الهمزة في شاء منقلبة من ياء ؛ لأنهم قد يخففون الشيء تخفيفا لازما كما فعلوا ذلك في برية ونبي ، وكأن العرب مجمعة على ترك الهمز في الشوى . قال الراجز :

إن بني يربوع أرباب الشوى ∴ قوم يلبون السويق بالمنى

من يشرب المنى يحبل بصبى

فكأن الشوى أصله الهمز ؛ لأنه في معنى الشاء ، كما أن المعيز في معنى المعز ، والضئين في معنى الضأن " .[١]

ومما يدل على صحة ما ذكره ورود لفظ (الشوى) بدون همز في قول سماعة بن أشول النعامي من بنى أسد :

لعل ابن أشبانية عارضت به ∴ رعاء الشوى من مريح وعازب[٢]

وبنو أسد ممن يحققون الهمزة ، فتخفيفهم الشوى هنا دليل على أنه لغة للعرب جميعا والدليل على أن أصله الهمزة قول ابن الأعرابي : " الشاء والشوى والشيه واحد وأنشد:

قالت بهية لا يجاوز رحلنا أهل الشوى " .[٣]

وشوى جمع الشاء قال ابن سيدة : " جمع شاء أصله شاه وشياه ، وشواه بكسرها وأشاوه ، وشوى وشيه كعنب ، وشيه كسيد ... " .[٤]

أما لفظ (البرية ، والنبى) فما ذكره من إجماع العرب على تخفيف الهمزة فيهما غير صحيح ؛ لأن من أهل الحجاز من يحقق الهمزة فيهما ، وهم بنو سليم[٥] ، وعزاه الجوهري ، وابن منظور إلى أهل مكة[٦] .

---

[١] رسالة الملائكة ١١٦ .

[٢] تاج العروس (أ ش ب) .

[٣] السابق (ش و هـ) .

[٤] السابق نفسه .

[٥] لغة قريش ٥٢ .

[٦] الصحاح (ن ب ء) ، واللسان (ن ب ء) .

ونسبه د / عبد الجواد الطيب إلى هذيل[١] . وبها قرأ نافع وابن عامر ﴿أولئك هم خير البرية ﴾[٢] ونافع وحده في جميع القرآن بالهمز في لفظ النبي إلا في موضعين في سورة الأحزاب ﴿ إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها﴾[٣] وقوله ﴿ لا تدخلوا بيوت النبي إلا يؤذن لكم ﴾ .[٤]

ولعل المعري يقصد بقول العرب مجمعة ، أو أن التخفيف لازم أن أكثر العرب وأفصحهم على ذلك ، وجميع القراء على عدم همزهما عدا نافع وابن عامر كما سبق . ويكاد يجمع العلماء على أن ترك الهمز فيهما أجود من الهمز . قال مكي : " ترك الهمز في هذا الباب كله أحب إلي ؛ لأنه أخف ، ولإجماع القراء عليه ، ولما روى عن النبي ــ عليه السلام ــ من كراهة همز النبي ، وهو اختيار أبي عبيد .[٥]

وقد استعمل المعري هذا اللفظ بغير همز فى شعره فى سقط الزند مما يدل على فصاحة التخفيف فيه قال :

نبيٌ من الغربان ليس على شرع يخبرنا أن الشعوب إلى الصدع

يقول الشارح : " نبيٌ فعيل من النبأ و هو الخبر ، وأصله الهمز ، كما أن الذرية من ذرأ ، فترك الهمز فى الاستعمال "[٦]

ووصف سيبويه تحقيق الهمز في (النبي) بأنه لغة رديئة قال : " الهمز في النبي لغة رديئة يعني لقلة استعمالها ، لا لأن القياس يمنع من ذلك ، ألا ترى إلى قول سيدنا رسول الله ــ ﷺ ــ وقد قيل له : يا نبئ الله ، فقال : لا تنبر باسمي ، فإنما أنا نبي الله " .[٧]

قال ابن عادل الدمشقي : " العرب التزمت غالبا تخفيف ألفاظ منها النبي ،

---

[١] لغة هذيل ٨٧ .

[٢] سورة البينة آية (٧) ، وانظر معاني القراءات ٣ / ١٥٦ ، واللباب فى علوم الكتاب ٢٠ / ٤٤١ .

[٣] سورة الأحزاب آية (٥٠) .

[٤] سورة الأحزاب (٥٣) ، وانظر الحجة لأبي علي ٧٦/٢ ، و معاني القراءات ١٥٣/١ ،.

[٥] الكشف ١ / ٢٤٥ .

[٦] شرح التنوير على سقط الزند لأبي يعقوب الخويي ٦٨/٢ ، ٦٩

[٧] اللسان (ن ب ء) .

والخابية والذرية . قال القرطبي : " تشديد الياء عوض من الهمز " .[١]

فقوله (العرب التزمت غالبا) دليل على أن أكثر العرب وأفصحهم على ذلك ولعل المعري يقصد ذلك .

كما تحدث المعري عن أنواع التخفيف الثلاثة وهي : بين بين ، والإبدال ، والحذف وذكر لكل نماذجه على النحو التالي :

أولا : التسهيل بين بين :

ذكر المعري مصطلح (بين بين) وبين أنه من أنواع التخفيف ، وذكر مواضعه ضمنا ، كما بين أن همزة بين بين قريبة من الساكن ، وليست ساكنة . ولم يبين لنا كيفيتها أو كيفية النطق بها .

أما عن كونها متحركة فيبدو من قوله : " إذا فعل بها ذلك ـــ (أي إذا خففت بين بين) ـــ قربت من الساكن فاجترأوا على تسكينها "[٢] . وهذا يدل على أنها في الأصل متحركة ثم سكنت بعد ذلك في بعض الألفاظ مثل راف . كما سيأتي .

والحقيقة أن البصريين والكوفيين مختلفون فيها ، فمذهب الكوفيين أنها ساكنة لأنه لا يجوز الابتداء بها ، ولو كانت متحركة لجاز ذلك[٣] . ومذهب البصريين أنها متحركة لأنها تسهل في الشعر وبعدها ساكن في الموضع الذي لو اجتمع فيه ساكنان انكسر البيت كقول الأعشى :

أإن رأت رجلا أعشى أضربه ∴ ريب المنون ودهر متبل خبل[٤]

فالنون ساكنة وقبلها همزة مخففة بين بين ، فعلم أنها متحركة لاستحالة التقاء الساكنين في هذا الموضع[٥].١ وأيضا أنها يعتد بها في الوزن العروضى حرفا متحركا .[١]

---

[١] اللباب في علوم الكتاب ٢٠ / ٤٤١ .

[٢] عبث الوليد ٥٦ .

[٣] مشكلة الهمزة العربية ٣١ بتصرف .

[٤] شرح الشافية ٣ / ٤٥ .

[٥] مشكلة الهمزة العربية ٣١ .

أما مواضعها : فذكر لها موضعان هما :

الأول : أن تكون الهمزة متحركة وقبلها ألف . يقول عن همزة (سيائد وعجائز) ولا يجوز أن تجعل همزتها ياءا على رأي سيبويه ، ولكن تجعل همزتها بين بين ، وحكى أبو عمرو الجرمي أن ذلك جائز " .[٢]

فالمعري في هذا النص أورد اختلاف سيبويه وأبي عمرو الجرمي في تخفيف الهمزة المتحركة بعد الألف كما في سيائد وعجائز . فتخفيفها عند سيبويه يكون بجعلها بين بين ، وعند الجرمي يكون بإبدالها ياءا ، ولم يرجح أحدهما على الآخر . وما ذكره عن سيبويه هو الصواب ؛ وذلك لاطراده في الفصحى يقول ابن يعيش : " إذا كان قبل الهمزة ألف وأريد تخفيفها فحكمها أن تجعل بين بين ، إن كانت مفتوحة جعلتها بين الهمزة والألف ، وإن كانت مضمومة جعلتها بين الهمزة والواو نحو : تساؤل ، وإن كانت مكسورة جعلتها بين الهمزة والياء نحو : قايل ، وذلك لأنه لا يمكن إلقاء حركتها على الألف ، إذ الألف لا تتحرك ، ولو قلبت الهمزة ألفا وأخذت تدغم فيها الألف على حد مقروة لاستحال ذلك ، إذ الألف لا تدغم ولا يدغم فيها ، وكان في جعلها بين بين ملاحظة لأمر الهمزة إذ فيها بقية منها ... فإن قيل : فهلا امتنع جعلها بين بين لسكون الألف ، وقربها ـــ (الهمزة) ـــ من الساكن ؟ قيل : الذي سهل ذلك أمران : أحدهما : خفاء الألف فكأنه ليس قبلها شيء. والآخر : زيادة المد في الألف قام مقام الحركة فيها كالمدغم فاعرفه " .[٣]

الثاني : أن تتحرك الهمزة بعد فتح .

واستدل على ذلك بتخفيف المضمومة بعد فتح بجعلها بين بين وذلك في تعليقه على بيت البحتري :

وغدوت خير حياطة منى على ... نفسي وأرأف بي هنالك من أبي

: " كان في النسخة أروف بالواو ، وقد حكى راف به يروف وهذه الرواية على تلك

---

[١] الخصائص ٢ / ١٤٦ ، وسر الصناعة ١ / ٥٧ .

[٢] رسالة الملائكة ١٧٦ ، ١٧٧ .

[٣] شرح المفصل ٩ / ١٠٩ .

اللغة ، والهمز أجود لأنها اللغة المعروفة ، وإنما يحمل هذا الوجه على أن يكون من رؤف يرؤف ، ثم خففت الهمزة ، وتخفيفها على رأي البصريين إذا كانت مضمومة وقبلها فتحة أن يجعل بين بين .... " .[١]

أما عن كيفية التخفيف بين بين : فلم يشر إليه المعري وإن أشار إليه سابقوه بأن يكون نطق الهمزة بين الهمزة المخففة وبين الحرف الساكن الذي منه حركتها فالمفتوحة بين الهمزة والألف ، والمكسورة بين الهمزة والياء الساكنة ، والمضمومة بين الهمزة والواو الساكنة.[٢]

أما المحدثون من علماء اللغة : فقد اختلف وصفهم لهمزة بين بين عن القدامى لغويين وقراءا . فمنهم من ذكر أنها تلفظ بحركة الهمزة فقط ، من غير أن تلفظ الهمزة نفسها .[٣] ومنهم من ذكر أنها نوع من التقاء الحركات ، ولا يتحقق هذا الالتقاء إلا إذا سكت الناطق سكتة لطيفة بين الحركتين " .[٤]

ويقول د / أنيس ــ بعد أن ذكر أنها عبارة عن التقاء حركتين أي حركة الهمزة وحركة ما قبلها ــ : " على أن من القراء من يجعلون تلك الحركة التي خلفتها الهمزة بعد سقوطها من النطق حركة مهموسة فتسمع ــ حينئذ ــ كما لو أنها نوع من الهاء ففي قراءة قوله تعالى : ﴿ أأعجمي ﴾[٥] قراءة بين بين للهمزة الثانية تسمع العبارة كأنما هي (أهجمي) .[٦]

وإنني أؤيده في ذلك إذ سمعت بأذني في قناة المجد للقرآن الكريم الشيخ مصطفى

---

[١] عبث الوليد ٥٦ .

[٢] سر الصناعة ١ / ٥٧ ،والرعاية ١٢٠ ، ١٢١ ، والتحديد في الاتقان والتسديد في صنعة التجويد ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، وشرح المفصل ٣ / ٤٥ .

[٣] اللغة العربية معناها ومبناها ص ٥٣ .

[٤] الأصوات اللغوية ٩٢ ، ومشكلة الهمزة العربية ٢٨ .

[٥] سورة فصلت آية (٤٤) .

[٦] الأصوات اللغوية ٩٢ .

إسمـــاعيل (رحمه الله) يقرأ قوله تعالى : ﴿ قرة أعين ﴾[١] فينطقها (قره هعين) . وكـــان ذلك في يوم ١ / ٥ / ٢٠٠٧ في تمام الساعة التاسعة صباحاً ، إلا أن هذا قد يكون قاصرا على الهمزة المفتوحة بعد فتح ؛ لأن الفتحة بعض الألف ، والألف تشابه حروف الحلق في أن ما قبلها لا يكون إلا مفتوحا[٢] ، وكل أصوات الحلق بعد صدورها من مخرجها الحلقي تحتاج إلى اتساع في مجراها بالفم ، فليس هناك ما يعوق هذا المجرى في زوايا الفم ، ولهـــذا ناسبها من أصوات اللين أكثرها اتساعا وتلك هي الفتحة .[٣]

وفي الهمزة المفتوحة بعد فتح أو ألف نجد أن الهمزة حرف حلقي أو حنجري على ما هو معروف بين القدامى والمحدثين ، والفتحة مناسبة لها ، فحين تحقق الهمزة بـــين بـــين تسقط الهمزة وتبقى حركتها الفتحة التي تسمع نظراً لاتساع المجـــرى وعـــدم اعتـــراض الصوت بضغط أو حصر[٤] ـــ كأنها هاء ، ولذا قال المحدثون عنها أن الأوتار الصوتية معها ـــ أي مع همزة بين بين ـــ لا تنغلق انغلاقا تاما ، كما يحدث مع المحققة [٥]. لا أدل علـــى ذلك من قول ابن يعيش : " ولا يظهر ســـر هـــذه الهمـــزة ، ولا ينكشـــف حالهـــا إلا بالمشافهة".[٦]

ثانيا : تسهيل الهمزة المفردة بالإبدال :

الإبدال في الهمزة هو أن تزيل نبرتها فتلين فحينئذ تصير إلى الألف ، أو الواو ، أو الياء على حسب حركة ما قبلها .[٧]

وقد ذكر المعري أن الهمزة حين تبدل تخفيفا إما أن تكون ساكنة ، وإما أن تكون متحركة ، وفي كل تبدل من جنس حركة ما قبلها مع فرق بينـــهما ، إذ إبـــدال الهمـــزة

---

[١] سورة الفرقان آية (٧٤) .

[٢] سر الصناعة ١ / ٦١ .

[٣] اللهجات العربية في التراث ٢٦٣ ، واللهجات العربية في القراءات القرآنية ١١٣ .

[٤] سر الصناعة ١ / ٢٠ .

[٥] اللغة العربية معناها ومبناها ٥٣ ، ولغة قريش ٤١ .

[٦] نقلا عن اللهجات العربية في التراث ٣٢٣ .

[٧] شرح المفصل ٩ / ١٠٧ .

الساكنة يكون مباشرا ، أما المتحركة فيتم بعد نقل حركتها إلى الساكن قبلها أولا ثم إبدالها من جنس حركة ما قبلها . وهاك التوضيح :

أ) تسهيل الساكنة بالإبدال :

يقول المعري : " ليس في الحروف حرف أكثر مسامحة من الهمزة . ألا تراهـــا إذا كانت ساكنة في مثل : رأس وبؤس وذئب ، فبلغت بها ما تستحقه من الهمز فهي كالحروف الصحاح ... فإذا اتفق لها أن تصاحب في القوافي حروف اللين صارت ألفا في شام ، وياءا في ريم ، وواوا في بوس وسول .... " .[١]

ومن تخفيف الهمزة الساكنة بعد فتح بقلبها ألفا قولهم في اليرنأ : اليرنا . يقول في تعليقه على بيت البحتري :

لو رأت حادث الخضـــاب لأنـــت ∴ وأرنـــت مـــن احمـــرار اليرنـــا

: اليرنا بضم الياء وفتحها : الحسناء وهو مهموز قال مزرد :

بقيـــة مـــاء اليرنـــأ تحتـــه ∴ شكير كـــأطراف الثغامـــة ناصـــل

وتخفيف الهمز في مثل هذا كله جائز ، وذلك أنه إذا وقف عليه وقـــف بالســـكون ، وإذا سكنت الهمزة وقبلها فتحة فهي قريبة من الألف فيجترئ على نقلها إلى تلك الحال "[٢] أي على نقـــلها إلى الألف . كذا قوله : " والراد أصـــله اللحى وهو مهموز فى الأصـــل و جمعـــه أرآد ، و تخفيف همزه و همز ما كان مثله جائز ؛ قال الشاعر :

فما برحت حتى كأن يراعة بأرآد لحييها يقلبها شَرْبُ

يصف ناقة حنت .[٣] فالراد أصله (الرأد) بفتح الراء وسكون الهمزة ، وقد خففـــت همزته بقلبها ألفا .

وقد ذكر سيبويه علة إبدال الهمزة هنا من جنس ما قبلها فقال : " فإنما تبـــدل

---

[١] رسالة الصاهل والشاحج ٤٩٦ .

[٢] عبث الوليد ٢٢٤ .

[٣] الفصول والغايات ١/ ٤٥٦ .

مكان كل همزة ساكنة الحرف الذي منه الحركة التي قبلها ؛ لأنه ليس شيء أقرب منه ولا أولى به منها . وإنما يمنعك أن تجعل هذه السواكن بين بين أنها حروف ميتة ، وقد بلغت غاية ليس بعدها تضعيف ، ولا يوصل إلى ذلك ولا تحذف ؛ لأنه لم يجيء أمر تحذف له السواكن فألزموه البدل كما ألزموا المفتوح الذي قبله كسرة أو ضمة البدل " . [١]

ب) تسهيل المتحركة بالإبدال :

تسهل الهمزة المتحركة بعد ساكن بقلبها من جنس حركة ما قبلها ، بعد نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ، فكأنها ساكنة بعد حركة ، فتقلب ألفا بعد الفتحة ، وياءا بعد الكسرة ، وواوا بعد الضمة .

وقد أوضح ذلك المعري عند شرحه لبيت البحتري :

وجنوا بالعلي المشيزات للحمد ∴ وتركك المحقرات الدقاق

فقال : " قال بعضهم : أراد المشئزات ، وهذا يشبه قولهم الوم : في الؤم ، وذلك أن حركة الهمزة إذا نقلت إلى ما قبلها وكانت مفتوحة ، وقبلها حرف ساكن وجب أن تصير ألفا ؛ وكان ينبغي أن يقال في تخفيف يسأم : يسام ، وإذا كانت الحركة ضمة ونقلت إلى الساكن قبلها اقتضى ذلك أن يجعل واوا كقولهم يلوم : في يلؤم ، وإذا كانت الحركة كسرة فنقلت إلى الحرف المتقدم فحق ما بقى من الهمزة أن يجعل ياءا مثل قولهم : المشيزات ويزير " . [٢]

وذكر لذلك عدداً من الأمثلة ، فمن إبدال المتحركة بالفتح ألفا قوله في لفظ (الحماة) : " وحماة تحتمل ثلاثة أوجه : الأول أن تكون فعلة من الحماية ... والثاني : أن تكون من حماة الزوج ... والثالث : أن تكون من حمأة البئر ، وقد جعلت الهمزة ألفا كما قالوا : كماه ، في كمأة ... " . [٣]

وجعل سيبويه هذا الإبدال قليلا ؛ لأن الأصل في تخفيف المرأة والكمأة أن يكون

---

[١] الكتاب ٣ / ٥٤٤ ، ٥٤٥ .

[٢] عبث الوليد ٢١١ .

[٣] رسالة الصاهل والشاحج ٦٥٦ ، ٦٥٧ .

المرة والكمة ، بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على الساكن قبلها ، أما الكماة والمراه ومثلـــه فقليل .[١] ويقول الزمخشري : " منهم من يقول المراة والكماة فيقلبها ألفا وليس بمطرد ، وقد رآه الكوفيون مطرداً " .[٢]

---

[١] الكتاب ٣ / ٥٤٥ .

[٢] المفصل ٤٩٠ .

وعلل ابن جني جواز هذا التخفيف بالإبدال فقال : " وقد أجرت العرب الحرف الساكن المجاور إذا جاور الحرف المتحرك مجرى المحرك وذلك قولهم فيما حكاه سيبويه المراة والكماة يريدون المرأة والكمأة ، ولكن الميم والراء لما كانتا ساكنتين والهمزتان بعدهما مفتوحتان صارت الفتحتان اللتان في الهمزتين كأنهما في الراء والميم ، وصارت الراء والميم كأنهما مفتوحتان ، وصارت الهمزتان لما قدرت حركتاهما في غيرهما كأنهما ساكنتان فصار التقدير فيهما مرأة وكمأة ، ثم خففتا فأبدلت الهمزتان ألفين لسكونهما وانفتاح ما قبلهما فقالوا : مراه وكماة ، كما قالوا في رأس وفأس لما خففت : راس وفاس " .[١]

ومن إبدالها واوا قوله (تسوكا) وأصله تسؤك . قال في بيت البحتري :

لا تركنن إلى الخطوب فإنها ∴ لمع تسرك تارة وتسوكا

: " تسوك جائزة بلا اختلاف ولها وجوه : منها أنها على لغة من قال ساني في الماضي كأنه خفف الهمزة الثانية فصارت ألفا ، فلما التقت الألفان حذفت إحداهما ؛ ويجوز أن يقال يسوك على أنه يقلب حركة الهمزة إلى الواو فقيل : يسوك ثم استثقلت الضمة على الواو فسكنت ؛ وإنما جاز نقل الحركة إلى الواو هاهنا ؛ لأنها أصلية وليست مثل واو مقروءة ومهنوءة ، وقد قالوا في الماضي سآني . قال الشاعر :

لقد لقيت قريظة ما سآها ∴ وحل بدارها ذل ذليل

فيجوز أن يكون من قال يسو تصور أن مضارع سآني يسوء فنقل حركة الهمزة إلى السين على أن (فعل) من هذا الباب مثل نأى وشأى لم يستعمل فيه يفعل بضم العين ، ولكنه يجوز أن يقدر على ذلك " .[٢]

فكأن يسوء مضارع سآني ، وأصله يسوء على (يفعل) نقلت حركة الهمزة وهي الضمة إلى الساكن قبلها وهو السين ، ثم أبدلت الهمزة واوا ، وكأنها ساكنة بعد ضم .

---

[١] سر الصناعة ١ / ٧٨ ، ٧٩ .

[٢] عبث الوليد ١٦٢ ، ١٦٣ .

ويلاحظ هنا أن المعري في تخفيف الهمزة المتحركة بعد ساكن بالإبدال قد أخذ برأي الكوفيين الذين جعلوه قياسا مطرداً .

ثالثا : التسهيل بحذف الهمزة :

يعد التسهيل بحذف الهمزة المرحلة الثالثة من مراحل التسهيل أو التخفيف ، وهو عبارة عن إسقاط الهمزة من اللفظ البتة ، وهو أبلغ أنواع التخفيف .[١]

والمعري في تناوله لهذه الظاهرة نجد أنه قد وصفه بأنه نوع من التخفيف مطرد قال: " وقد يجوز حذف الهمزة ويطرد في التخفيف فيقول : " هذا خب وجز ورد ، ورأيت خباو وجزا وردا ، ومرت بخب وجز ورد . في تخفيف خبء وجزء وردء ، فيكون حاله كحال دم ويد " [٢].

كما حدد المواضع التي يجوز فيها حذف الهمزة وبين عللها ، وقد ذكر أن هذا الحذف على نوعين : أحدهما حذف الهمزة مع حركتها ، والثاني حذف الهمزة بعد نقل حركتها إلى ما قبلها .

أما المواضع التي تحذف فيها الهمزة عنده فهي ثلاثة كالتالي :

١ــ أن تجاوز الهمزة أقرب حروف المعجم منها . قال : " وربما علم الرجل الأصيل الرأى أن مكانه يثقل فانصرف وإن لم يلقه نظير له ، فيكون مثله مثل الهمزة حذفت من سائر فقيل : سار . قال الهذلي :[٣]

وغير ماء المرد فاها فلونه ∴ كلون النئور وهي أدماء سارها

أي : سائرها . وإنما يحمل الهمزة على ذلك مجاورتها الألف ؛ لأن الألف أقرب حروف المعجم إلى الهمزة ، ولذلك تركت مكانها في قولك : راء وشاء ، والأصل : رأى وشأى قال الشاعر :[٤]

---

[١] شرح المفصل ٩ / ١٠٧ ، ١٠٨ .

[٢] رسالة الملائكة ١٥٢ ، ١٥٣ .

[٣] البيت لأبي ذؤيب الهذلي فى المحكم (س ر ى ٥٧٣/٨) .

[٤] كثير عزة فى الكتاب ٣ / ٤٦٧ .

وكـــل خليـــل راءني فهـــو قائـــل ∴ من أجلك هذا هامة اليـــوم أو غـــد

وقال عمر بن أبي ربيعة فجمع بين اللغتين :

بان الحمول فمـــا شـــأونك نقـــرة ∴ ولقـــد أراك تشـــاء بالأظعـــان[١]

أي قال : أراك فخفف الهمزة ، وتشاء فحققها .

٢ ــ أن تجاور الهمزة حرفا ضعيفا فتحذف دفعا للمضرة ، أو رغبة في التفضـــل علـــى المجاور قال : " وربما تركت الهمزة مكانها للحرف الضعيف ولم تصبر علـــى المضـــارة ، أو تكون رغبت في التفضل على المجاور كما قالوا : را ، يريدون : رأى . قال الشاعر :

ومن را مثل معـــدان بـــن ليلـــى ∴ إذا ما النسع جـــال علـــى المطيـــة

وقالت امرأة من العرب : " من بين الأخوين كالغصنين أم من راهما " فكأنها ــ (أي الهمزة وقد تركت مكانها للحرف الضعيف) ــ تشبه في هذا الصنيع رجلا فيه كرم وشدة ، لـــو أراد لضار جاره وأقصاه ، فيحمله الكرم على تخلية مكانه له .وقد رأيت الهمزة حـــذفت من ترى ، وأصلها أن تجيء فيه كما جاءت في قوله تعالى : ﴿وهم ينهون عنـــه وينـــأون عنه﴾[٢] ولكنها بعدت من موطنها فلم ترجع إليه إلا عند الضرورة ، كالرجل فارق الوطن فلم يلمم به إلا عند النائبة " .[٣]

ففي هذا النص بين المعري أن الهمزة قد حذفت في الفعل (را) وأصله رأى ، والفعل ترى وأصـــله ترأى خوفا من إقصاء الحرف الضعيف الذي جاورته وهـــو الألف أو الياء.

والحقيقة أن العرب في الفعل رأى ومشتقاته مختلفون فيه ، فالماضي منـــه يحققـــه أكـــثر العرب ، ويخففه القليلون [٤]. والمضارع يخففه جميع العرب ، إلا تميم الرباب فإنهم

---

[١] رسالة الصاهل والشاحج ٤٩٧ ، ٤٩٨ ولم أجده فى ديوانه ،ونسب البيت فى كثير من المراجع إلى خالد بن الحارث المخزومى (التهذيب ش أ و ٣٠٦/١١.، والمحكم ش أ و ١٣٥/٨، واللسان ش أ ى)

[٢] سورة الأنعام آية (٢٦) .

[٣] الصاهل والشاحج ٤٩٨ .

[٤] اللسان (ر أ ى) .

يحققونه[١]، وفي الأمر منه يخففه أهل الحجاز ، ويحققه بنو تميم .[٢]

٣ــ أن تقع الهمزة طرفا أو متوسطة وقبلها ساكن . يقول : " وكذلك وجدناهم يحذفون الهمزة إذا كانت طرفا وقبلها ساكن ، ويلقون حركتها على ما قبلها فيقولون : خذ الجز ، وقرئ ﴿ يخرج الخب في السموات والأرض ﴾[٣] فإذا كان ذلك في الشعر حذفت الهمزة إلى آخر الدهر ؛ لأن رجوعها يكسر ، قال حسان بن ثابت :

فرهنت اليدين عنهم جميعا ... كل كف لها جز مفصوم

وإذا اتفق لها ذلك في النثر ، جاز أن ترجع وجاز ألا ترجع " .[٤]

وهذا إن دل فإنما يدل على أن الهمزة إذا حذفت في الشعر ، فلا يجوز تحقيقها ، وإذا حققت فلا يجوز تخفيفها حفاظا عليه من الكسر ، خلافا للنثر إذ يجوز فيه الأمران معا.

والمعري في هذه المواضع الثلاث التي ذكرها تجده يغلب عليه الطابع الفلسفي ، إذ يخضع اللغة لتفسيرات العقل والمنطق ، لا للواقع اللغوي الذي استنبط منه النحاة قواعد لغتهم عبر استقرائهم الدقيق .

فما ذكره المعري لاسيما في الموضعين (الأول والثاني) أقرب إلى التعليل بما استوحته العقول من المنطوق ، ويبعد عن التحديد الذي تبنى عليه الأصول ، أي أصول قواعدهم المستوحاة من منطوق كلامهم على اختلاف بيئاتهم . والدليل على ذلك أنه قد وافق القراء حين أجازوا حذفها في مواضع معينة تختلف عما ذكره النحاة ، وعما ذكره هو من قبل إذ ذكروا أن الهمزة تحذف دون نقل لحركتها إلى ما قبلها في موضعين هما : أن تكون الهمزة بعد الألف اللينة كصيغة فاعل مثلا . وأن تكون الهمزة مكسورة بعد كسر وبعدها ياء .[٥]

---

[١] السابق نفسه .

[٢] السابق نفسه ، لغة تميم ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

[٣] سورة النمل آية (٢٥)وهى قراءة أبى ، وعيسى بن عمر (المحرر الوجيز ٢٥٧/٤،وروح المعانى ١٩٢/١٩).

[٤] رسالة الصاهل والشاحج ٤٩٩ ، ٥٠٠ .

[٥] النشر ١ / ٣٩٧ ، الإتحاف ٧٨/١ ، ٧٩ ، وفي اللهجات العربية ٨٠ ، واللهجات العربية في القراءات القرآنية ٩٨ .

وتحذف وتنقل حركتها إلى ما قبلها في موضعين هما : إذا تحركت الهمزة وكان ما قبلها ساكنا صحيحا . وإذا جاءت مضمومة وكان ما قبلها مكسورا وبعدها واو ، فتحذف وتنقل حركتها إلى المكسور قبلها لمناسبة الواو بعدها .[١]

والمتأمل فيما أورده أبو العلاء المعري من نماذج لهذه الظاهرة يجد أنه يتفق مع ما أجازه القراء والمحدثون في حذفها في هذه المواضع . وإن خالفها النحاة .[٢]

فمن حذف الهمزة دون نقل حركتها لوقوعها بعد الألف في صيغة (فاعل) مثلا نجده يذكر أن الهمزة قد حذفت في سائر فقيل : سار ، واستدل على ذلك بقول أبي ذؤيب الهذلي :

وغير ماء المرد فاها فلونه ∴ كلون النئور وهي أدماء سارها

أي : سائرها . وعلل الحذف بمجاورتها الألف كما سبق.

فهو في ذلك وإن وافق ما عليه بعض القراء كابن مسعود ، والحسن ، وابن أبي ليلى في قراءتهم ﴿ وتكون لكما الكبريا ﴾[٣] بحذف الهمزة ، وكذا قراءة أهل مكة والحسن ﴿شركاي الذين ﴾[٤] ، إلا أنه خالف ما عليه النحاة الذين عدوها لغة قليلة [٥]، بل منع سيبويه حذفها هنا ، وجعلها بين بين ؛ لأنك لو حذفتها ثم فعلت بالألف ما فعلت بالسواكن التي ذكرت لك ــ (أي حركتها) ــ لتحولت حرفا غيرها ، فكرهوا أن يبدلوا مكان الألف حرفا ويغيروها ؛ لأنه ليس من كلامهم أن يغيروا السواكن فيبدلوا مكانها إذا كان بعدها همزة فخففوا ، ولو فعلوا ذلك لخرج كلام كثير من حد كلامهم ... " .[٦]

على حين أجازه علماء اللغة المحدثون استنادا على ما جاء في القراءات القرآنية

---

[١] الشمعة المضيئة ٢ / ٤٢١ ، وفي اللهجات العربية ٨٠ ، واللهجات العربية في التراث ٩٨ .

[٢] الكتاب ٣ / ٥٤٢ ، ٥٤٦ .

[٣] سورة يونس آية (٧٨) ، ومختصر شواذ القرآن ٦٢ .

[٤] سورة النحل آية (٢٧) ، ومختصر شواذ القرآن ٧٦ .

[٥] شرح شافية ابن الحاجب ٣ / ٣٩ .

[٦] الكتاب ٣ / ٥٤٦ ، ٥٤٧ .

وفي الشعر العربي ، وعزوه إلى الحجاز وهذيل [١]، كما نسبه إلى هذيل قبلهم ابن منظـــور وقال بعد أن ذكر شواهده : " أن نحو هذا كثير في لغة هذيل " . [٢]

ولم ترد عنده نماذج للمكسورة بعد كسر وبعـــدها ياء كالصابئـــين في قـــراءة نافـــع وأبي جعفر . [٣]

ومن حذف الهمزة ونقل حركتها إلى الساكن قبلها . وهذاعنده يكون فى الهمزة المتطرفة والمتوسطة يقول : " وإذا كانت الهمزة متحركة وقبلها ساكن يحتمل الحركة فإنـــه يجوز إلقاء حركة الهمزة على ما قبلها وحذفها من الكلمة ، و لا ينظر فيها أكانت طرفـــا أو متوسطة ؛ وعلى هذا قالوا : هو يسل فى معنى يسأل ؛ وقال حسان :

ورهنت اليدين عنهم جميعا كل كف لها جُزٌ مقسوم. [٤]

فالهمزة تحذف وتلقى حركتها على الساكن قبلها متطرفة كانت أو متوســـطة ، وإن كانت المتطرفة أكثر ورودا من المتوسطة .

وقد استدل على حذف الهمزة المتطرفة بعد نقل حركتها إلى ما قبلهـــابنماذج عدة منها : قراءة ﴿يخرج الخب في السموات والأرض ﴾ . وهي قراءة أبي ، وعيسى [٥].

ويلاحظ عليه في استشهاده بهذه القراءة أنه قد اعتد بالمشهور في لغة العرب دون الضعيف ، بدليل أنه في هذه الآية قراءة أخرى تبدل الهمزة ألفا ولا تحذفها . إذ قرأ عكرمة وعبد الله ، ومالك بن دينار (يخرج الخبا) بألف بدل الهمزة . فهـــذه لغـــة وإن أجازهـــا الكوفيون كما قالوا الكماة والمراة ، إلا أنها لغة ضعيفة مسترذلة كما ذكر الزمخشري ؛ لأن الهمزة إذا سكن ما قبلها فطريق تخفيفها الحذف لا القلب . [٦]

---

[١] لغة هذيل ٩٥ وما بعدها .

[٢] اللسان (ر و د) .

[٣] النشر ١ / ٣٩٧ .

[٤] الفصول والغايات ١/ ٢٣٦ .

[٥] رسالة الصاهل والشاحج ٤٩٧ ، ٤٩٨ .

[٦] روح المعاني ١٩ / ١٩٢ .

وقد سبق أن المعري أجاز الكماة وحماة في حمأ البئر ؛ إلا أنه في القراءات يتقيد فقط بما صح منها عنده . أو بما صح أنه لغة مشهورة أو كثيرة بدليل قوله : " أما (رفنية) فتحتمل وجهين : أحدهما أن يكون من قولك : ارفأن الناس ، إذا سكنوا بعد نفار . وهذه الهمزة عند سيبويه أصلية مثل اطمأن . فتقول : إن أصلها رفأنية ، بالهمزة ثم ألقيت حركة الهمزة على الفاء وحذفت من الاسم ، كما قرأ المدني (أي نافع) : ﴿ قد أفلح المؤمنون﴾[1] وهي لغة كثيرة . قال سعد بن أبي وقاص ــ ﷺ ــ :

ألا هل أتى رسول الله أني ∴ حميت صحابتي بصدور نبلي

وقالوا : ملك من الملائكة ، والأصل : ملأك " .[2]

ففي (رفأنية) و (ملك) وقعت الهمزة وسطا ، وفي (قد أفلح المؤمنون) وقعت وسطا أيضا لأنها في وصل ، وإن كانت في أول الكلمة إلا أنه هنا يعتد بالوصل ، فإذا بدأ بـ أفلح وجبت الهمزة وامتنع الحذف .

والأصل في تخفيف الهمزة بالحذف ونقل حركتها إلى الساكن قبلها أن يكون بشروط معينة قد حددها ورش وهي : أن تكون الهمزة آخر الكلمة ، وأن يكون الساكن غير حرف مد ، وأن تكون الهمزة أول الكلمة الأخرى سواء كان ذلك الساكن تنوينا أو لام تعريف أو غير ذلك .[3]

كما ذكر المعري عن الكوفيين أنهم يجيزون حذف الهمزة المتحركة وقلبها ساكن وتشديد ذلك الساكن . فقال في قول البحتري :

وما المرء إلا قلبه ولسانه ∴ فإن قصرا عنه فلا خير في المر

: " شدد المر في القافية ، وقد حكى تشديده عن بعض القراء في قوله (بين المر وزوجه) والكوفيون يزعمون أن الهمزة إذا كانت متحركة وقبلها حرف ساكن جاز تشديد ذلك

---

[1] سورة المؤمنون آية (١) .

[2] رسالة الصاهل والشاحج ٦٦٤ ، ٦٦٥ .

[3] الإتحاف ٨٣

الساكن وإلقاء الهمزة ... " .[١]

وعد ذلك لغة للعرب فقال : " فأما الذين قالوا (المر) فشددوا فإنها لغة للعرب إذا أرادوا تخفيف الهمزة ألقوها وشددوا الحرف الذي قبلها ... " .[٢]

واستدل بالقراءة المذكورة ونسبها إلى الحسن البصري .[٣] وعزاها أبو حيان إلى الحسن والزهري وعلل التشديد بعد الحذف بأنه نوى الوقف فشدد ثم أجرى الوصل مجرى الوقف فأقرها على تشديدها فيه ".[٤]

أما عن نسبة التحقيق والتسهيل : فالمعري وإن نص على أنهما لغتان للعرب إلا أنه لم يعزهما ، وقد أجمعت مصادر اللغة على أن تحقيق الهمز من سمات القبائل البدوية كتميم، وأسد ، وقيس ، وعقيل وغيرهم . أما التخفيف بأنواعه المختلفة فهو من سمات البيئات الحضرية كأهل الحجاز ، وهذيل ، وقريش ، وكنانة ، وسعد بن بكر ، وطيء وغيرهم .[٥]

---

[١] عبث الوليد ١٢١ .

[٢] رسالة الملائكة ١٦٠ .

[٣] السابق نفسه .

[٤] البحر المحيط ١ / ٥٠٠ ، ٥٠١ بتصرف .

[٥] انظر تفصيل ذلك في رسالتنا للعالمية (الظواهر اللغوية في معاني القراءات للأزهري ٢٥٤ وما بعدها) .

المبحث الرابع

الـــوقـــــف

الوقف ظاهرة قديمة ، استرعت انتباه النحويين واللغويين ، وعلماء القراءات إذ تباينت فيها اللهجات العربية تباينا واضحا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أنها شيء طـــارئ على الكلمة ، إذ الأشياء تجري على حقائقها في الوصل ، كما أن حال الوصل أعلى رتبة من حال الوقف كما ذكر ابن جني . [١]

وهو لغة يدل على تمكث في شيء [٢]. وذكر الفيروز أبادي أن أوقـــف بمعـــنى سكت وعنه أمسك وأقلع ، وليس في فصيح الكلام أوقف إلا لهذا المعنى . [٣]

واصطلاحا : هو عند النحاة قطع النطق عند آخر الكلمـــة . وعرفـــه علمـــاء القراءات بأنه عبارة عن قطع الصوت على الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة بنيـــة اســـتئناف القراءة ، إما بما يلي الحرف الموقوف عليه ، أو بما قبله ، لا بنية الإعراض " . [٤]

وقد أدرك المعري (رحمه الله) هذه الظاهرة فعرف أوجهها وأشار إليها واعتبرها من مظاهر اختلاف اللهجات العربية فقال على لسان الثعلب وهو يخاطـــب الشـــاحج : "خرجت أقفو آثار الجالية فانتهى بي الأثر إلى (تل منس) وقد نزل بها معظـــم النـــاس . فسمعت الجالية يشتورون في المساجد والكنائس ويديرون الرأي ، فلا تنصرم لهم عزيمة ، ولا تبرم بأيديهم مرة . بل يختلفون اختلاف العرب في الوقف : فبعضـــهم يقـــف علـــى السكون، فمثله مثل من رأى أن يقيم بحيث هو من هذه القرية . وبعض العرب يشـــم ، ويروم عند الوقف ، فذلك مثل من يروم النهوض إلى مظان الأمن ولا يجد سبيلا إلى ذلك .

---

[١] الخصائص ٢ / ٣٣٣ .

[٢] المقاييس (و ق ف) .

[٣] القاموس المحيط (و ق ف) .

[٤] التصريح ٣٣٨/٢ ، والأشموني ٥٠٧/٢، والنشر ١ / ٢٤٠ ، والإتحاف ١٣٤ .

وبعضهم يشدد الحرف الموقوف عليه ليدل على حركته في الإدراج ... " .[١]

فهو في هذا النص يشير إلى أربعة أنواع أو أوجه للوقف وهي الوقف بالسكون، والروم ، والإشمام ، والتشديد . وهذه الأنواع أو الأوجه هي من مظاهر اختلاف العرب فيه دون أن يعزو كل نوع إلى بيئته .

والحقيقة أن الوقف بالسكون وهو عبارة عن تفريغ الحرف من الحركات الثلاث وهو الأصل في الوقف [٢]. وعليه أكثر العرب كما ذكر ابن الجزري [٣]. وذكر السيرافي أن المقصود بأكثر العرب هم الحجازيون ؛ لأن الفصحى كانت تلتزم الوقف بالسكون إلا مع المنصوب المنون فيوقف عليه بالألف إذ تقول : جاء زيد ، ومررت بزيد ، ورأيت زيدا وربيعة كانت تقف على الحالات الثلاث بالسكون .[٤]

أما الإشمام فهو : عبارة عن الإشارة إلى الحركة من غير تصويت ، وقيل : أن تجعل شفتيك على صورتها . وكلاهما واحد [٥]. ويختص بالضمة سواء كانت حركة إعراب أم بناء إذا كانت لازمة .[٦]

وفائدته : بيان الحركة التي تثبت في الوصل للحرف الموقوف عليه ليظهر للسامع أو الناظر كيف تلك الحركة الموقوف عليها .[٧]

أما الروم : فهو إذهاب أكثر الحركة وإبقاء جزء منها حال الوقف .[٨] أو هو النطق ببعض الحركة ... ويعبر عنه بالاختلاس وبالإخفاء ، فهذه العبارات كلها صحيحة .

---

[١] الصاهل والشاحج ٥٠٦ .

[٢] إبراز المعاني ٢٦٦ .

[٣] النشر ٢ / ١٢١ .

[٤] اللهجات العربية في التراث ٤٨٤ .

[٥] القواعدوالإشارات فى أصول القراءات ٥١ ، والإتقان ١ / ٢٣٨ .

[٦] السابقان نفسهما ، وتحبير التيسير في القراءات العشر ١ / ٢٦٦ .

[٧] الإتقان ١ / ٢٣٨ .

[٨] القواعد والإشارات فى أصول القراءات ٥١ .

[١]

وفائدته : الإعلام بأصل الحركة ليرتفع جهالة السمع .[٢]

ومذهب القراء أنه لا روم في المفتوح والمنصوب ــ (فهو عندهم في المرفوع والمضموم والمجرور والمكسور) ــ قالوا : لأن الفتحة خفيفة فإذا خرج بعضها خرج سائرها؛ لأنها لا تقبل التبعيض كما تقبله الضمة والكسرة لما فيهما من الثقل ... أما أهل النحو فأجازوا الروم في الفتح كما في الكسر والضم من غير فرق " .[٣]

وعلى هذا فالإشمام والروم لغتان في الوقف لبعض العرب ، وهما قليلتان [٤]. ولم أعرف أحداً من العلماء قد عزاهما إلى بيئتهما اللهجية .

أما الوقف بالتضعيف فهو : عبارة عن تشديد الحرف الموقوف عليه .[٥] وهو أقوى من غيره ، أي من الوقف بالروم والإشمام والسكون ؛ لأن الواقف زاد حرفا ، فكأنه بين الوقف بحرف ، بخلاف الروم فإنه بينه بحركة ضعيفة ، والإشمام مبينه بإشارة، والحرف في التضعيف أقوى و آكد في البيان من الإشارة .[٦]

وله ثلاثة شروط هي :

١ــ ألا يكون الحرف الذي يوقف عليه همزة كخطأ ؛ لأن تضعيف الهمزة غير جائز ، ولم يرد عن العرب إلا إذا كانت عينا نحو سأل .

٢ــ ألا يكون الحرف الموقوف عليه معتلا كفتي .

٣ــ أن يلي حركة كالجمل . فتقول في الوقف عليه : الجمل بتشديد،فإن كان ما قبل الآخر ساكنا امتنع التضعيف كالحمل .[٧]

---

[١] إبراز المعاني ١٠١ .

[٢] القواعد والإشارات فى أصول القراءات ٥١ .

[٣] إبراز المعاني ٢٦٩ .

[٤] التفسير الكبير ٢٧ / ٨٤ .

[٥] اللهجات العربية في التراث ٤٨٦ .

[٦] السابق نفسه

[٧] شرح ابن عقيل ١٧٤/٤

وقد ذكر المعري نماذج عدة للوقف بالتضعيف قال : " وإنك لترى الرجل من يهود ، وهم أهل لين وضعف ، يظهر التشدد والتجلد على ما نزل فيخرج به ما فعل عن الطبع ، ويكون مثله مثل الحرف الذي يقع به التشديد في الوقف ثم يستعمل كذلك في الوصل فينكره السمع وتنفر منه الغريزة ، كما قال هميان بن قحافة وذكر الثور الوحشي :

والقطر عن متنيه مر معل ∴ وهو إلى الأرطاة مستظل

يقول :

أصبح ليل ، ولو يفعل ∴ حتى إذا الصبح بدا الأشعل

ظل كسيف شافه الصيقل

ألا ترى إلى لام الأشعل والصيقل ، ويفعل ، كيف خرجن بالتشديد عن حال العرفان " . [١]

فالأصل فيه أنه خاص بالوقف ، أما الوصل فلا تضعيف فيه إلا عند الضرورة يقول المعري : " وبعض الناس يكون له تابع يستزيده في حال الإقامة ، فإذا حان الظعن فارقه . فمثله مثل الحرف الموقوف عليه يشدد ، فإذا زال الوقف ترك التشديد . فيقولون : الطول ، والأفكل . فإذا وصلوا الكلام لم يشددوا . وإن أجروه في الوصل على ما هو عليه في الوقف فتلك عندهم ضرورة . كما قال الراجز : [٢]

مهر أبي الحبحاب لا تشلى ∴ بارك فيك الله من ذي أل

ومن موصي لم يدع قيلا لي ∴ إذ أخذ القلوب كالإفكل

خوارجا من لغط القسطل [٣]

ولم يعز أبو العلاء المعري الوقف بالتضعيف إلى قبيل معين ، على حين عزاه

---

[١] الصاهل الشاحج ص٤٦١ ، ٤٦٢ .

[٢] هو أبو الخضر اليربوعي (السابق نفسه) .

[٣] الصاهل والشاحج ٤٧٨ ، ٤٧٩ .

الشيخ خالد الأزهري إلى بني سعد وقال : " هي لغة سعدية " [١]. ولم يحدد المراد بسعد هل سعد تميم ، أم سعد بكر ؟ مما جعل المحدثين يختلفون في تحديدها ، فحددها د / أنيس بسعد بكر[٢]، وحددها آخرون بأنها سعد تميم [٣]. ودللوا على ذلك بأدلة منها . ما ورد عن رؤبة بن العجاج وهو تميمي إذ قال :

ضخما يحب الخلق الأضخما [٤]

كما ذكر المعري (رحمه الله) أنواعا أخرى للوقف عند بعض العرب ، وذلك في ثنايا كتبه المختلفة . منها : الوقف بالإبدال وذكر له نوعان كالتالي :

أ) الوقف بإبدال تاء التأنيث هاء وهو نوعان :

١ ــ في الاسم المفرد :

قال : " ثم نظروا إلى الهاء فعلموا أنها من الأصول ؛ لأن زيادتها تقع في الأواخر للسكت ، وللتأنيث ، إذا وقفت كقولك أغزه ، في الوقف ، وطلحه ونحو ذلك " . [٥]

ففي هذا النص يورد المعري نوعين للوقف هما الوقف بزيادة هاء السكت كما في أغزه ، والوقف بإبدال تاء التأنيث هاء كما في طلحة فيبدل في الوقف فتصير طلحه . وهو ما يعنينا هنا .

وقد عزا المعري هذا النوع من الوقف إلى بني كلاب قال : " والفرات : العذب من الماء ، وبذلك سمي هذا النهر . فأما قول بني كلاب : الفراه ، فوهم منهم والدليل على أن التاء من الأصل ، قولهم : " فى النسب : فراتي ، فأثبتوا التاء ، ولو أنها للتأنيث كما يظن هؤلاء لسقطت في النسب " . [٦]

---

[١] التصريح بمضمون التوضيح ٢ / ٣٤١ .

[٢] في اللهجات العربية ١٤٧ ، ١٤٨ .

[٣] اللهجات العربية في التراث ٤٨٨ ، ولغة تميم ٣٥٤ .

[٤] اللهجات العربية في التراث ٤٨٩ .

[٥] رسالة الملائكة ٢٤٤ .

[٦] رسالة الصاهل والشاحج ٦٢١ .

فبنوكلاب في رأيه أبدلوا التاء في لفظ (الفرات) هاء توهما منهم أنها تاء التأنيث وقد خطأهم المعري في ذلك ؛ لأن التاء عنده أصلية من بنية الكلمة ، وليست زائدة للتأنيث بدليل بقائها في النسب ، وهو من الأشياء التي يعتمد عليها في معرفة الأصول .

وهذا إن دل فإنما يدل على أن بني كلاب يبدلون تاء التأنيث هاء عند الوقف وجعلها الفراء لغة جميع العرب إلا طيئا قال : " العرب تقف على كل هاء مؤنث بالهاء إلا طيئا فإنهم يقفون عليها بالتاء ، فيقولون : هذه أمت ، وجاريت ، وطلحت "[١] على أنه أي الوقف بالتاء وعدم إبدال الهاء قد سمع أيضا في حمير [٢]، وبعض القرشيين [٣].

وعزا ابن جني إبدال تاء التأنيث في المفرد إلى عقيل .[٤]وعلله بقوله : " فلما رأينا هاء التأنيث فى الوصل " تاء " علمنا أن أصلها " التاء " وأن الهاء فى الوقف بدل من التاء فى الوصل ، وإنما أبدلت هاء لانفتاح ما قبلها ، وأنها من الحروف المهموسة ، والهاء مهموسة و قريبة من الألف ، ولم تبدل ألفا لانفتاح ما قبلها لئلا يلتبس بالإلف المقصورة فى حبلى وبشرى ، والهاء قريبة من الألف فأبدلت هاء ، فأما التاء فى مسلمات ونحوها فليس يحتاج فيها إلى دلالة ؛ لأنها تاء على كل حال . وهذا أيضا يدل على أن التاء هى الأصل فى باب (طلحة ، وحمدة) و أن الهاء بدل منها ، ألا تراها فى هندات تاء ثابتة ولم تبدل فى الهندات هاء لسكون ما قبلها ٠(٥)

٢ ــ في جمع المؤنث السالم :

قال : " في القصيدة التي أولها : أحبب إلى بطيف سعدي : استعمل في هذه القصيدة تاءات يوقف عليها فيكون حالها كحالها في الوصل مثل عرفات والهضبات ، وجاء بتاء تكون في الوقف مثل قوله (طرف النباهة ريض المسعاة) وهذا جائز بلا اختلاف

---

[١] بحوث ومقالات في اللغة ٢٥٨ .

[٢] الكشف عن أحكام الوقف والوصل ١٥٦ .

[٣] الجانب الصوتي للوقف في العربية ولهجاتها ١٢٤ .

[٤] المحتسب ١٣٠ .

[٥] المنصف ١٦٢

فيه ، ومثلـــه قـــول أبي النجم :

أقـــــول إذ جـــــئن مـــــدبجات ∴ مـــا أقـــرب المـــوت مـــن الحيـــاة

وقد جاء بالتاءات في هذه القصيدة على ثلاثة أضرب . تاء أصـــلية مثـــل تـــاء الأوقات وتاء جمع مثل تاء عرفات ، وتاء هضبات . والعرب يجمعون بأن يقفوا بالتاء على مثل هذه الحروف ، إلا أن الفراء حكى أن قوما من طيء يقفون بالهاء فيقولـــون في مثـــل مسلمات : مسلماه ، وتاء تكون في الوقف هاء ، وهي قوله المســـعاة (أي تـــاء المفـــرد والمؤنث) وقد حكت الجماعة أن من العرب من يقف على مثل هذه بالتاء ؛ لأن الوقـــف بالهاء هو الوجه".[١]

ففي هذا النص ذكر المعري أن العرب يجمعون على أن الوقف على جمع المؤنـــث السالم إنما يكون ببقاء التاء ، إلا طيئا فإنهم يبدلون هذه التاء هاء عند الوقف فيقولـــون في مسلمـــات : مسلماه ، خلافا لمنهجهم في الوقف على المفرد المؤنث المختوم بتاء التأنيـــث كطلحة كذا عزاها إلى طييء ابن جني ، و الشيخ خالد الأزهري ، والأشموني .[٢]

ب) الوقف بإبدال ألف المقصور ياء :

قال : " ومن كان من لغته أن يقول في الوقف هدى ورحى ويصل على ذلك فإنه يجوز أن يقول في الترخيم : يا أبـــى "[٣]

فالمعري أشار إلى أن بعض العرب يقفون على الاسم المقصور بإبدال ألفه يـــاءً ، ولم يعزه لأحد منهم ، على حين عزاه غيره إلى فزارة ، وناس من قيس .

والحقيقة أن الوقف على الاسم المقصور مثل : حبلى وأفعى فيه ثلاث لهجات هـــي : إبدال ألفه ياءا فيقولون : هذه أفعيْ وحبليْ وهي لغة فزارة ، وناس من قيس . وإبدال ألفـــه واوا

---

[١] عبث الوليد ٦٨ .

[٢] سر الصناعة ٢ / ١١٨ ، والتصريح ٢ / ٣٤٣ ، وشرح الأشموني ٢ / ٥١٨ .

[٣] رسالة الملائكة ١٨٢ .

فيقولون : أفعو وحبلو وهي لغة طيىء ، وأهل الحجاز ، و إبدال ألفه همزة.[١]

ومنها الوقف بالنقل . وهو أن تنقل حركة الحرف الموقوف عليه إلى الساكن قبله.[٢]

وقد أشار المعري إلى هذا النوع وجعله عند الاضطرار إلى الحركة . أي إلى وجود حركة في الحرف الساكن قبل الآخر . قال : " ألا ترى أن الكاف في بكر ، لما اضطرت إلى الحركة في بيت أوس دخلت مع الباء في الكسر ، ولم ترغب في الضمة ، فعد ذلك فيها من المواساة ؟ قال أوس :

لنـــا صـــرخة ثم إصـــماتة ∴ كمـــا طرقـــت بنفـــاس بكـــرْ

ففي هذا مثل لمن يأخذ نفسه بزي جاره ويترك مضاهاة الأبعدين ، وكذلك قول الهذلي :[٣]

إذا تجـاوب نـوح قامتـا معـه ∴ ضربا أليما بسبت يلعج الجلدا

ألا ترى أن اللام لما اضطرت إلى الحركة رغبت أن تنكسر مثل الجيم ؟ ".[٤]

وذكر المعري أن الوقف بالنقل لغة من لغات العرب . قال : " بعض العرب يقول في الوقف : هذا عَبُد فيضم الباء بنقل حركة الدال إليها، ويقول في الخفض : مررت بعبد "[٥].

فهو يقول بعض العرب ولم يحددهم . وقد عزاه الزمخشري ، وابن يعيش ،

---

[١] الكتاب ٤ / ١٧٦ وما بعدها ، وعمدة القارئ ٥ /١٨٧، والأصول في النحو ٣٧٨/٢ ، وهمع الهوامع ٣ / ٤٣٠ .

[٢] همع الهوامع ٣ / ٤٣٣ .

[٣] عبدمناف بن ربع ا الهذلي (معجم البدان ٢٧١/١، اللسان ل ع ج ، وخزانة الأدب٤٢/٧، والتاج ج ل د)

[٤] الصاهل والشاحج ٥٠٠ ، ٥٠١ .

[٥] عبث الوليد ١٥٩ .

والشيخ خالد الأزهري إلى تميم .[١] على حين عزى الوقف باجتماع الساكنين إلى قريش .[٢]

وشرط الوقف بالنقل : أن يكون ما قبل الآخر ساكنا قابلا للحركة .[٣] بالإضافة إلى شروط أخرى وضعها النحويون أهمها :أنيكون الساكن صحيحا ، وألا يكون مضاعفا.[٤]

وإذا كان النحويون يشترطون أن يكون ما قبل الأخير ساكنا عند الوقف بالنقل ، فإن المعري ذكر أن قبيلة لخم تنقل حركة هاء التأنيث وهي الفتحة إلى المتحرك قبلها ، واستدل على ذلك بقول عامر بن جوين :

فلم أر مثلها خباسة واحد ∴ ونهنهت نفسي بعدما كدت أفعله

قال : " وإذا صح مذهب من يزعم أن حركة هاء التأنيث تنقل إلى ما قبلها في الوقف ــ و هى عندهم لغة لخمية ــ فهي مثل لرجل طرح ثقل نفسه وحمل ثقل غيره .... ومن هذه اللغة اللخمية قول الشاعر :

فإني قد رأيت بأرض قومي ∴ حوادث كنت في لخم أخافه

ينشد بفتح الفاء . وكذلك قول الراجز :

ليس لواحد على نعمهْ

لا ولا اثنين ولا أهمهْ

يريد :ولا أهمها [٥]. وعزاها فى مكان آخر إلى بنى فزارة قال : " ....فقال الفزاري: وأنت إن لم تلقمه (بفتح الميم) وهذه لغة لبعض العرب ، إذا وقفوا على الهاء التى تلحقها الألف للتأنيث ، مثل : تلقمها ، ينقلون حركة الهاء إلى الحرف الذى قبلها ويحذفون الألف ،

---

[١] المفصل ٤٧٧ ، وشرح المفصل ٩ / ٧٢ ، والتصريح ٢ / ٣٤٢ .

[٢] من أسرار اللغة ٢٣٤ ، واللهجات العربية فى التراث ٤٩٠ .

[٣] شرح ابن عقيل ٤ / ١٧٤ .

[٤] التصريح٢/ ٣٤١ وما بعدها ، والهمع ٣/ ٤٣٥ وما بعدها ، والجانب الصوتى للوقف ٨٨ ومابعدها.

[٥] الصاهل والشاحج ٤٦٨ ، ٤٦٩ .

وعلى هذا ينشد البيت:

أرانى قد لقيت بدار قومى مظالم كنت فى جَرْم أخافه [١]

وعزاها إلى لخم ــ أيضا ــ ابن مالك . قال أبو حيان : " وزعم ابن مالك أن الوقف بالنقل على المتحرك لغة لخم " .[٢] وكذا عزاها ابن الأنبارى إلى لخم [٣] وعزاها آخرون إلى طيئ ٠ ومما يؤيد أنها لطيئ ما جاء عن عامر بن جوين الطائي من قوله :

فلم أر عليها خباسة واجد ونهنهت نفسى بعد ما كدت أفعله[٤]

وطيئ ولخم من قبائل اليمن [٥] و بنو فزارة كانوا يجاورون طيئا [٦]٠ فلعلها كانت لغة للخم ثم انتقلت إلى بنى فزارة تأثرا بقرب الجوار للخم وطيئ ، إذ كانوا بمشارف الشام بجوار قضاعة وجذام وعاملة وغطفان ٠[٧] وكلها قبائل بدوية يشيع فيها الحيف على أواخر الكلمات عند الوقف ٠

فكأن المعري ــ هنا ــ يجيز نقل حركة الحرف الموقوف عليه إلى المتحرك قبلها خلافا لما سبق ولما ذكره غيره [٨]، كما يجيز أن تكون الحركة المنقولة فتحة ، خلافا لقولهم إن النقل يكون للضمة في الرفع ، والكسرة في الجر .[٩] وهو مذهب البصريين يقول سيبويه : " ولم يقولوا : رأيت البكَرْ؛ لأنه موضع فى التنوين ، وقد يلحق ما يبين حركته ، والمجرور

---

[١] الفصول والغايات ١٠٦/١ بتصرف .

[٢] ارتشاف الضرب ٢ / ٨١٧ .

[٣] الإنصاف فى مسائل الخلاف ٣٣١/٢

[٤] اللهجات العربية فى التراث ٥٠٨

[٥] السابق ٥٠٩

[٦] معجم ما استعجم ٩١٣/٣ .

[٧] معجم البلدان ٢٣٨/١ ،و ٢٤١/١ .

[٨] همع الهوامع ٣ / ٤٣٥ .

[٩] اللباب فى علل الإعراب والبناء ٢ / ١٩٨ .

والمرفوع لا يلحقهما ذلك فى كلامهم "."[١] فكأن الألف واللام عنده قامتا مقام التنوين ، فالكاف فى البكر لم تتحرك ؛ لأنها لم تتحرك فى رأيت بكرا ، حين جعلت الألف بدلا من التنوين ."[٢]

وقد ضعف أبوحيان هذه العلة ؛ لأنها ليست شاملة ، فمن الأسماء المفتوحة الساكن ما قبلها ما لا يكون منونا ، و لا فيه ألف ولام ، ذلك نحو حمل ودعد و هند إذا منعن من الصرف ، ونحو حضجر اسم امرأة فلا مانع يمنع هذا النوع من النقل فى النصب لارتفاع تلك العلة المانعة " ."[٣]

أما الكوفيون والجرمي فإنهم يجيزون فى الوقف بالنقل أن تكون الحركة المنقولة فتحة [٤].

ورأى الكوفيين و الجرمى و المعري معهم هو الأقرب إلى الصواب لأمرين .

أحدهما : أن الغرض من النقل فى الوقف هو التخلص من الساكنين أو الدلالة على حركة الإعراب الساقطة أو هما معا[٥]. وذلك يتحقق بنقل الفتحة ، تماما كما يتحقق بنقل الكسرة والضمة .

ثانيهما : أن سيبويه ذكر أنه سمع من تميم و أسد نقل الفتحة من الموقوف عليه المهموز ، وأنهم يقولون : رأيت الوثْأْ ، و رأيت البطَأْ ، و رأيت الردَأْ ، ويجيزون ذلك فى المهموز و يمنعونه فى غيره ، وعلل ذلك بأنهم يريدون بذلك بيان الهمزة وهو أبين لها إذا وليت صوتا ، والساكن لا ترفع لسانك عنه بصوت ، ولو رفعت بصوت حركته ، فلما كانت الهمزة أبعد الحروف و أخفاها فى الوقف حركوا ما قبلها ليكون أبين لها ."[٦] فإذا جاز نقل حركة الهمزة المفتوحة إلى ما قبلها فى الوقف ، جاز نقل الفتحة إلى ما قبلها

---

[١] الكتاب ٤/ ١٧٣ .

[٢] الجانب الصوتى للوقف ٩٠.

[٣] همع الهوامع ٤٣٦/٣ بتصرف.

[٤] السابق نفسه

[٥] همع الهوامع ٤٣٦/٣ بتصرف.

[٦] الكتاب ٤/ ١٧٧ بتصرف

أيضا فى غير المهموز عند تميم و أسد حتى تطرد الظاهرة عندهم.

ومنها : الـــوقف بالحـــذف :

أي حذف الحرف الأخير من الكلمة ، وله صور عدة ؛ إلا أن المعري قد اكتفى فيه بصورة واحدة ، وهي حذف الياء من الاسم المنقوص المقترن بأل .

قال : " والدار في قصة أهل رفنية هي في معنى الداري الخاتل ، وحذفت اليـــاء للوقف . وألغزت الكلمة عن الدار المسكونة . وهذه الياء يجوز حذفها مع الألف واللام ، وإثباتها أكثر . وقد قرأت القراء هذه الآية بالحذف والإثبات وهي قوله تعالى : ﴿ ســـواء العاكف فيه والباد ﴾ .[1] فأما عند الوقف فحذفها أوجه منه في الوصل . ويقوى الحذف أن تكون في فاصلة آيـــة أو قافية بيت قال الراجز :

أنفق على نفسك منها والجار

إنك لا تدري ولا يدرى الدار

.... وكثر حذفهم هذه الياء في : الوادي حتى أجروه في الوصل مجراه في الوقـــف قـــال الشاعر :

سيفي ومـــا دمنـــا بنجـــد ومـــا ∴ قرقـــر قمـــر الـــواد بالشـــاهق

وسيبويه يذكر قول الأعشى :

وأخو الغوان متى يشـــأ يصـــرمنه ∴ ويصـــــرن أعـــــداه بعيـــــد وداد

في جملة الضرورات[2] . وغيره يـــزعم أن ذلك لغة للعـــــرب " .[3] أي أن حـــــذف الـــياء في (الغوان) ضرورة عند سيبويه ، ولغة عند غيره .

فالمعري في هذا النص يشير إلى حذف الياء من الاسم المنقوص المحلى بأل عنـــد الوقف ، وأن فيه عن العرب لغتين أو لهجتين هما : حذف الياء ، وإثباتها . والحذف أوجه

---

[1] سورة الحج آية (٢٥) . وهى قراءة أكثر السبعة (المحرر الوجيز ١١٦/٤)

[2] الكتاب ١ / ٢٦ ، ٢٨ .

[3] الصاهل والشاحج ٣٧٢ ، ٣٧٣ .

عند الوقف لاسيما إذا كانت هذه الياء في فاصلة آيـــة قرآنيـــة كآية الحج الســـابقة وفي قافية بيت شعري ، أمافي الوصل فإتيان الياء أكثر . وقد تحذف إجـــراء للوصـــل مجـــرى الوقف .

وقد خالف في ذلك النحويون الذين جعلوا إثبات الياء في الوقـــف هنـــا أكثـــر وأجود.[١] على أن أكثر القراء على حذفها كما في قوله تعالى : ﴿ ومن يهـــدي الله فهـــو المهتـــد ﴾[٢] وقوله : ﴿ يوم ينادي المناد ﴾[٣] ، وقوله : ﴿ لينذر يوم التلاق ﴾[٤] فيثبتـــها في الوقف ابن كثير ويعقوب ، ويحذفها نافع وأبو عمرو .[٥]

مما جعل د / أنيس يتساءل عن موقف النحاة باستحسانهم إبقاء الياء فيقـــول : "لست أدرى لم استحسنوا هذا الوقف بإبقاء الياء ؟ وفضلوه على حذفها رغم أنـــا نـــرى القراءة القرآنية المشهورة قد التزمت ـــ هنا ـــ حذف الياء حتى في حالـــة النصـــب [٦]. فلعلهم حملوا الوقف على الوصل دفعا للتنافر أو الثقل .[٧]

أما عن نسبة هاتين اللغتين : فقد عزى إثبات الياء في المنقوص المحلـــى بـــأل وصلا ووقفا إلى أهل الحجاز [٨]. وعزى حذفها وقفا إلى هذيل .[٩]

---

[١] الكتاب ٤ / ١٦٧، وشرح المفصل ٩ / ٧٥ .

[٢] سورة الإسراء من الآية (٩٧) .

[٣] سورة ق من الآية (٤١) .

[٤] سورة غافر الآية (١٥) .

[٥] حجة القراءات ٦٢٧ .

[٦] من أسرار اللغة ٢٢٩ ، ٢٣٠ بتصرف .

[٧] الجانب الصوتي للوقف ١٤٦ وما بعدها .

[٨] الإتحاف ١١٣ .

[٩] اللهجات العربية في التراث ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ولغة هذيل ٦٦ .

المبحـــث الخامـــس

سلـــب الحـــركة ومطلـــها

الحذف والفضول من السمات البارزة فى اللغة الأدبيـــة الفصـــحى ولهجاتهـــا، فالعربي يتجرأ فيحذف بعض الحركات تارة ، ويمطل فى بعضها حتى تصبح حروفا تـــارة ثانية.

أولا : حـــذف الحـــركة أو سلبـــها:

يقع حذف الحركة القصيرة في عين الكلمة (بنائهـــا) ، وفي لامهـــا (حركـــة الإعراب) إلا أن المعري في تناوله لهذه الظاهرة جعل الأول لغة ، والثاني ضـــرورة . لـــذا نتناول- هنا- فكره اللهجي في حذف الحركة من عين الكلمة .

فمن مظاهر الاختلاف بين البيئات العربية في نطق الكلمات الاختلاف في عـــين الكلمة من حيث الحركة والسكون في الأسماء والأفعال رغبة في التخفيف .

وتسكين الحركة ـــ غالبا ـــ ما يكون في المضموم والمكسور ، وهو موضع إجماع بين العلماء [١]. أما تسكين المفتوح فمنهم من منعه ؛ لأن الغرض من الحذف هو التخفيف من ثقل الضمة أو الكسرة ، أما المفتوح فهو خفيف ، ولا يحتاج إلى تخفيف آخر ، ولأنـــه يجري مجرى السكون في مواضع عدة . لذا عدوه شاذا أو ضرورة . [٢]

ومنهم من أجازه وعده من قبيل المبالغة في التخفيف كابن عصفور إذ قال : " فأما .... حذفهم الفتحة من عين (فعل) فمبالغة في التخفيف " . [٣]

وأبو العلاء المعري في تناوله لهذه الظاهرة أخذ برأي سابقيه في جـــواز تخفيـــف

---

[١] الكتاب ٤ / ٣٧ ، ١١٥ ، والمحتسب ١ / ٥٣ ، ٥٤ ، وإعراب القرآن ٤ / ٤١ .

[٢] ظاهرة التخفيف في النحو العربي ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، واللهجات العربية في التراث ٢٤٥ ، واللهجات العربية في القراءات القرآنية ١٥٤ .

[٣] ضرائر الشعر ٨٤ ، ٨٥ .

المضموم والمكسور في غير الطرف أما تخفيف المفتوح فأجازه تارة ومنعه تارة أخرى . وهاك التوضيح .

أ) : تسكين المضموم أو المكسورفي عين الكلمة :

يقول المعري : " من شأن ربيعة أن تسكن ما كان كذلك من الأسماء والأفعال ما لم يكن المتحرك بضم أو كسر في الطرف ، فيقولون : كرْم ، أي كرُم ، وعلْم أي علـــم . وقياس لغتهم أن يقولوا : كبْد وكتْف في الكبد والكتف قال القطامي :

إذا نشْـــبت مخالبـــه وعلْقـــت ∴ لـــه الأنيـــاب تُـــرْك لـــه الَمـــرار

يريد : نشبت وعلقت وتُرك . وقال الآخر :

إذا لم يكـــن قبـــل النبيـــذ ثريـــدة ∴ ملبقـــة صـــفراء شـــحم جميعهـــا

فإن النبيذ الصرْد إن شُرْب وحـــده ∴ على غير شيء أحرق الكبْد جوعُها

فهذا ليس عندهم من الضرورة .

وقال أيضا : " وأما (علْموا) فتحملها على قولك : علموا ، وسكنت اللام على اللغة الربعية ، كما قال أبو النجم :

حتى إذا ما رَضْيَ من كمالها

ركبهـــا القانص في مرْجالها

أي : علموا أنهم لا يصلون إلى ما يريدون " .[1]

فالمعري ينسب تسكين المكسور والمضموم إذا جاء في عين الكلمة اسما كانت أو فعلا إلى ربيعة ، واستدل على ذلك بورود هذه اللغة في شعر القطامي وهو عمرو بن شييم بن عمرو بن عباد ، من مالك بن جشم بن بكر بن حبيب التغلبي . وتغلب من ربيعة [2]. كما استشهد عليها بقول أبي النجم ، وهو من بكر بن وائل من بني عجل ، وينتهي نسبها

---

[1] الصاهل والشاحج ٤٤٠ .

[2] جمهرة أنساب العرب ٣١٣ .

إلى ربيعة أيضا .[١]

ولم ينكر وجودها في غير ربيعة تأثرا بها ؛ لأنها هي الأصل في الظاهرة إذ يقول في قول الراجز :

تشرب ما في جانب المقراة ∴ ما بَقْيَ في الحوض من الصراة

: " بَقْيَ" : لغة ربيعة ، يسكنون أوسط الفعل إذا كان مكسورا أو مضموما فيقولون : علْم الرجل ، وكرْم في معنى علم وكرُم ؛ وربما استعملها غيرهم من العرب ؛ قال امرؤ القيس :

نزلت على عمرو بن درماء شاتيا ∴ فياكرْم ما جاراً ويا كرْم ما مَحَل

وقال القطامي :

أبونا فارس الفرسان علْقت ∴ بكفيه الأعنة والغوار[٢]

وقد عزاها إلى ربيعة أيضا كل من ابن دريد ، وأبي جعفر النحاس [٣]، . على حين عزاها سيبويه إلى بكر بن وائل ، وأناس كثير من تميم [٤]، وعزاها الطبري إلى بني أسد [٥]، وعزا كثيرون الضم أو الكسر لأهل الحجاز ، والتسكين لتميم .[٦]

وإذا كانت الظاهرة واحدة في بكر بن وائل وتغلب وربيعة ، فذلك لأن العلاقة بينهم قائمة ، إذ بكر بن وائل ، وتغلب هما ابنا وائل بن قاسط الذي ينتهي نسبه إلى ربيعة.

أما نسبتها إلى أسد فلعله أسد بن ربيعة بن نزار وإليه ينتسب بكر بن وائل بن

---

[١] معجم البلدان ١ / ٢٧٤ ، والجمهرة ١ / ٥٢٢ .

[٢] الفصول والغايات ١ / ٣٥٠ .

[٣] الجمهرة ك ل م ٢ / ٩٨١ ، وشرح القصائد التسع ٢ / ٦٢٩ .

[٤] الكتاب ٤ / ١١٣ ، ١١٤ .

[٥] جامع البيان ٣ / ١٧٢ .

[٦] التفسير الكبير ٦ / ١٧٢ ، والمحرر الوجيز ١ / ٣٧٦ ، وإبراز المعاني ٣٣٤ ، واللسان ق د س ، والإتحاف ١ / ١٨٤ .

قاسط .... بن جديله بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان[١] ... وليس المراد بها أسد بن خزيمة المضرية .[٢] وأما نسبتها إلى تميم فلمجاورتها لربيعة ، إذ كانت منازل ربيعة بنجد .[٣]

ب) : تخفيف المفتوح العين :

ذكرت من قبل أن أكثر العلماء على عدم جواز تخفيف المفتوح ؛ لأن الفتح خفيف والخفيف لا يخفف ، قال الزجاجي (ت ٣٣٧هـ) مبينا العلة في ذلك : " وأما سكون ثانيه فإن من العرب من يفر من الضم والكسر إلى السكون تخفيفا فيقول في عَضُد : عَضْد ، وفي فخذ : فخْذ ، ولا يفرون من الفتح إلى السكون . قال سيبويه : قلت للخليل : ما الدليل على أن الفتحة أخف الحركات ؟ قال : قول العرب في عضُد عضْد ، وفي كبد : كبْد ، ولم يقولوا في جَمَل : جمْل ، ولا في قمَر : قمْر فدل ذلك على أن الفتحة أخف الحركات ، ومع ذلك فإن الضمة والكسرة تخرجان بتكلف واستعمال للشفتين ، والفتحة تخرج مع النفس بلا علاج ، ومن كان هذا من لغته في الأسماء فإنه يقول أيضا في الأفعال : ضُرْب زيد ، وهو يريد : ضُرب زيد ، وعُصْر ه قال الشاعر :

لو عُصْر منه البان والمسك انعصر

وكان أصل لَيْس : لَيسَ على وزن (فَعلَ) فأسكن من هذه اللغة ولزمها السكون لما لم تتصرف ولم تستعمل على الأصل ، كما لم يستعمل قام وباع وما أشبه ذلك على الأصل".[٤]

أما المعري فتارة نراه يجيز تسكين المفتوح وينسبه إلى ربيعة أيضا ، وتارة أخرى لا يعتد به آخذا بقول النحويين .

يقول عن بشار : " الآن وقع منك اليأس ، وقلت في هذه القصيدة : (السُبْد) في

---

[١] معجم البلدان ٢ / ٤٩٤ .

[٢] اللهجات العربية في التراث ٢٣٧ .

[٣] معجم البلدان ١ / ١١٢ .

[٤] اللامات ٣٥ ، ٣٦ .

بعض قوافيها ؛ فإن كنت أردت جمع سُبَد وهو طائر ، فإن(فُعَلا) لا تجمع على ذلك ، وإن كنت سكنت الباء فقد أسأت ؛ لأن تسكين الفتحة غير معروف ، ولا حجة لك في قول الأخطل :

وما كل مغبون إذا سَلْف صفقة ∴ براجع ما قد فاته برداد

ولا في قول الآخر :

وقالوا ترابيٌ ، فقلت صدقتم ∴ أبى من تراب خَلْقه الله آدما

لأن هذه شواذ " .[1] فتسكين المفتوح عنده من قبيل الشذوذ ، وليس لغة جائزة كما اتضح من هذا النص .

أما اعتباره تسكين المفتوح لغة فقد ذكره في تعليقه على قول الراجز :

يارب سار بات ما توسدا ∴ إلا ذراع العنس أو ظهر اليدا

فإن صح ذلك فهو (فَعَل) لا غير ، إلا أنه قد يجوز في الشيء لغتان فَعْل وفَعَل " .[2] ولعله من تحريك الثاني الساكن بالفتح وإن كان في غير موضعه .

ومما يدل على إجازته تسكين المفتوح ونسبته إلى ربيعة قوله : " فأما قول القائل :

وكوني على الواشين لداء شغْبةً ∴ فإني على الواشي ألد شغوب

فيحتمل أن يكون الشغبة واحدة الشغب مثل الضربة من الضرب ،والقتلة من القتل .... ولا يمتنع أن يقال أراد (فَعَلة) على قول من قال الشَعَب فسكن العين على لغة ربيعة" .[3]

إلا أن هذا التسكين في المفتوح قليل وقد صرح بذلك فقال : " وأما المنصرف من النفر في ذهاب ومجيء كالمنادين والدلالين . فإنه إذا حمل في مجلاه ، فقدت حركته في المعاش فكان مثله مثل متحرك من الحروف سكن كما قال الراجز :

وَرْد عليه طالب الحاجات

---

[1] رسالة الغفران ٣١١ ، ٣١٢ .

[2] رسالة الملائكة ١٦٧ .

[3] عبث الوليد ٤٦ .

وهذا قليل ؛ لأنه سكن الفتحة " .[١]

فالمعري (رحمه الله) وإن كان الأصل عنده عدم جواز تخفيف المفتوح إلا أنه لم يهمل الواقع اللغوي الذي جاء بذلك ، سواء في بيت شعري كما سبق ، أو في قراءة قرآنية كما في قراءة أبي عمرو بن العلاء ﴿ في قلوبهم مرْض ﴾ [٢] بسكون الراء ، وكما في قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وأبي بكر عن عاصم والحضرمي ﴿ على الموسع قَدْره ﴾[٣] بإسكان الراء ، وقراءتهم ﴿ في الدرْك الأسفل من النار ﴾[٤] بإسكان الراء من الدرك .

لذا يقول د / عبد الصبور شاهين في ذلك : " الواقع أن نظرة القدماء إلى الفتحة تجد من الدراسة الصوتية ما يساعدها ، إذ أن الفتحة أكثر وضوحا من الكسرة والضمة ، وهو ما تصوره القدماء خفة تمتاز بها من أختيها ، فكان من المنطقي عدم إجاز حذفها ؛ لقوة وجودها في موقعها ، ولكن المنطق شيء والواقع اللغوي شيء آخر ".[٥]

وجعله د / أنيس من خصائص القبائل البدوية أيضا ، كتميم ، وربيعة ، وعامة قيس ؛ لأن في التسكين تجنبا لتوالي ثلاثة مقاطع متحركة بالفتح ، جريا على عادتهم في مثل هذه الأبنية ، وما يشاكلها ؛ ولأنه من الثابت أن معظم اللهجات العربية تنفر من توالي المقاطع المتحركة .[٦]

ثانيا : الإشباع (مطل الحركة)

قد تستغرق الأصوات فى النطق زمناً أطول من الزمن الذي تحتاج إليه فى النطق المعتاد ، فيعد ذلك طولاً مكتسباً فى مقابل الطول الطبيعي الذى تستغرقه فى النطق المعتاد ، وهو ما يسمى بالمد ، أو الإشباع .

---

[١] الصاهل والشاحج ٤٣٩ ، ٤٤٠ .

[٢] سورة البقرة آية (١٠) والمحتسب ١ / ٥٣ .

[٣] البقرة آية ٢٣٦ ومعاني القراءات ١ / ٢٠٨ .

[٤] النساء ١٤٥ ، ومعاني القراءات ١ / ٣٢٠ .

[٥] أثر القراءات والأصوات في النحو العربي ٣٣٥ .

[٦] في اللهجات العربية ١٦١ .

والإشباع هو : أن تزيد فى الحركة حتى تبلغ بها الحرف الذى أخذت منه . [١] ويكون فى الحركات الثلاث : إذ تشبع الفتحة فينتج عنها الألف وتشبع الكسرة فينتج عنها الياء ، وتشبع الضمة فينتج عنها الواو .

والمعري فى حديثه عن هذه الظاهرة أورد نماذج للإشباع فى الحركات الثلاث ، وعده تارة ضرورة شعرية ، وتارة شاذا أو نادراً وغير فصيح ، وتارة ثالثة لهجة عربية .

فمما عده من قبيل الضرورة الشعرية قوله : " ومن هذا البيت الذى أنشده سيبويه :

تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة نفى الدراهم تنقاد الصياريف

فهذا البيت ذكره فى ضرورة الشعر ، والأشبه أن يكون المراد به زيادة الياء فى الصياريف ، لأن الواحد صيرف ، والباب صيارف ... ويجوز أن يكون على قول من قال درهام ، فإن كان درهام نطقوا به فى غير الضرورة ، فليس فى قول الفرزدق الدراهيم شئ يحمل على الاضطرار ؛ لأن الباب على ذلك ، كما تقول : عرزال وعرازيل ، وقنطار وقناطير ، وإن كانوا لم يقولوا درهام إلا فى الضرورة ، كما قال الراجز :

لو أن عندي مائتى درهام لابتعت دارا فى بنى حرام

وعشت عيش الملك الهمام وسرت فى الأرض بلا خاتام

فإن دراهيم يجوز أن يشبه بما ذكره النحويون من الضرورة التى يلتزمها الشاعر خشية النقص على الوزن ، وإن لم يكن استعمال غيرهاً مخلاً بالنظم . [٢]

كذا قوله : " وأما زيادتهم الألف فكقولهم : العقراب فى العقرب وهذا ردئ ؛ لأنه يخرج إلى بناء مرفوض ، وإنما يجئ [فعلال] فى المضاعف مثل الزلزال والبلبال والسلسال ، وقد جاء منه حرف واحد فى غير المضاعف قالوا بالناقة خزعال أى ظلع ... وقال الراجز فى العقراب :

---

[١] إبراز المعاني ٢ / ٥٥٢ .

[٢] رسالة الملائكة ٢١٠ – ٢١٢ بتصرف .

أعوذ بالله من آل العقراب المصغيات الشايلات الأذناب

... ومن مفتعال المستعمل فى الضرورة قول الشاعر أنشده الفارسي :

وعن شتم الرجال بمنتـــزاح

يريد : بمنتزح ، وما أعتقد أن شاعرا قوياً فى الفصاحة يريد مثل هذه الزيادات وإنما هي شواذ ونـــوادر ، وقد يجوز أن ينطق بها غير فصيح ؛ لأن البيت إذا قاله القائل حملـــــه الراشـــد والغوى ، وربما أنشده من العرب غير الفصيح فغيره بطبعه الردئ ... " . [١]

ففي النصوص السابقة يرى المعرى أن زيادة الياء أو الألف إنما هو من قبيل الضرورة الشعرية لإقامة الوزن ، وقد تابع فى ذلك بعض علماء اللغة السابقين كابن جني ، وابن سيدة ، وتابعهم السيوطي ، والبغدادي . [٢]

والحق إن الإشباع يكون لضرورة الشعر فى بعض المواضع كمـــا فى العقـــراب ؛ إذ أصلها العقرب ، وهي كلمة فى جميع تصاريفها قد بنيت على هذا الحرف . [٣] وكما فى قول الشاعر : [٤]

ينبـــاع من ذفـــرى غضوب جســـــرة

يقول ابن جني : " إنما هي إشباع للفتحة طلباً لإقامة الوزن ، ألا ترى أنه لو قال ينبع من ذفرى لصح الوزن إلا أن فيه زحافا هو الخـــزل ، كما أنه لو قال تنوف لكـــان الجـــزء مقبوضا ، فالإشباع إذاً فى الموضعين إنما هو مخافة الزحاف الذى مثله جائز " [٥] ، كذا قـــال

---

[١] السابق ٢١٤ ــ ٢١٨ بتصرف .

[٢] الخصائص٣/١٩٦،والمحكم٩/٥٠٠،والهمع١/٢٣٠،وخزانة الأدب١١/١٩١.

[٣] البحر المحيط ٣ / ٨٠ .

[٤] عنترة و عجزه[زيافة مثل الفنيق المكدم]الديوان ١٧٥،وجمهرة أشعار العرب١/١٤٦، والزاهـــر ٢/٢٩٩

[٥] الخصائص ٣ / ١٩٦ .

البغدادي [١] خلافا لما ذكره الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ) من أن الإشباع فى البيت ليس من ضرورة الشعر [٢] .

ومن الإشباع ما هو رد إلى الأصل ، وهذا ما وضحه المعري بقوله فى قول الراجز :

لا عهد لى بالنيضال كأنني شيخ بال

: " فإنه أراد النضال فزاد الياء ، وهذا مردود إلى الأصل فهو أقوى من [أفئيدة] ؛ لأنه إذا قلت : قاتلت ، وضاربت ، فأصل المصدر أن يجئ على [فيعال] مثل : ضيراب ، وقيتال ؛ ليكون على عدة مصادر ذوات الأربعة بالزيادة وغير الزيادة ، نحو الإكرام ، والدحراج ، والكذاب " [٣].

وهذا ما أكده الإمام البغوي فى تعليله لقراءة الإشباع أى إشباع الهاء فى يؤده ، ولا يؤده ، ونصله ، ونؤته ، ونوله ، فقال بعد أن ذكر قراءة الإسكان لأبى عمرو ، وأبى بكر ، وحمزة ، وقراءة الاختلاس لأبى جعفر ، وقالون ، ويعقوب : " والباقون بالإشباع كسراً ... ومن أشبع فعلى الأصل ؛ لأن الأصل فى الهاء الإشباع " . [٤]

ومن الإشباع ما هو من قبيل اختلاف اللهجاب العربية فى طريقة الأداء ، وقد عزاه المعرى إلى طيئ تارة ، قال: " وأما زيادتهم الواو لأجل الضمة فكقولهم : القرنفول ، فى قول الراجز :

خود أناه كالمهاة عطبول كأنما نكهتها القرنفول

ويقال : إن طيئا تقول أنظور فى معنى أنظر ، وقد أنشد الفراء :

لو أن عمرًا هم أن يرقودا

---

[١] خزانة الأدب ١١ / ١٩١ .

[٢] السابق نفسه .

[٣] رسالة الملائكة ٢١٣ ، ٢١٤ .

[٤] تفسير البغوي ١ / ٣١٧ .

يريد : يرقد ، ويجب أن يكون من هذه اللغة قول الوليد بن يزيد:

إني سمعـــــــت بليـــــــل ∴ نحـــــو الرصـــــافة رنـــــه

خرجـــت أســـحب ذيلـــي ∴ أنظـــور مـــا شـــأنهنه [١]

كذا عزاها إلى طيئ ابن دريد [٢] ، وبعض المحدثين [٣] ، وعزاها بعضهم إلى أهل الحجاز يقول الألوسي فى تعليله لقراء الحسن (سأوريكم) بضم الهمزة وواو ساكنة وراء خفيفة مكسورة : " وهي لغة فاشية فى الحجاز " [٤] ، وعزاها المعري فى موضع آخر إلى عدى الرباب يقول فى تعليقه على قول البحتري :

فغـــير عجيـــب رأيتيـــه أن تـــرى تلـــهب ضـــرب فى شـــوك مُـــبين

: "إن روى (رأيته) على اختلاس الهاء من غير ياء يتبعها ، ولا ياء قبلها ، فهو عند ســيبويه ضرورة ، ومثله قول الهمداني :

فإن يـــك غثـــا أو سمينـــا فـــإنني . ســـأجعل عينيـــه لنفســـه مقنعـــا

وذلك عند الفراء لغة للعرب ، وإن روى (رأيتيه) بياء قبل الهاء ، فهي لغة يقال إنها لعـــدي الرباب يقولون : ضربتيه وأكرمتيه وبعضهم ينشد :

رميتيـــــــه فأصـــــــميت فمـــــا أخطـــــأت الرميـــــة [٥]

وبنو عدى الرباب من تميم [٦] ، مما يعني تأثرهم بطيئ بعد نزوحها من اليمن إلى نجـــد أو

---

[١] رسالة الملائكة ٢١٩ ، ٢٢٠، و الصاهل والشاحج٤٧٤ ،٤٧٨ .

[٢] الجمهرة ٢ / ٧٦٤ (ر ظ ن) .

[٣] اللهجات العربية فى التراث ٦٧٥ .

[٤] روح المعاني ٩ / ٦٠ ، وينظر البحر المحيط ٤ / ٣٨٨ .

[٥] عبث الوليد ٢٢٦ .

[٦] معجم البلدان ٢ / ٣٥٧ .

تأثر طيئ بهم .

والحق أن الإشباع فى أكثره لهجة لبعض العرب ، وليس بابه الشعر أو خاصاً بالضرورة الشعرية ، ومن زعم ذلك فهو مردود عليه بوروده فى القراءات القرآنية ، وليس فى القراءات ضرورة ، ومن ذلك قراءة ابن عامر [أفئيدة] ، وقراءة ابن كثير [إنه من ينقى ويصبر] وقد ذكرهما المعري [١] ، وقراءة الحسن [سأوريكم دار الفاسقين] [٢] ، وقراءة ابن كثير وابن هشام وابن عامر [أرجئهو] بهمزة ساكنة وهاء متصلة بواو الإشباع [٣] ، وقراءة أبى جعفر [وآثاروا الأرض] بمدة بعد الهمزة . [٤]

وهشام وابن عامر وأبو جعفر من أعلم الناس بالقراءة ووجوهها والحسن إمام فى الثقة وفى اللغة ، فلا وجه لدفع ما قرءوا به ، لاسيما وله نظير فى السماع . [٥]

أما عده من قبيل الضرورة الشعرية ، فأكثر الضرورات لهجات عربية يقول د/ الجندي : " وكل هذه الخلافات بين اللغة والضرورة أثارت تقديري واحترامي لهذه الضرورات ــ على أنها أو بعضها يمكن عده من الاستعمالات اللهجية ، والتى كانت يوماً ما منطوقاً بها بين القبائل ، لكنها لما خالفت قواعد النحاة التى صنعوها ــ حكموا عليها بالضرورة حينا أو بالشذوذ حينا آخر ، وبذلك ضيعوا علينا جزءاً كبيراً من اللهجات " . [٦]

لذا قال ابن الجزرى عن قراءة ابن عامر [أفئيدة من الناس] بياء بعد الهمزة ، وقد جاءت هذه القراءة على لغة المشبعين من العرب : " ليست ضرورة بل هي لغة مستعملة " . [٧]

أما عن نسبة الإشباع إلى طيئ وعدى الرباب وهما بدويتان تارة وإلى الحجاز

---

[١] رسالة الملائكة ٢٠٢ وما بعدها ، والفصول والغايات ١ / ١٢٤ .

[٢] المحتسب ١ / ٢٥٨، وروح المعاني ٩ / ٦٠ .

[٣] روح المعاني ٩ / ٢٢ .

[٤] البحر المحيط ٧ / ١٦٠ ، وروح المعاني ٢١ / ٢٣ .

[٥] المحتسب ١ / ١٢١ .

[٦] اللهجات العربية فى التراث ٦٧٧ .

[٧] النشر ٢ / ٢٩٩ ، ٣٠٠ .

تارة ثانية ، فقد تلاقت الكتلتان الشرقية والغربية فى كثير من ذلك ، لاسيما وإن كان الإشباع فى كثير من المواضع هو الأصل ، أو هو رد للأشياء إلى أصولها ، وهذا ما أكده المعرى حين ذكر اختلاف العلماء فى ياء الإشباع ، هل هي ياء زائدة أو أصلية ردت إلى مكانها ، فقال : " قد وجدنا العرب زادوا الألفات والياءات والواوات ، وقد حملوا قراءة ابن كثير (إنه من ينقى ويصبر) على أن الياء بعد القاف حدثت لتمكين الكسرة ، كأنه كان (أنه من يتق ويصبر) كقراءة الجماعة ثم زيدت الياء لأجل الكسرة ، وإلى هذا الرأي ذهب الفارسي ، فأما المتقدمون من البصريين فكانوا يحملون هذا على أنه من رد الأشياء إلى أصولها ، فالياء فى يتقى على رأى من تقدم هي أصلية لأنها لام يفتعل ، وعلى قول الفارسي تكون زائدة ... " . [١]

ويقول فى قول الشاعر [ولا ترضاها] : " المذهب القديم أن الألف هي الأصلية ؛ لأن ردهم الأشياء إلى أصولها عند الضرورات أشبه من اجتذاب ما يستحدث من الزيادات " . [٢]

فكأن الحجاز ، وطيئاً ، وعدى الرباب ، قد حافظوا على الصوت بإعطائه حقه .

أما علة الإشباع : فقد ذكر المعري أنها تمكين الحركة [٣] ، وعلله أحد المحدثين بوقوع النبر على المقطع الأخير ، ويسمى نبر العلو ، ونبر هذا المقطع يقتضي إطالة الحركة حتى يبرز الصوت" . [٤]

والمختار عند أهل الأداء هو التدوير ، أى التوسط بين النوعين : التقصير ، والإطالة أو الإشباع ، مرتلاً مجوداً بلحون العرب وتحسين اللفظ حسب الاستطاعة ، وهو الوارد عن أكثر الأئمة ممن روى مد المنفصل ولم يبلغ فيه الإشباع [٥] .

---

[١] رسالة الملائكة ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، والفصول والغايات ١ / ١٢٣ .

[٢] رسالة الملائكة ٢١٨ .

[٣] رسالة الملائكة ٢٠٥ ، والفصول والغايات ١ / ١٢٤ .

[٤] اللهجات العربية فى التراث ٦٧٣ .

[٥] الشمعة المضيئة ١ / ١٣٠ .

الفصل الثاني

الخصائص الصرفيـــة لبعض البيئات العربية

تختلف اللهجات – أيضا – عن الفصحى المشـــتركة فى صـــوغ بعـــض الكلمات تصحيحا و إعلالا ، أو بنية ، أو تقديما وتأخيرا ، أو قصرا ومدا ، أو تذكيرا وتأنيثا ،وقد وضح ذلك المعري على النحو التالى :

المبحث الأول : التصحيح والإعلال

أولا : اسم المفعول من الأجوف اليائي والواوي :

الأصل في صوغ اسم المفعول من الأجوف الثلاثي يائيا كان مثل باع وكال ، أو واويا مثل قال وصان أن يعل بحذف أحد حروفه أي عينه ، أو واو مفعول الزائدة علـــى خلاف بين العلماء [١]؛ لعدم الجمع بين الساكنين ، وهذا ما عليه العربية الفصحى ، إلا أن من العرب من يصححه فلا يعله فيجمع بين حرفي العلة .

وقد أشار المعري إلى ذلك في موضعين أحدهما موضع العين فيه ياء ، أما الموضع الثاني فالعين فيه واو .

فمن الموضـــع الأول قوله : " واستغنى الناس بمتيـــم وتيـــم فلا يكاد يستعمل المفعول من تام يتيم ، ويجب أن يقال : تامته فهو متيم مثل باعتـــه فهو مبيع ، والذين أتموا يقولون مثل معيوم " . [٢]

ففي هذا النص ذكر المعري أن الفعل الثلاثي اليائي العين مثل تام يصـــاغ اســـم المفعول منه على متيم أي على(مفيل أو مفعل) على اختلاف بينهم مثل مبيع ، إلا أن من العرب من يتمه فيقول فيه متيوم مثل معيوم . وقد أشار إليهم بقوله ﴿ والذين أتموا ﴾ دون أن يحددهم .

---

[١] درة الغواص ١ / ٧٠ ، والشافية في علم التصريف ١٠٣ .

[٢] عبث الوليد ١٦١ .

أما الموضـــع الثاني : فهو ما جاء عن لفظ (مأووفة) التي استعملها البحتري في القصيدة التي أولها :

ما خفت جدى في الصديق يســـوءه ∴ ولكن كثيرا مـــا بخـــاف مزاحـــي

قال : " جاء في هذه القصيدة (مأووفة) ويحتمل أن يكون قالها كذلك ، وإنما القيـــــاس مؤوفة ؛ لأنه يقال أيفت الأشياء فهي مؤوفة ، كما يقال : أيلت فهي مؤولة ، ولو جيء به على الأصل فقيل مأووفة لكان جائزا عند بعض الناس ؛ لأنهم قد حكوا مسك مـــذووف وثوب مصوون ... ولو قال مؤوفة على ما يوجبه القياس لكان سائغا في الوزن " .[١]

ففي هذا النص يشير إلى أن بعض الناس يتمون اسم المفعول من الأجوف الواوي فيقولون : مأووفة ، كما يقولون : مذووف ومصوون .

وفي النصين السابقين يذكر المعري الأصل الذي عليه الفصحى في صوغ اســـم المفعول من الأجوف بإعلاله بالحذف ، ويذكر كذلك مخالفة بعض الناس أو بعض العـــرب لذلك فيصححونه في الصيغتين ولا يحذفون منه شيئاً . دون أن يعزو الظاهرة إلى قبيل معين.

على حين أشارت بعض مصادر اللغة إلى أن إعلال اسم المفعول بحذف أحد حرفي العلة هو لهجة أهل الحجاز سواء أكان واوي العين أم يائيا .[٢]

أما اسم المفعول من الأجوف اليائي مثل مبيع وميكل ومدين ومتيم ، فبنو تمـــيم يصححون فيقولون : مبيوع ومكيول ، ومديون ، ومتيوم [٣]. وقد ورد هذا الإتمام كثيرا في الشعر العربي ، وفي الحديث النبوي الشريف .

فقد جاء في الحديث : " عن علي قال : قال رسول الله ـــ ﷺ ـــ : " اقرأ يس ، فإن في يس عشر بركات ما قرأها جائع إلا شبع ، وما قرأها ظمآن إلا روى .... وما قرأها مديون إلا قضى ... " .[٤]

---

[١] السابق ٧٦ .

[٢] المقتضب ١ / ١٠١ ، والخصائص ١ / ٢٦٠ ، وشرح المفصل ١٠ / ٧٨ .

[٣] الخصائص ١ / ٢٦٠ ، واللسان والتاج (د ى ن) .

[٤] كنز العمال ٢ / ١٣٣ ، ١٣٤ حديث رقم (٤٠٧٥) .

ومن الشعر قول عباس بن مرداس :

قد كان قومك يزعمونك سيدا ∴ وإخال أنك سيد معيون[١]

وقول الإمام الشافعي :

إن الغريب له مخافة سارق ∴ وخضوع مديون وذلة مُوثَق[٢]

أما اسم المفعول من الأجوف الواوي مثل مقول ، ومقود ، ومدوف ، ومصون فقد عزاها ابن الأعرابي إلى تميم[٣] ، ووافقه ابن منظور ، والزبيدي [٤]، وجاء عن الفراء عن الكسائي أن بني يربوع وبنى عقيل يقولون : حلى مصووغ ، ومسك مدووف ، وثوب مصوون ... وهذه الرواية إن صحت عن الفراء فلا تناقض عزوها لتميم كما جاء في اللسان وغيره ، والسبب في ذلك أن بني يربوع : بطن من حنظلة من تميم [٥]، وعلى هذا فالصيغة التامة في تميم وفي إحدى بطونها وهم يربوع . أما عزوها لعقيل . فعقيل غير تميم ، إلا أنهم كانوا يجاورون تميما فتأثروا بها .[٦]

والحقيقة أن إتمام اسم المفعول من اليائي العين أكثر ، من إتمامه من الواوي العين . وذلك لثقل الضمة على الواو ، والياء أقوى على احتمالها منها [٧]. لذا عد بعض العلماء الإتمام في الواوي نادرا ، ولا يأتي إلا في كلمات معدودة [٨]. وجعله سيبويه غريبا وقليلا[٩].

---

[١] اللسان (ع ى ن).

[٢] الديوان صـ ٩٩

[٣] اللسان د ى ن .

[٤] السابق نفسه ، والتاج (د ى ن) .

[٥] معجم البلدان ٥ / ٢١٣ .

[٦] اللهجات العربية في التراث ٥٢٩ بتصرف .

[٧] التاج (د ى ن) .

[٨] إصلاح المنطق ١ / ٢٢٢ ، وليس في كلام العرب ١٨ .

[٩] أدب الكاتب ١ / ٤٧٦ .

وذكر الحريري أنه مما لا يعبأ به ولا يقاس عليه [١]، وعده ابن جني شاذا في القياس والاستعمال جميعا [٢]. خلافا لتصحيح اسم المفعول من اليائي فإنه كثير . كما قال ابن مالك:

نحو مبيع ومصون وندر ∴ تصحيح ذي الواو وفي ذي اليا اشتهر[٣]

كذا قال النيسابوري :

ويكثر التصحيح في مديون ∴ ونحوه وقل في مصوون[٤]

وقد ذكر الخليل أن مدين أجود من مديون . [٥]

ثانيا : قلب الياء ألفا عند طيئ :

وقد أشار إليها المعري في مواضع عدة أحدها قوله : " بعض العرب يسكن ياء الفعل الماضي إذا كانت البنية على فعل أو فعل ونحو ذلك مما يرد إلى ما لم يسم فاعله ، وقد حكاه سيبويه ، وكأنه لغة لبعض العرب وليس بضرورة إلا أن جمهور الكلام على غير ذلك، وبيت عروة ينشد على وجهين :

فياليت عمى يوم فرق بيننا ∴ سَقَى السم ممزوجا بشب يمان

يروى سَقَى على لغة طيئ ؛ لأنهم يجعلون هذه الياء ألفا ، وبعضهم ينشد سُقىَ على اللغة الأخرى " . [٦]

أما الثاني : فقوله في شرحه لبيت البحتري :

ذهب الكرام بأسرهم ∴ وبَقَىْ لنا ليتُ ولو

---

[١] درة الغواص ١ / ٧١ .

[٢] الخصائص ١ / ٩٩ ، ١٠٠ .

[٣] شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٤ / ٢٣٧ .

[٤] الوافية نظم الشافية ٧٢ .

[٥] العين (د ن ى) ٨ / ٧٢ .

[٦] عبث الوليد ١٤٩ .

: " بقى بسكون الياء وقد حكاها الثقات ، وهي أشبه بأبي عبادة من أن يكون استعمل اللغة الطائية فقال (بقا) كما قال زيد الخيل :

فلولا زهير أن أكدر نعمة ∴ لقاذعت كعبا ما بقيت وما بقا

فكأن بعض العرب يسمع لغة بعض فيستعملها في شعره كما قال طفيل الغنوى:

فلما فنا ما في الكنائن قارعوا ∴ بكل رقيق الشفرتين مشطب

قال(فنا) فاستعمل لغة طيء ، وليست من لغة قومه " . [١]

أما الثالث : فقوله : " يحتمل عصاك وجها آخر وهو أن يكون من عصيته بالسيف إذا ضربته وقلبت الياء ألفا على لغة طيء ، كما يقولون : قد رضاه ، يريدون : قد رضيه ، ومتغناه يريدون : متغنية ، وباناة يريدون : بانية ، وأنشد أبو زيد :

وأسمر خطي رضاه ابن عازبة

وأنشد أيضا :

ثم غدت تنفض أحرادها ∴ إن متغناة وإن راعية

يريد : متغنية . وقال آخر :

وما الدنيا بباقاة لحي ∴ ولا أحد على الدنيا بباق

يريد : بباقية . وهو كثير في أشعار الطائيين ... " . [٢]

والرابع : قوله في بيت أبي تمام :

أدفن قتلاها وشو جراحها ∴ وأعلم أن لأزيغ عما مُنَا لها

: " هذه لغة طائية ، ومعناها : قدر لها ، يقال : منى الشيء إذا قدر " . [٣]

وذكر في موطن آخر أن طيئا في قلبهم الياء ألفا إذا تطرفت ، يقلبون كل ما

---

[١] السابق ٢٣٣ .

[٢] رسالة الصاهل والشاحج ٤٠٦ ، ٤٠٧ .

[٣] شرح ديوان الحماسة ورقة رقم (١٠٥) .

جانس هذه الياء وإن كانت في اسم ، أي لا يقتصرون على الفعل الماضي الذي على زنة (فَعل) أو (فُعل) إذ ورد عنهم إبدالها ألفا في الأسماء . يقول في قول الشاعر :

بريح من الكافور والمسك أبرمت ∴ به شُعَب الأوداة من كل جانب

: " الأوداة : الأودية ، قلب الياء ألفا كما يقولون : ناصاة ، يريدون ناصية ، وهي لغة لطيئ . ويفعلون ذلك فيما جانس هذه الياء فيقولون : قوس باناة يريدون بانية على وترها ، وأمة متغناة ، يريدون متغنية ؛ قال امرؤ القيس :

عارض ذوراء من نشم ∴ غير باناة على وتره

... وأنشد أبو زيد :

لقد آذنت أهل اليمامة طيء ∴ بحرب كناصاة الحصان المشهر[1]

ففي النصوص السابقة ذكر المعري أن بعض العرب يسكنون ياء الفعل الماضي المكسور العين مبنيا للمعلوم كان أو للمجهول ، وقبيلة طيء تقلب هذه الياء ألفا بعد أن تفتح ما قبلها فيقولون في بقى : بقا ، وفي دهى ، دها ، وفي رضى : رضا . والأصل في الفصحى أن تقلب الياء والواو ألفا إذا تحركتا وانفتح ما قبلهما بل إنهم يفعلون ذلك في كل ياء متطرفة في فعل كانت أو في اسم كما في ناصاة ، وباناة ، وغيرهما .

كما ذكر المعري أن طفيل الغنوى قد استعمل هذه اللغة الطائية في شعره وهي ليست من لغة قومه فقال (فلما فنا) ، وطفيل من قيس عيلان ، مما يدل على أن هناك بيئات أخرى قد تأثرت بطيء فقلبت الياء أو الواو المتطرفتين المتحركتين ألفا بعد أي حركة كانت . بل إنه نص صراحة على أن قلب الياء ألفا قد وجد في شعر غير الطائيين فقال: "هو كثير في أشعار الطائيين ، وربما وجد في أشعار غيرهم من العرب ، وقد كان جاورهم (امرؤ القيس) فجاء بشيء من هذه اللغة كقوله :

غير باناة على وتره

أي : غير بانية . وكقوله :

---

[1] الفصول والغايات ١ / ٤٣٥ .

لهـــا متنـــان خظاتـــا كمـــا ... أكـــب علـــى ســـاعديه النمـــر

يريد : خظيتا فقلب الياء ألفا . هذا رأي أهل البصرة من أصحاب النظر .." .[١]

وهذا يدل على أنها لغة توجد في طيء ، وفي غيرها ممن جاورها ، إذ اســتعملها طفيل هو من قيس عيلان ، وامرؤ القيس وهو من كندة .

فإذا كان أكثر علماء اللغة قد عزا هذه الظاهرة إلى طيئ وحدها[٢] ، فإن منـــهم أيضا من عزاها إلى غيرها تأثرا بها ، وذلك لورودها على لسان كثير من الشعراء من غـــير طيئ كزهير بن أبي سلمى وهو من مزينة ، والمستوغر بن ربيعة وهو من كعب من سعد من تميم ، وامرئ القيس وهو من كندة . ولذلك عزوها إلى قبائل عدة غير طيء كتميم وأسد وغنى ، من شرق الجزيرة العربية ، وإلى الحارث بن كعب ، وطيء ، وبولان وهم من طيء ، وبني القيس بن جسر من قضاعة وكلها يمانيه ، وإلى مزينة مضر وهي عدنانية .[٣]

فقد ورد على لسان شعراء هذه القبائل ما يفيد وجود هذه الظـــاهرة الطائيـــة الأصل في بيئاتها .[٤]

لذا كان قول أبي حيان ــ في قراءة الحسن البصري ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقـــوا الله وذروا ما بقا من الربا إن كنتم مؤمنين ﴾[٥] : " قرأ الحسن ما بقا بقلب الياء ألفا وهي لغة طيء ، ولبعض العرب . وقال علقمة بن عبدة التميمي :

زها الشوق حتى طل إنسان عينه " .[٦]

ــ لطييء ولبعض العرب دقيقا . وإن عزاها إلى طييء وحدها في أماكن أخرى[١] .

---

[١] رسالة الصاهل والشاحج ٤٠٧ .

[٢] جامع البيان ٩٧/١١ ، والمقاييس (ب ق ى) ، المحكم (ت و ى) ٥٥٠/٩ ،و (ب ن ى) ١٠ / ٥٠ ، واللسان (ب ن ى) ، والمصباح المنير (ب ق ى) ، والتاج (ب ن ى) ، واللهجات العربية في التراث ٥٣٣ وما بعدها.

[٣] اللهجات العربية في التراث ٥٣٢ وما بعدها .

[٤] السابق نفسه ، وبحوث ومقالات في اللغة ٢٣٧ وما بعدها .

[٥] البقرة آية (٢٨٧) .

[٦] البحر المحيط ٢ / ٣٥١ .

وعلل ابن فارس هذه اللغة بقوله : " لغة طيئ بقى يبقى ، وكذلك لغتهم في كل مكسور ما قبلها يجعلونها ألفا نحو بقى ورضا ، وإنما فعلوا ذلك لأنهم يكرهون اجتماع الكسرة والياء فيفتحون ما قبل الياء فتنقلب الياء ألفا . ويقولون في جارية : جاراة ، وفي بانية : باناة ، وفي ناصية : ناصاة . [٢]

ثالثا : قلب ألف المقصور ياء عند إضافته إلى ياء المتكلم :

وقد أشار إلى هذه اللغة أو اللهجة دون أن ينسبها قال : " ومن ذلك القراءة التي تروى عن أبي إسحاق ﴿ فمن تبع هدى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ هذه على لغة من قال هدىّ ، وعلى هذا ينشد قول أبي ذؤيب :

تركوا هوى وأعنقوا لهواهم ∴ فتخرموا ولكل جنب مصرع[٣]

ولو أنشد هواى لم يكن بالوزن بأس ... " . [٤] واستدل عليها أيضا بقول الشاعر :

ألا من مبلغ الحرين عنى ∴ مغلغلة وخص بها أبيا

يطوف بي عكب في معد ∴ ويطعن بالصملة في قفيا[٥]

فهذا لا يمكن إلا على لغة من قال قفى " . [٦]

ففي هذا النص بين المعري أن من العرب من يقلب ألف المقصور ياء ويدغمها في ياء المتكلم عند إضافته إلى ياء المتكلم ، ولم يعزها إلى أحد ، وقد عزاها إلى هذيل كل من أبي جعفر النحاس ، وابن خالويه ، وابن سيده ، وابن يعيش ، والسخاوي ، والرضي ،

---

[١] السابق ٨ / ٦٧ .

[٢] مقاييس اللغة (ب ق ى) .

[٣] البيت في ديوان الهذليين ١ / ٢ (سبقوا هوى) بدلا من (تركوا) .

[٤] رسالة الملائكة ١٨٣ ، ١٨٤ .

[٥] البيتان للمتنخل اليشكري في الأغاني ١٠/١٠،واللسان (ع ك ب)،والتاج (ع ك ب) ، (ص م ل)

[٦] رسالة الملائكة ١٨٥ .

وابن عقيل [١]. وعزاها الفراء إلى بعض قيس وهذيل وبعض بني سليم [٢]. وعزاها الطبري ، والأزهري ، وابن الأثير ، وابن منظور إلى طيئ . [٣]

وعزاها القرطبي إلى عليا مضر [٤]. وعزاها المحدثون إلى طيئ وقيس وبعض بني سليم وفزارة واليشكريين . [٥]

فكأن القبائل السابقة جميعها قد أرادت المناسبة بين الياء والكسرة قبلها والألف لا تتحمل الحركة فقلبوها ياءا لمناسبة الكسرة . قال أبو جعفر النحاس : " هذا وجه جيد في العربية لما كانت الياء يغير ما قبلها بالكسر ، ولم يجز في الألف كسر صير تغييرها قلبها إلى الياء " . [٦] وعلى هذه اللهجة قراءة أبي الطفيل والحسن وابن أبي إسحاق والحضرمي ﴿ يا بشرى هذا غلام ﴾ . [٧]

---

[١] انظر على الترتيب : إعراب القرآن ٢١٦/١ ، ومختصر شواذ القرآن ٦٥ ، والمحكم ٤٥٢/٤ (هـ و ى) ، وشرح المفصل ٢٣٩/٣ ، والمفصل في شرح المفصل ٩٠٩/٢ ، وشرح الكافية ٢٩٣/١ ، وشرح ابن عقيل ٣ / ٩٠ .

[٢] معاني القرآن ٢ / ٣٩ .

[٣] انظر على الترتيب: جامع البيان ١٢ / ١٦٨ ، ومعاني القراءات ٣ / ٧٢ ، والنهاية ٣ / ٢٧ ، واللسان (ق ف ا) .

[٤] الجامع لأحكام القرآن ٧ / ١٥٣ .

[٥] في اللهجات العربية ١٤٤ ،و بحوث ومقالات في اللغة ٢٤٧ ، ولغة هذيل ٧٦ .

[٦] إعراب القرآن ٢ / ١١١ .

[٧] سورة يوسف آية (١٩) ، وروح المعاني ١٢ / ٢٠٣ .

المبحث الثانى

الاختـــلاف فى البنـــية

أولا : الثلاثى الأجوف عند بنائه للمجهول

ذكر المعري أن فى الفعل الثلاثى المعتل العين إذا بنى للمفعول لغتين عن العرب هما ضم أوله ، وكسره ٠وذلك فى قوله : " ومروا بـــ"بُرَيح شبوص " وإذا حمل على ما جرى فى :هدهد و هدى ، فهو شئ بُوصَ٠مأخوذ من البَوص وهو السبق والفوت والتقـــدم ٠ يقال : بيص الرجل ٠ وبوص لغة صحيحة ، إلا أنها لم تأت فى القرآن، وقد حكاها سيبويه ولم ينشد فيها شعرا٠ وذلك أن بعض العرب يقول : قـــول و بـــوع ، فى معـــنى :قيـــل وبيع٠وأنشد الفراء:

وابتذلت غضبى وأم الذيال
وقُول لا أهل له ولا مال

وأنشد الكسائي فى صفة دلو :

مالى إذا أجـــذبها صأيـــت
أكـــبر قد غالنى أم بيـــت
ليت وما ينفع شيئا ليـــت
ليت شبابا بوع فاشتريـــت

يريد: بيع [١]٠

فالمعري فى هذا النص ذكر أن فى الفعل الأجوف الثلاثى لغتين عن العرب عند بنائـــه للمفعول، وأن القرآن الكريم قد قرئ بإحداهما وهى كسر أوله ، ولم يقرأ بالثانية وهى ضم أوله ولم ينسب أيا منهما إلى الناطقين بها٠

والصحيح أن فيه ثلاث لغات مسموعة عن العرب وقد قرئ بها القرآن ، وهى كالتالى :

١. إخلاص كسر أوله: وهو اللغة الفاشية المختارة [٢]٠ ووصفها بعضهم بأنها أفصح

---

[١] الصاهل والشاحج ٦٣٤،٦٣٥

[٢] إبراز المعانى ٣٢١/١

اللغات وأجودها[١] ، أو أعلى اللغات[٢].و بها قرأ أكثر القـــراء.[٣] وعزاهـــا بعضهم إلى هذيـــل وبنى سليم[٤].وعزاهـــا أبوحيان إلى قريـــش ومن جاورها من بنى كنانة .[٥]وكلها بيئات حضرية تؤثر الكسر ؛ لأنه رمز الرقة ، كما هـــو رمز المؤنث.[٦]

٢. إخلاص ضـــم أوله : وبها قـــرأ عيسى بن عمر ، وطلحة بن مصرف قوله تعالى : " سئ بهم "[٧] إذ قرءا "سوء بهم" بالضم و الواو [٨].ووصفت هذه اللهـــجة بأنها أقل اللغات[٩] . وأضعفها[١٠] .ونسبت إلى بنى دبير ، وبنى فقعس وهما من فصحاء بنى أسد[١١].وعزاها أبوحيان إلى هذيل ،وبنى دبير،وذكر أنهـــا لم يقـــرأ بها.[١٢] أى فى المتواتر.

٣. الإشمام:وهو لغة للعرب فاشية فى هذه الأفعال.[١٣] وهو أن ينحى بكسر أوائلها نحو الضمة ، وبالياء نحو الواو، فهى حركة مركبة من حركتين كسر و ضم ؛ لأن هذه الأوائل و إن كانت مكسورة فأصلها أن تكون مضمومة ؛ لأنها أفعال مـــالم يسم فاعله ، فأشمت الضم دلالة على أنه أصل ما يستحقه ، وهو لغـــة للعـــرب

---

[١] الهمع٣/٣١٣

[٢]شرح المفصل١٠/٧٤

[٣] الحجة فى القراءات السبعة ٦٩،و الاتحاف١/١٧١

[٤] معانى القرآن للفراء١/١٧٤، و اللهجات العربية فى التراث٥٧١ .

[٥] البحر المحيط ١/١٩١.

[٦] فى اللهجات العربية ٩١

[٧] سورة هود آية (٧٧)

[٨] البحر المحيط ٧/١٤٦

[٩] المحتسب ١/٣٤٥

[١٠] شرح الأشمونى٢/٦٣

[١١] شرح ابن عقيل ٢/١١٤

[١٢] البحر المحيط١/١٩١، و٧/١٤٦

[١٣] إبراز المعانى١/٣٢١

فاشية ، وأبقوا شيئا من الكسر تنبيها على ما استحقته هذه الأفعال من الاعتلال .[١]

أو هو الإتيان بالفاء بحركة بين الضم والكسر ولا يظهر ذلك إلا فى اللفظ ولا يظهر فى الخط .[٢] وهو لغة كثير من قيس ، وعقيل ومن جاورهم ، وعامة بنى أسد .[٣]

وبها قرأنافع ، وأبوجعفر،وهشام،والكسائى،ورويس،والحسن،والشنبوذى .[٤]

ثانيا : حروف الحلق فى البنية العربية :

أدرك المعري بفكره الثاقب ، وذكائه النادر ، وفطنته الغالبة أن لحروف الحلق طبيعة خاصة فى البنية العربية عند بعض القبائل ، وذلك إذا وقعت فى موضع العين منها أو فى موضع اللام ، إذ تتطلب عند بعض العرب تغيراً ما فى البنية حتى يتحقق الانسجام الصوتي فيها ، فذكر أن بعض العرب يفتحون ثاني البنية الساكن إذا كان حرفاً حلقياً ، أو كانت لامه حرفاً حلقياً ، ويكسرون فاء الكلمة إذا كانت عينها حرفاً حلقياً وجعل ذلك أثراً خاصاً معتداً لحرف الحلق ، وهاك التوضيح :

١- فتح الثاني الساكن لأجل حرف الحلق :

أجاز المعري تحريك أصوات الحلق الساكنة بالفتح إذا وقعت عيناً فى صيغ صرفية معينة ، ومن ذلك الاسم الثلاثي الذى على وزن(فَعْل) أو (فَعْلة) – بفتح الفاء وسكون العين – إذا كانت عينه من أصوات الحلق جاز عنده تحريكها بالفتح ، يقول : " وقد شهر القول فى أن الثلاثي إذا كان أوسطه حرفاً من حروف الحلق الستة أجاز الكوفيون فيه التحريك والإسكان " . [٥]

---

[١] السابق نفسه ،والإتحاف ١٧١/١

[٢] شرح ابن عقيل١١٧/٢

[٣] البحر المحيط ١٩١/١ ، والمجيد فى إعراب القرآن المجيد ٨٢/١، والإتحاف١٧١/١

[٤] الإتحاف١٧١/١

[٥] عبث الوليد ٤٦ ، ٩٠ .

وقال فى قول البحتري :

أشتاقه وهو من قرى العراق علـى تباعـد الـدار وهـو فى شـآمه

حرك الشام،وعند أهل الكوفة أن الاسم الثلاثي المفتوح الأول إذا كان أوسطه حرفاً من حروف الحلق الستة جاز فيه التحريك".[١]

وشرط هذا التغيير فى البنية عنده أن يكون حرف الحلق ثانياً لا أولاً ، يقول : " وليس التغيير لأجل حرف الحلق الذى فى أوله ؛ لأن حرف الحلق إنما يغير هذه الأبنية إذا كان ثانياً مثل كونه فى نَحْز نَحَز ونحوه"[٢] ، وهذا ما أكده المبرد قبله إذ قال : " وإن كان حرف الحلق فى موضع الفاء لم يفتح له شئ ، وذلك أن الفاء لا تكون إلا ساكنة فى (يفعل) وإنما تتحرك فى المعتل بحركة غيرها نحو : يقول ، يبيع " . [٣]

ففيما سبق ندرك أن المعري (رحمه الله) أجاز فى الاسم الثلاثي المفتوح الأول إذا كان أوسطه حرفاً من حروف الحلق ، وجيهن عن العرب هما : فتح الثاني ــ أى حرف الحلق ــ وتسكينه ، دون تقيد بالسماع فى الكلمة الواردة ، وهو مذهب الكوفيين ، والبغداديين ، الذين جعلوا فتح الثاني الساكن لأجل حرف الحلق قياسا مطرداً . [٤]

خلافا للبصريين الذين أنكروا أن يكون لحرف الحلق أثر معتد فى تغيير البنية ، وقالوا : إن حروف الحلق لا تحرك ساكناً ، ولا تسكن متحركاً ، بل لعمرى إنه يراد فيها الإتباع وتجانس الصوت ، فأما تسكين متحرك أو تحريك ساكن فلا يجب لها " [٥] ، وقيدوا فتح حرف الحلق فيما كان كذلك بما سمع عن العرب دون أن يقاس عليه ، أى يقتصر فيه على وروده فى لهجة مسموعة دون أن يجعل أصلا يقاس عليه .

---

[١] عبث الوليد ٢١٥ .

[٢] السابق ٦٢ .

[٣] المقتضب ٢ / ١١٢ .

[٤] المنصف ٥٢٧ .

[٥] الخصائص ٢ / ١١ ، ١٢ ، والمحكم(د ه ر ٤ / ٢٥٥) ، والمحرر الوجيز ١ / ١٤٧ .

ومذهب الكوفيين والبغداديين والمعري معهم ، هو الأولى بالقبول لما يلي :

ـــ أن ابن جني وهو من البصريين قد عدل عن رأيه الذى ساير فيه جمهور البصريين فقالو عن مذهب الكوفيين والبغداديين : " وما أرى القول إلا معهم ، والحـــق إلا فى أيـــديهم ، وذلك أنى سمعت عامة عقيل تقول ذاك ، ولا تقف فيه سائغا غير مستكره ، حتى سمعـــت الشجري يقول : أنا محموم بفتح الحاء ، وليس أحد يدعى أن فى الكلام (مفعول) بفـــتح الفاء ... وسمعت بعضهم وهو يقول فى كلامـــه : ساروا نحوه ، بفتح الحاء و لو كانـــت الحاء مبنية على الفتح أصلاً لما صحت اللام لتحركها وانفتاح ما قبلها ، ألا ترك لا تقول : هذه عصو ، ولا فتو ؟ ولعمري إنه هو الأصل ، لكنه أصل مرفوض " . [١]

- ـــ أن الأصل فى مستقبل الثلاثي أن تخالف حركة عينه حركة عين ماضيه إلا فيمـــا كان ماضيه على (فعَل) بفتح العين فإنهم أجازوا فى مضارعه (يفعَل) بفتح عينه إذا كانت حرفا من حروف الحلق ، وهذا ما أكده ابن درستويه (ت ٣٣٧هـــ) إذ قال : " اعلموا أن كل ما كان ماضيه من الأفعال الثلاثية على (فعلت) بفتح العين ، ولم يكن ثانيه ولا ثالثه من حروف اللين ، ولا حروف الحلق ، فإنه يجوز فى مستقبله (يفعُل) بضم العين ، و (يفعل) بكسرها ، كقولنا : ضرب يضرب ، وشكر يشكر ، وليس أحدهما أولى به من الآخـــر ، ولا فيه عن العرب إلا الاستحسان والاستخفاف ... فإن كان الثاني منه أو الثالث حـــرفا مـــن حروف الحلق ، فإنه يجوز أيضاً فيه الفتح ولا يمنع من الكسر والضم ، لأنهما الأصل ، وإنمـــا يفتح مع حروف الحلق ؛ لأن حروف الحلق مستعلية ، فكره فيها من الحركات مـــا لـــيس بمستعل استثقالاً للجمع بين الصعود والهبوط فى حرف واحد ..." [٢] .

وعد سيبويه (يفعَل) فى مضـــارع (فعَل) هو الشـــائع الجـــاري علـــى ألســـنة الفصـــحاء . [٣]

---

[١] المحتسب ٨٤/١ ، ٨٥ .

[٢] تصحيح الفصيح وشرحه ٣٣ .

[٣] الكتاب ٤ / ١٠١ .

وليس معنى ذلك أن (يفعل) بكسر العين أو ضمها فى مضارع (فعَل) لا يأتي فيما كانت عينه أو لامه حرفا من حروف الحلق ، بل إن (يفعَل) فى مضارع (فعَل) لابد أن تكون عينه أو لامه حرفاً حلقياً مثل نزع ينزع بكسر الزاي . [١]

أما عن نسبة الظاهرة : فلم يعزها المعري إلى قبيلة معينة ، وعزاها ابن جني إلى بني عقيل عامة [٢] ، وعزاها أبو حيان إلى بعض بكر بن وائل ، واستشهد عليها بالبيت :

وإن أمرأ لا يرتجى الخير عنده ... لذو بَخَل على كل من يصاحب [٣]

ولا تناقض فى نسبتها إلى عقيل ، أو إلى بكر بن وائل لقرب الجوار بينهما ، فبنو عقيل كانوا يسكنون البحرين [٤] ، وبنو بكر بن وائل كان يقطنون اليمامة إلى البحرين [٥] ، وقد أشار ياقوت الحموي إلى قرب الجوار بينهما [٦] .

أما علة الفتح فى حروف الحلق أو لأجلها : فهي التناسب بين الفتحة وحروف الحلق ؛ لأن حروف الحلق من حيز الألف ، والفتحة منها [٧] ، فحروف الحلق مستعلية [أى تطلب من الفم أعلاه وهو الحلق] ففتحها أبين لاستعلائها. [٨]

وكلما كان الحرف مستفلا فى الحلق كان الفتح ألزم ــ كالهمزة والهاء ــ والفتح من الألف ، والألف أقرب إلى حروف الحلق من أختيها . [٩]

وقد أيد علم اللغة الحديث هذا التناسب بين الفتح وحرف الحلق لأن الأصوات

---

[١] عمدة القارئ ٣ / ١٠٢ .
[٢] المحتسب ١ / ٨٤ ، ٨٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ .
[٣] البحر المحيط ٣ / ٢٥٧ .
[٤] معجم البلدان ١ / ٤٧٤ ، ٢ / ٤٦ .
[٥] السابق ١ / ٣٤٧ ، ٢ / ٢٢١ ، ٣٥٧ .
[٦] السابق ٥ / ١٦٥ .
[٧] المقتضب ٢ / ١١١ .
[٨] تصحيح الفصيح وشرحه ٣٣ .
[٩] الأصول فى النحو ٣ / ١٠٢ ، ١٠٣ .

الحلقية عندهم تناسب ــ فى الغالب ــ وضعا خاصاً للسان يتفق مع ما نعرفه من موضعه مع الفتحة ، فلهذه الظاهرة التى استرعت انتباه القدماء ما يبرره فى القوانين الصوتية الحديثة . [١]

فتحريك الصوت الحلقي أخف من تسكينه ، إذ أن كل أصوات الحلق بعد صدورها من مخرجها الحلقي تحتاج إلى اتساع فى مجراها بالفم ، فليس هناك ما يعوق هذا المجرى فى زوايا الفم ، ولهذا ناسبها من أصوات اللين أكثرها اتساعا ، وتلك هي الفتحة . [٢]

وعلى هذا فإن فتح حرف الحلق الثاني الساكن وتسكينه لغتان مشهورتان عن العرب الفصحاء ، وبهما معا قرئ قوله تعالى : { وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة }[٣] بفتح الهاء وسكونها ، وقوله تعالى : { إن يمسسكم قرح }[٤] بفتح الراء وسكونها.

(ب) الإتباع لأجل حرف الحلق :

كما يحدث حرف الحلق تغييراً فى بنية الكلمة إذا وقع عيناً أو لاماً ، فإنه كذلك أيضاً قد يحدث تغييراً آخر فى فاء الكلمة ، فتكسر فاء (فعل) ، و(فعيل) بكسر العين الحلقية إتباعاً وتجانساً فى الصوت ، يقول المعرى : "وإذا كان ثاني فعيل أو فعل حرفا من حروف الحلق الستة وهي : الهمزة والهاء ، والعين والحاء ، والغين والخاء ، فإن قبائل كثيرة من العرب يكسرون الحرف الذى قبلها فيقولون : شعير وبعير ونئيم الأسد ، ومثله البئيس ... " . [٥]

فكثير من العرب يكسرون فاء (فعيل وفعل) إذا كانت العين أحد حروف الحلق الستة ، كما ذكر المعري دون أن يحددهم ، أو يعلل لنطقهم البنية على هذه الصورة التى ذكرها .

---

[١] من أسرار اللغة ص٥٠ .

[٢] اللهجات العربية فى التراث ٢٦٣ ، واللهجات العربية فى القراءات القرآنية ١١٣، واللهجات العربية نشأة وتطوراً ٣١٢ .

[٣] سورة البقرة آية (٥٥) .

[٤] سورة آل عمران آية (١٤٠) .

[٥] الفصول والغايات ١ / ٢٣٦ .

وعزاها سيبويه إلى تميم [١] ، ووافقه ابن سيدة ، وصاحب التصريح ، وابن منظور ، والزبيدي [٢] .

وعزاها الخليل إلى تميم ، وسفلى مضر وهم بنو تميم ومن جاورهم من سكان نجد . [٣] على حين عزاها ابن عطية وأبو حيان إلى هذيل . [٤]

أما فتح الفاء فيهما فهو لأهل الحجاز اتباعا لأصل البنية [٥] ، وهي اللغة الفاشية أو الفصيحة . [٦]

أما علة كسر الفاء فيهما : فهي تقريب الصوت من الصوت [٧] وعلله سيبويه بقوله : " ولم تفتح هي ــ (أى حروف الحلق) ــ أنفسها هنا ؛ لأنه ليس فى الكلام فَعَيلُ ، وكراهية أن يلتبس فعل بفَعَل فيخرج من هذه الحروف فعل ، فلزمها الكسر هاهنا ، وكان أقرب الأشياء إلى الفتح " . [٨] وعلله الرضى بثقل الحلقي وخفة الفتحة ، فأُتبعَ فاؤه لعينه فى الكسر . [٩]

على حين علله المحدثون بأن طبيعة الأصوات الحلقية تؤثر فى غيرها ولا تتأثر هي بغيرها ، بل إن أصوات الحلق نفسها يؤثر ما هو أبعد منها عن الفم فيما هو أقرب للفم ،

---

[١] الكتاب ٤ / ١٠٧ .

[٢] انظر على الترتيب:المحكم (هـ ذ ب) ١ / ٢٩٦ ، و التصريح بمضمون التوضيح ٢ / ٩٥ ، واللسان (ب ع ر) والتاج (ب ع ر)

[٣] العين ٣ / ٣٩٨ .

[٤] المحرر الوجيز ١ / ٣٦٦ ، والبحر المحيط ٢ / ٣٣٧ .

[٥] التصريح بمضمون التوضيح ٢ /٩٥ ، والتاج (ب ع ر) .

[٦] العين (هـ ش د) ٣ / ٣٩٨ .

[٧] الخصائص ٢ / ١٤٥ .

[٨] الكتاب ٤ / ١٠٨ .

[٩] شرح الشافية ١ / ٤٠ .

فالحاء مثلاً تتأثر بالهاء ولا تؤثر فيها ، لذا لا تدغم الحاء فى الهاء . [١]

ثالثا : التفديـــم أو التأخـــيرفى البنـــية :

من مظاهر الاختلاف في اللهجات العربية ، اختلافهم في تقديم أو تأخير بعـــض حروف الكلمة ، وهو ما يسميه علماء العربية قلبا مكانيا ، وقد عده ابن فارس سنة مـــن سنن العرب قال : " ومن سنن العرب القلب ، وذلك يكون في الكلمة ، وفى القصة . فأما في الكلمة فقولهم : جذب وجبذ ، وبكل ولبك ، وهـــو كـــثير ، وقـــد صـــنفه علمـــاء اللغة..." .[٢]

وعلى هذا فهو عندهم عبارة عن : تقديم حروف الكلمة على بعض . [٣]

وعرفه المحدثون بقولهم : تقديم وتأخير في بعض حروف اللفظة الواحدة فتنطق على صورتين بمعنى واحد ".[٤]

وتعريف المحدثين أدق ، لأنه بمراجعة الصور التي يأتي عليها القلب المـــكاني عند القـــدامى [٥]. نجد أنه لم يقتصر على تقديم حرف على حرف فقط وإن كان هو الأكثر ، بل منها ما هو تأخير حرف على حرف كتأخير الفاء عن اللام ، كما في الحادي وأصـــله الواحد . [٦]

ولوجوده في العربية الفصحى أسباب عدة [٧]. أهمها : اختلاف اللهجات العربية وهو الأرجح نظرا لوجود بعض كلمات مقلوبة منسوبة إلى بيئتـــها اللهجية[٨] فتميم مثلا

---

[١] لغة تميم ٢١٤ .

[٢] الصاحبي ٣٢٩ .

[٣] شرح الشافية ١ / ٢١ .

[٤] تاريخ آداب العرب للرافعي ١ / ١٨٦ .

[٥] شرح الشافية ١ / ٢١ ، ٢٢ .

[٦] السابق نفسه .

[٧] الفلسفة اللغوية ٥٩ ، واللهجات العربية في التراث ٦٥٤ ، والتطور اللغوي ٨٩ ، ولغة تميم ٣٣٣

[٨] الفلسفة اللغوية ٥٩ .

تقول : طؤوى ، وبنو كلاب يقولون : طوئى [١]، والحجازيون يقولون : طبيخ وغيرهم يقول بطيخ . [٢]

وأكثر ما يكون القلب في الهمزة وحروف العلة عند أهل المقاييس . [٣] إلا أنه يرد في غيرهما كما سنرى عند المعري مثل : ربش في برش . وكما في صاقعة في صاعقة وجذب وجبذ ... إلخ .

آراء العلماء فيه :

اختلف نحاة البصرة والكوفة واللغويون في تفسير الكلمات المتحدة المعنى والحروف المختلفة ترتيبا هل هي من قبيل القلب المكاني أم كل منها أصل مستقل بذاته . وقد أورد أبو العلاء المعري هذا الاختلاف بصورة موجزة فقال :" فأما جذب وجبذ ، ولقم الطريق ولمقه فهو عند أهل اللغة قلب ، والنحويون لا يرونه مقلوبا بل يرون اللفظين كل واحد منهما أصل في بابه ... " . [٤]

فهو- هنا- يجعل الخلاف بين النحويين واللغويين فيذكر أن اللغويين يجعلون كل كلمتين اتحدتا حروفا ومعنى واختلفتا ترتيبا فهما من قبيل القلب المكاني نحو جذب وجبذ .. أما النحويون فلا يعدون مثل جذب وجبذ ولق ولقم من القلب المكاني . وهو كلام مبهم ومجمل ؛ لأن النحويين ــ أيضا ــ اختلفوا فيما بينهم فمنهم من سار على نهج اللغويين وهم نحاة الكوفة . أما البصريون فلا ، إذ قسموا هذه الكلمات المتفقة الحروف والمعنى المختلفة في ترتيب الحروف إلى قسمين بناء على معرفة الأصل منهما والفرع عن طريق التصرف وكثرة الاستعمال . فالكلمتان اللتان حالهما كذلك يكون من قبيل القلب المكاني إذا أمكن الحكم على إحدى الكلمتين بالأصالة ، وعلى الأخرى بالفرعية ، فإذا لم يمكن الحكم بذلك فهما من قبيل اختلاف اللهجات ، وقد وضح ذلك كثير من نحاة البصرة

---

[١] اللهجات العربية في التراث ٦٥٤ .

[٢] دلالة اللفظ أطوارها وأنواعها د / عيد الطيب ٨٩ .

[٣] رسالة الملائكة (٦) .

[٤] رسالة الملائكة ٦ ، ٧ .

كسيبويه ، والمازني ، وابن درستويه ، وابن جني .[١]

وعلى هذا فجذب وجبذ عند البصريين كل منهما أصل مستقل بذاته ليس مقلوبا من صاحبه ؛ لأنهما يتساويان في التصرف والاستعمال إذ تقول جذب يجذب جذبا ، وجبذ يجبذ جبذاً

أما عند اللغويين والكوفيين فهما من قبيل القلب المكاني ، وهما لغتان . قال السيوطي : " القلب الصحيح عند البصريين مثل : شاكي السلاح ، وشائك السلاح ، وجرف هار وجرف هائر . وأما ما يسميه الكوفيون القلب نحو : جبذ وجذب ، فليس هذا بقلب عند البصريين وإنما هما لغتان "[٢] ثم أشار إلى موافقة اللغويين لمذهب الكوفيين فقال : "وأهل اللغة يقولون : إن ذلك كله مقلوب " .[٣]

وأبو العلاء المعري فى كثير من المواضع لم يتضح موقفه من هذه الظاهرة ، فالكلمات التي أوردها وجعلها من قبيل القلب المكاني تكاد تكون موضع اتفاق بين اللغويين والنحويين على اختلافهم ، إذ يتفقون جميعا على جعل الكلمتين المتحدتين لفظا ومعنى مع اختلاف في ترتيب الحروف بينهما من قبيل القلب المكاني إذا تصرفت إحداهما تصرفا كاملا وقصرت الأخرى عنها .

فمن الكلمات المقلوبة التي أوردها :

١ ــ الآراء . يقول : " الأصل أن يكون بعد الراء من الآراء همزة فيقال الأرءاء ويجوز الأراء على القلب كما قالوا الآسار في : الأسئار جمع سؤر أي بقية والقلب في الآراء أوجب ؛ لأن في الكلمة ثلاث همزات " .[٤]

فأصل آراء عنده هو أرءاء بزنة (أفعال) فقدمت العين على الفاء فصار آراء بزنة

---

[١] الكتاب ٤ / ٣٨١ ، والمنصف ٣٦٦ ، والمزهر ١ / ٤٨١ ، والخصائص ٢ / ٧١ ــ ٨٢ .

[٢] المزهر ١ / ٤٨١ .

[٣] السابق نفسه .

[٤] عبث الوليد ٢١ ، ٢٢ .

(أعفال) . يقول ابن فارس : " رأى فلان الشيء ، وراءه وهو مقلوب " . [١]

٢ ــ أيـــس . قال : في تعليقه على بيت البحتري :

فلا تتعجـــب مـــن تماديـــه إنهـــا ∴ صبابة قلب مـــؤيس مـــن نزوعـــه

: " مؤيس هاهنا مقدر على أنه متعد إلى مفعول كأن هذا القلب أيأس صاحبه من الانتقال عما هو عليه كما قال طرفة :

وأيأسني مـــن كـــل خـــير طلبتـــه ∴ كأنا وضـــعناه إلى رمـــس ملحـــد

يقال : أيأسني بتقديم الياء ، وآيسني بنقل الهمزة إلى جنب الهمزة الأولى فتخفف الثانيـــة ، وهذا المعنى أحسن من أن تكون مؤيس في معنى يائس ، وقد حكوا يئس وأيأس بمعـــنى ، ويئس أفصح وأكثر " . [٢]

فآيس عنده مقلوب من أيأس ، إذ تقدمت العين في يأس على الفاء فصار أيـــس بزنة (عفل) ، ويئس هو الأصل عند ابن جني لأمرين أحدهما : أن أيس لا مصدر له ، وإنما المصدر ليئس ، وهو اليأس واليآسة . والآخر أن آيس إذا لم يكن مقلوبا لوجب إعلالـــه ، وأن تقول : إست أآس ، كهبت أهاب . فظهوره صحيحا يدل على أنه إنما صح ؛ لأنـــه مقلوب عما تصح عينه وهو (يئست) لتكون الصحة دليلا على ذلك المعنى . [٣]

كذا ذكر كثير من العلماء هذا القلب كأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـــ) ، والفيومي ، وابن منظور ، والسيوطي . [٤]

٣ ــ ربش . يقول : " أما ربش فمن قولهم : أرض ربشاء ، إذا ظهرت فيهـــا قطع من النبات ، وكأنها مقلوبة من برشاء " . [٥]

---

[١] المقاييس (ر أ ى) .

[٢] عبث الوليد ١٤٠ .

[٣] الخصائص ٢ / ٧٢ ــ ٧٤ بتصرف .

[٤] الإنصاف في مسائل الخلاف ٢ / ٨١٥ ، والمصباح المنير (أ ى س) ، واللسان (أ ى س) ، والهمع ٣ / ٤٨٠ .

[٥] رسالة الغفران ٢١٠ .

فربش عنده مقلوبة من برش ، قدمت العين على الفاء فصار ربش بزنة (عفل) ، فبرش إذاً هو الأصل ، واشتقاقه من برش يبرش برشا فهو أبرش ، والأنثى برشاء ، والجمع برش ، مثل برص برصا فهو أبرص ، وبرصاء وبرص وزنا ومعنى " .[١]

وقد ذكر هذا القلب الخليل بن أحمد وعده لغة فقال : " الأربش لغة في الأبرش".[٢] كذا ذكره ابن منظور فقال : " أرض ربشاء وبرشاء كثيرة العنب مختلف ألوانها" .[٣]

٤ ــ شاك . يقول : " وشائك سلاحه وشاك سلاحه على القلب يجري مجرى قاض، ووزنه (فالع) ؛ لأن اللام قدمت على العين ؛ ومنه قول طريف بن تميم العنبري :

فتعرفوني إنني أنا ذاكم ∴ شاك سلاحي في الحوادث معلم

وأجاز قوم أن يكون أراد شاكاً فأبدل من الكاف الأخرى ياء " .[٤]

فالمعري في هذا النص أجاز في لفظ شاك وجهان : الأول : وهو ما يميل إليه أن شاك مقلوب من شائك قدمت فيه اللام على العين فصار وزنه (فالع) ، الثاني : وهو أن قوما أجازوا أن يكون أصله شاكا بتضعيف الكاف فأبدل أحد المثلين ياء على المخالفة بين المتماثلين كما في تظنيت وأصله تظننت ثم أعل إعلال قاض .

وما ذكره المعري من أن أصل شاك هو شائك ثم حدث فيه قلب مكاني هو الصحيح وعليه إجماع علماء اللغة .[٥]

وقد بين المبرد سبب هذا القلب وعلته إذ يقول نقلا عن الخليل بن أحمد : " قد رأيتهم يفرون إلى القلب فيما كانت فيه همزة واحدة ، استثقالا لها فيقدمون لام الفعل ،

---

[١] المصباح المنير (ب ر ش) .

[٢] العين (ش ر ب) ٦ / ٢٦٠ .

[٣] اللسان (ر ب ش) .

[٤] الفصول والغايات ١ / ٤٦٥ .

[٥] الكشاف ٤ / ٦٧ ، البحر المحيط ٤ / ٤٥٢ ، وخزانة الأدب ٥ / ٧٧ ، ٦ / ٦٧ ، ١٧/٧ ، والمصباح المنير (ش و ك) ، واللسان (ش و ك) .

ويؤخرون الهمزة التي هي عين فيما لا يهمز فيه غيرها ليصير العين طرفا فيكون ياء وذلك قوله :

لاث به الأشاء والعبرى

وقال :

فتعرفوني إنني أنا ذاكمو ∴ شاك سلاحي في الحوادث معلم

يريد : شائك ، أي ذو شوكة ، ... ويمضي على هذا القياس في كل ما كان مثل هذا في واحد أو جمع ... " .[١]

وبالوجهين ورد اللفظ في الشعر العربي الفصيح فمن الأصل وهو شائك قول ابن الرومي :

مازلت تنكؤهم بحد شائك ∴ لم تألهم قرحا ولا تقتيلا [٢]

ومن المقلوب قول الشاعر :

لدى أسد شاكي السلاح مقذف ∴ له لبد أظفاره لم تقلم [٣]

٥ ــ ناء . يقول في بيت البحتري :

سكن لي إذا نأى ناء ليانا ∴ ومنعا فازداد بالبعد بعدا

قال : (نأى) فاستعمله غير مقلوب ، ثم قال (ناء) فاستعمله مقلوبا فوزن نأى (فعل) ، ووزن ناء في الحقيقة (فلع) ؛ لأن الياء في نأى جعلت بعد النون فاعتلت كما اعتلت ألف باع، وهذا داخل في نوع مجيء الشعراء باللغتين في البيت الواحد وهو دون الضرورة ... " .[٤]

فأبو العلاء المعري ــ هنا ــ ينص صراحة على أن القلب المكاني ينشأ عن

---

[١] المقتضب ١ / ١١٥ ، ١١٦ بتصرف .

[٢] ديوان ابن الرومي ١٩٧١/٥ .

[٣] البحر المحيط ٤ / ٤٥٢ .

[٤] عبث الوليد ٨٥ .

اختلاف لغات العرب ، وقد ورد ذلك في شعر الشعراء ، فاستخدم الشاعر لغة أخرى جوار لغة قومه ولم تكن هناك ضرورة تدعو إلى ذلك .

فنأى هو الأصل ، وناء مقلوب عنه ، وهما بمعنى واحد وهو البعد ، وقد استعمل القرآن الكريم اللغتين معا في قوله تعالى : ﴿ وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه﴾[١] يقول الإمام الرازي : " وفي قوله (نأى) قراءات : إحداها : وهي قراءة العامة بفتح النون والهمزة .. وهي اللغة العالية .. وثانيها : قراءة ابن عامر (ناء) وله وجهان : تقديم اللام على العين كقولهم راء في رأى ، ويجوز أن يكون من نأى بمعنى نهض ... " .[٢]

كذا استعمل أبو النجم اللفظ المقلوب وهو ناء فقال :

بل منهل ناء من الغياض [٣]

وأبو النجم من بني عجل بن بكر بن وائل من ربيعة .

ومما يدل على أنه من قبيل اختلاف اللهجات قول الخليل : " العرب تقول نأى فلان ينأى إذا بعد ، وناء عني بوزن (ناع) على القلب . قال : [٤]

إن رآك عتيا لأن جانبه ... وإن رأك فقيرا ناء واغتربا[٥]

وهذا إن دل فإنما يدل على أن القلب المكاني عند النحويين بصريين وكوفيين وعند اللغويين إنما هو مظهر من مظاهر اختلاف اللهجات ؛ لأن البصريين وإن كانوا قد اعتمدوا على الحكم بالأصالة والفرعية إلا أنهم عند التطبيق على كلمات اللغة وجدناهم لا يلتزمون بذلك ، بدليل أن استعمال اللفظين لمق ولقم في الطريق ، عند البصريين لا يعدان من القلب المكاني وإنما هما لغتان يتصرفان تصرفا واحدا ، وبالرجوع إلى كتاب العين

---

[١] سورة الإسراء آية (٨٣) .

[٢] التفسير الكبير ٢١ / ٣٠ .

[٣] حروف المعاني . لأبي القاسم الزجاجي ص١٥ .

[٤] البيت لسهم بن حنظلة في اللسان (ن ى أ) .

[٥] العين ٨ / ٣٩٣ باب اللفيف من النون (ن ا ء) .

للخليل وجدته ينص على أن لقم مقلوب من لمق إذ يقول : " اللمق الطريق . قال رؤبة :

ساوى بأيديهن من قصد اللمق

وهو اللقم مقلوب [١]. ثم ذكر تصرف المقلوب فقال : " لقم يلقم لقما " [٢]

فالمعري (رحمه الله) فيما سبق من أمثلة على هذه الظاهرة كان في تناوله لها كغيره من سابقيه دون أن تظهر براعته اللغوية المتمثلة في كشف بعض أسرار اللغة وخصائصها .

لكننا نجده في موضع آخر يبرز خياله الواسع ، ولبقاته اللغويـــة في اختـــراع أو كشف بعض دقائق العربية ، مما يبرهن على شخصيته اللغوية ، وفكره الثاقب الـــداعي إلى التأمل ، فينفرد ببيان سر القلب في بعض الكلمات خاصـــة الكلمات التي تأتي فيها الهمزة ثم تليها الألف.

أنظر في قوله عن لفظ ملك : " أصل ملك مألك ، وإنما أخذ من الألـــــوكة ، وهي الرسالة ، ثم قلب ، ويدلنا على ذلك قولهم الملائكة في الجمع ؛ لأن الجمـــوع تـــرد الأشياء إلى أصولها . وأنشد قول الشاعر :

فلســـت لأنســـى ولكـــن لمـــلأك ∴ تنزل من جـــو الســـماء يصـــوب

فيعجبه ما سمع فينظر في ساعة لاشتغاله بما قلت فإذا هم بـــالقبض قلـــت : وزن ملك على هذا القول (معل) لأن الميم زائدة ، وإذا كان الملك من الألوكة فهو مقلـــوب من ألك إلى لأك . ووزن الملائكة على هذا (معافلة) ؛ لأنها مقلوبة عن مآلكـــة ومنه قالوا ألكني إلى فلان قال الشاعر : [٣]

ألكني إلى قومي الســـلام رســـالة ∴ بآية ما كـــانوا ضـــعافا ولا عـــزل

وقال الأعشى في المألكة :

أبلغ يزيـــد بـــني شـــيبان مألكـــة ∴ أبا ثبيـــت أمـــا تنفـــك تأتكـــل[٤]

---

[١] العين (ل ق م) ٥ / ١٧٣ .

[٢] السابق نفسه .

[٣] عمرو بن شأس الأسدي ــ أنظر الكتاب ١٩٧/١ .

[٤] رسالة الملائكة ٦ ، ٧ .

ففي هذا النص يذكر أن لفظ (ملائكة) مقلوب عن مآلكة ، قدمت فيه العين إلى موضع الفاء ، أو تأخرت فيه الفاء إلى موضع العين ، واستدل على صحة هذا القلب بمعرفة أصله الاشتقاقي .

أما إبرازه قيمة استعمال المقلوب وهو الملائكة في الفصحى ، وترك استعمال الأصل وهو (المآلكة) وإن كان العكس هو الأصح ، فقد وضحت في قوله : " فكأنهم فروا في (الملائكة) من ابتدائهم بالهمزة ، ثم يجيئون بعدها بالألف فرأوا أن مجيء الألف أولا أخف ، كما فروا من شأى إلى شاء ، ومن نأى إلى ناء . قال عمر بن أبي ربيعة :

بان الحمول فما شأونك نقرة ∴ ولقد أراك تشاء بالأظعان

وأنشد أبو عبيدة :

أقول وقد ناءت بهم غربة النوى ∴ نوى خيتعور ولا تشط ديارك[1]

فكأن العربية قد راعت التجانس بين الحروف ، فقدمت الأخف وهو الألف على الأثقل وهو الهمزة في هذا الصنف من الكلمات ، فأخذت المقلوب الذي هو فرع ، وتركت المقلوب عنه الذي هو الأصل ؛ لأنها لغة قائمة على مراعاة الذوق العربي في اختيار الألفاظ ، وطرائق نطقها ، وملائمتها لما تدل عليه .

فالمعري (رحمه الله) فى هذا الموضع لم يكن مجرد ناقل لآراء غيره ، بل كانت له قدرة فائقة على البحث والتأمل في هذه اللغة الشريفة ، وكان بارعا في تعليل أحكامها ومسائلها واختياراتها.

كما بين المعري أن من الألفاظ المقلوبة ما ليست أصيلة في بابها ، وإنما صارت مقلوبة بعد استعمالها في معنى لفظ آخر يشبهها يتضح ذلك من قوله : " والطاحي : البعيد ، وربما استعمل في معنى الطائح كأنه مقلوب " .[2]

---

[1] رسالة الملائكة ٧ ، ٨ . وقد روى البيت عن يعقوب دون نسبته لقائله في المحكم ٣٩٤/٢ ، ٥٢٩/١٠ ، واللسان (ن ى أ) ، والتاج (ن و ء) ، (خ ت ع ر) .

[2] الفصول والغايات ١ / ٢٤٤ .

فقوله : (ربما استعمل في معنى الطائح) يدل على أن له معنى مستقلا وهو البعيد يختلف عن معنى الطائح وذلك قليل بدليل قوله (ربما استعمل) وهو تعبير يفيد القلة ، وقوله (كأنه مقلوب) دليل على أنه ليس أصلا في المعنى ، وإنما هو على التأويل بالقلب .

والدليل على صحة ما ذكره أن كتب اللغة لم تذكر هذا اللفظ (الطاحي ، الطائح) في الكلمات المقلوبة ، وإنما فرقت بينهما في المعنى ، فذكرت أن معنى الطائح هو الهالك المشرف على الهلاك ، وكل شيء ذهب وفنى فقد طاح يطيح طوحا وطيحا لغتان [١]. أما الطاحي فيطلق عندهم على الجمع العظيم ، والممتد [٢]، ولا يخفى أن كثيرا من الكلمات المقلوبة تخسر معناها الأصلي بالاستعمال فلا يعود يمكننا الجزم بأنها مقلوبة . [٣]والعكس صحيح .

وهنا نستطيع أن نقول إذا وجدت كلمتان اتفقتا في الأحرف ، واختلفتا في الترتيب فإحدى الكلمتين مقلوبة عن الأخرى ، وكل كلمة منهما تمثل لهجة من لهجات العرب في هذه المادة ، فالأكثر شيوعا لهجة عامة العرب ، والأقل شيوعا لهجة إحدى القبائل ميلا منها لتخفيف اللفظ أو للتفنين فيه ، ويحدث في الغالب اعتباطا . [٤]

ويعزو العلماء الكلمات المقلوبة إلى اللهجات البدوية ، فقد ذكر الفراء أن بعض قضاعة يقولون : اجتحى ماله ، في قول العرب : اجتاح ماله . [٥]

كذا نقل صاحب اللسان عن اللحياني أن (عثى للحجازيين ، وعاثٍ لتميم) [٦]، ومن ذلك جذب في اللغة المشتركة ، وجبذ في لهجة تميم [٧]. ومنه : لعمرى في لغة

---

[١] العين (ط ح و) ٣ / ٢٧٨ ، والتهذيب ٥ / ١٢٠ (ط ح و) ، اللسان (ط ح و) .

[٢] اللسان (ط ح و) .

[٣] الفلسفة اللغوية ٥٩ .

[٤] السابق ٥٩ ، ٦٠ .

[٥] معاني القرآن للفراء ٢ / ١٢٤ .

[٦] اللسان (ع ى ث) .

[٧] التهذيب (ج ذ ب) ، واللسان (ج ذ ب) والمصباح المنير (ج ذ ب) .

الحجاز ، ورعملى في لغة تميم [١]، وصاعقة وصواعق في لغة أهل الحجاز ، وصاقعة وصواقع في لغة تميم[٢] وبعض بني ربيعة وبها قرأ الحسن ﴿ من الصواقع حذر الموت ﴾ .[٣]

ونأى في لغة قريش وكثير من العرب ، وناء في لغة هوازن بن سعد بن بكر ، وبني كنانة وهذيل وكثير من الأنصار [٤]. وبها قرأ ابن ذكوان وجعفر بن يزيد بن القعقاع : ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض وناء بجانبه ﴾ . [٥]

ولعل في استدلال أبي العلاء المعري بقول طريف بن تميم العنبري على (شاكى) وهو مقلوب من شائك ما يؤيد نسبة المقلوب إلى أهل البادية ؛ لأن طريف بن تميم العنبري رئيس بني عمرو بن تميم ، وكانت ديارهم في مبايض ، وهو موضع في ديار بني سعد بن زيد بن مناة بن تميم ، وفيها أغارت بنو ذهل بن شيبان ورئيسهم هاني بن مسعود على بني عمرو بن تميم ورئيسهم طريف بن تميم العنبري فقتل حمصيصةُ بن شراحيل ، ويقال حمصيصة ابن جندل بن قنافة الشيباني طريفَ بن تميم ، وانهزمت تميم وتخلت عما كان في أيديها ".[٦]

أما سبب ميل القبائل البدوية إلى استعمال الكلمات المقلوبة فهو ميل القبائل البدوية إلى السرعة في نطقها ، وتلمس أيسر السبل ، مما يجعلها لا تحفل كثيرا بترتيب الحروف [٧]، خلافا لأهل الحضر يقول فندريس : " الإسراف في المدنية هو المبالغة التي يؤدي إليها ولع صحة الكلام عند من يفخر بجمال العبارة " . [٨]

---

[١] المزهر ٢ / ٢٧٧ .

[٢] اللسان ، والتاج (ص ق ع) ، إعراب القرآن ١ / ١٩٤ ، المحرر الوجيز ١ / ١٠٢ ، والبحر المحيط ٢٢٣/١ ، والجامع لأحكام القرآن ١ / ٢١٩ .

[٣] سورة البقرة آية (١٩) ، الكشاف ١ / ١١٨ ، وروح المعاني ١ / ١٧٤ .

[٤] إبراز المعاني ٥٦٤ .

[٥] فصلت من الآية (٤٩) تحبير التيسير في القراءات العشر ١ / ٤٣٩ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢٨٥/٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٥ / ٣٧٣ .

[٦] معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ٤ / ١١٧٩ ، ١١٨٠ .

[٧] في اللهجات العربية ١٣٢ بتصرف .

[٨] اللغة ٨٠ .

المبحث الثالث

المقصـــور والممـــدود

المقصور : هو الاسم المعرب الذي آخره ألف لازمة .[١] والممدود : هو كل اسم كانت في آخره همزة بعد ألف زائدة .[٢]

وهما ضربان من ضروب الأسماء المتمكنة ، إذ الأفعال والحروف لا يقال فيهـــا : مقصور وممدود .

وينقسم كل منهما باعتبار الاطراد وعدمه إلى قسمين قياسي وهو وظيفة النحوي ، وسماعي وهو وظيفة اللغوي إذ مرجعه النقل الوارد عن العرب .[٣]

وهذا النوع الأخير ـــ (السماعي) ـــ كان في حقيقته مظهـــراً مـــن مظـــاهر اختلاف القبائل العربية في نطق أو صوغ الكلمات . فكثير من الكلمات في الأصل ممدودة ثم قصرت عند بعض العرب ، ومنها ما كان في الأصل مقصورا ثم مد عند بعضهم . ممـــا جعل النحاة يختلفون في هذه الصيغ .

وقد عرض المعري (رحمه الله) لموقف النحاة من مد المقصور فقال : " البصريون لا يجيزون مد المقصور في الشعر ، وأجازه غيرهم . قال بعضهم : إذا كان المقصور مقيسا لم يجز مده يعني أن قولنا (الفعلى) إذا كانت أنثى (الأفعل) مثل الكبرى والصغرى لم يجز مدها ، فإذا كان المقصور غير مقيس جاز مده مثل الهدى والنوى إذا أريد به البعد وقوله :

عزمـــي الوفـــاء لمـــن وفـــا ∴ والعـــذر لـــيس بـــه جفـــا

هذا البيت يجوز أن يجعل في المهموز الممدود على أن لا يكون مصرعا ... ".[٤]

---

[١] شرح المفصل ٦ / ٣٦ .

[٢] السابق ٤ / ١٥٠ .

[٣] المقصور والممدود لأبي الطيب الوشاء ٣١ ، وأوضح المسالك ٤ / ٢٩٢ .

[٤] عبث الوليد ٣٤ .

ففي النص السابق يذكر المعري أن النحاة في مد المقصور على ثلاثة مذاهب هي : مذهب البصريين عدم جوازه . ومذهب غيرهم ــ وهم الكوفيون ــ جواز مد المقصور . ومذهب ثالث فصل القول فذكر أن المقصور المقيس أي الوارد على قواعد النحاة لا يجوز مده ، أما المقصور المسموع عن العرب فجائز مثل الهدى والنوى والوفا .

أما موقف المعري من هذه الظاهرة ــ (مد المقصور) ــ فنجده يأخذ برأي الكوفيين في جواز مد المقصور قياسا على إجازتهم زيادة حروف المد واللين في مواضع كثيرة واستدل على ذلك بوروده في الشعر العربي القديم والحديث . يقول في قول الشاعر :

لم تنم عن دعائهم حين نادوا ∴ والقنا قد أسال فيهم قناء

: " مد القنا في آخر البيت وهو من القناة الجارية ، وأصله مأخوذ من التشبيه بالقناة الثابتة . ومد المقصور سائغ عند كثير من أهل العلم ، وقد كثر في أشعار المحدثين فأما الفصحاء المتقدمون فهو في أشعارهم قليل ، وهذا البيت ينشد على مد المقصور :

سيغنيني الذي أغناك عني ∴ فلا فقر يدوم ولا غناء

وقد ادعى على سيبويه أنه أومأ إلى مد المقصور في ضرورة الشعر لما ذكرها في أول الكتاب واستشهد بقول الفرزدق :

تنفي يداها الحصا في كل هاجرة ∴ نفي الدراهم تنقاد الصياريف

والقياس يشهد بأن مد المقصور جائز إذ كانوا قد زادوا حروف المد واللين في مواضع كثيرة " .[1]

فمد المقصور عنده إذا جائز وليس لضرورة الشعر كما ادعى عند سيبويه واستدل أيضا على جوازه بقول البحتري :

وجحاجح الأزد بن غوث حوله ∴ فَرَقاً يهزون اللحاء الشيبا

فقال : " اللحاء بالمد ويجوز أن يكون قاله كذلك وقد مضى القول في مد المقصور ،

---

[1] السابق ٢٦ ، ٢٧ .

ولو رويت اللحى الشيب لكان ذلك وجها جيدا على أن يكون اللحى جمع لحي ، واللحي منبت اللحية ... " [١]. كما استدل بقول البحتري أيضا :

تمر بـــأعلى جرْجراياـــاء صُـــحْبتى ... وقد علموا ما جرْجراياء من عَمْرى

قال : " مد جرجراياء والمعروف قصرها ، وهي من الأسماء الأعجمية ، وليست بالمترددة في الكلام القديم ... وقولهم في النسب جرجرائي يدل على القصر ؛ لأن مثل هذه الكلمة إذا مدت قلبت همزتها التي في آخرها واوا كما يقولـــون في زكريـــا إذا مـــدوه : زكرياوى والنسب باب حذف وتغيير ، فيجوز أن نترك المدة لطول الاســـم ، والشـــعراء يتهاونون بالأسماء الأعجمية ، ويجترئون عليها أكثر من اجترائهم على العربية المحضة " . [٢]

فالمعري قد أجاز ـــ كما سبق ـــ مد المقصور من غير ضرورة تدعو إليه ، إلا أنه قد ذكر أيضا أنه أقل من قصر الممدود وإن كثر في أشعار المحدثين قال : " قصر الممدود ، ومد المقصور في أشعار المحدثين كثير ، فأما أهل الفصاحة الأولى فقليل ذلك فيما نقل عنهم ولكن قصر الممدود يوجد أكثر من مد المقصور " . [٣]

وقد سبقه إلى ذلك أيضا الجاحظ (ت ٢٥٥هـــ) إذ قال : " قصـــر الممـــدود أحسن من مد المقصور " [٤].

أما قصر الممدود فقد أجمع النحويون على جوازه ؛ لأنه رد للاسم إلى أصله من وجه وهو حذف الزائد " . [٥]

وقد أشار إلى ذلك المعري : " أما أفامـــية فإنها تؤدي لفظ قولك : أفاء ماية ، أي : أفاء هذا الحصن مائة غنيمة ، أو مائة جيش أو نحو ذلك . أي جعلهم فيئا . من قوله تعالى : ﴿ وما أفاء الله على رسوله منهم ﴾ [٦]. والنحـــويون لا يختلفون في أن قصـــر مثل هذا

---

[١] عبث الوليد ٣٦ .

[٢] السابق ١٠١ ، ١٠٢ .

[٣] السابق ٢٢٢ .

[٤] الحيوان ٦ / ٤٠٥ .

[٥] اللباب فى علل الإعراب والبناء ٢ / ٩٨ .

[٦] سورة الحشر من الآية (٦) .

جائـــز نحو : أسا ، وأشا " .[١]

كذا قوله : " قوله (شناة) يريد : شناءة ، ضرورة تحسب من قصر الممـــدود "[٢]. وكذا قوله : " الأساقفة ، تحتمل أمرين : أحدهما أن يكون : أسى قفة ، والمعنى حزن الشيخ كبير ... والآخر : أن يكون : أساء قفة . من الإساءة فقصر ـــ على ما مضـــى في أفامية ـــ أي : أساء هذا الشيخ وهو الطاغية " .[٣]كذا قوله : " الوحا : يمد ويقصـــر : السرعة " .[٤]

يلاحظ – مما سبق – أن العرب قد سمع عنهم قصر ما هو ممدود في الأصل ، ومد ما هو مقصور في الأصل ، وأنه في أكثره ليس ضرورة شعرية ، وهذا إن دل فإنما يدل على أنهما من قبيل اختلاف البيئات العربية في صوغ هذه الكلمات المختلف فيها فنطقـــها قوم بالقصـــر ، وآخـــرون بالمد .

والدليل على ذلك أنه قد ورد في القراءات القرآنية ما يدل على ذلك، وليس في القرآن ضرورة . من ذلك قراءة طلحة بن مصرف ﴿ يكاد سناء برقه يذهب بالأبصار ﴾[٥] فمد سنا ، كذا قراءة حمزة والكسائي : ﴿ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاء وخر موســـى صعقا ﴾[٦] فمدا (دكاء) وهو في الأصل مقصور .

فالقراءات القرآنية مرآة صادقة للهجات العرب ، وتمثل بيئة لغويـــة ، وحقـــلا لدراسة اللهجات .

بل إن أكثر الضرورات الشعرية هي لهجات عربية بدليل قول أبي جعفر النحاس ـــ في شرح المعلقات ـــ : (قال الأخفش سعيد بن سعدة ليس شيء يضطرون إليه إلا وهم يرجعون فيه إلى لغة بعضهم . وقال سيبويه : ليس شيء يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به

---

[١] رسالة الصاهل والشاحج ٦٦٢ .

[٢] عبث الوليد ١٤١ .

[٣] رسالة الصاهل والشاحج ٦٨١ .

[٤] الفصول والغايات ١ / ٣١٥ .

[٥] سورة النور من الآية (٤٢) ، والجامع لأحكام القرآن ١٢ / ٢٩٠ .

[٦] سورة الأعراف آية (١٤٣) ، والجامع لأحكام القرآن ٧ / ٢٧٨ ، وإعراب القرآن ٢ / ١٤٨ .

وجها " يعني رده إلى أصله . [١]

وهذا ما أكده المحدثون من علماء اللغة إذ يقول أحدهم : " إن بعض ما سماه النحاة ضرورة شعرية كان استعمالا لهجيا لقبيلة من القبائل التى اعترف النحاة بفصاحتها . غير أن هذا الاستعمال لم يوافق قاعدة من قواعد النحاة ، فآثروا فى هذه الحال ألا يعدلوا من القاعدة ، أو يفصلوا بين الشعر والنثر ، ويجعلوا لكل مستوى من المستويات قواعده الخاصة التى تصف الاستعمالات اللغوية له دون مجاوزة هذا الحد . و لكنهم خلطوا بين اللغة المشتركة التى عليها مدار التقعيد وبين غيرها من اللهجات المختلفة للقبائل التى تستعمل فى المخاطبة اليومية وشئون الحياة ، ولم يدركوا أن اللغة قد تكونت خصائصها من جزئيات جمعتها من لهجات مختلفة و أصبحت هذه الجزئيات لبنات فى صرح كيان جديد هو اللغة المشتركة التى نزل بها القرآن الكريم و قيل بها الشعر ، واستعملت فى المحافل العامة و أسواق الشعر و الخطابة " . [٢]

فقصر الممدود ، ومد المقصور إذاً لهجتان عربيتان ، وقد عزى المد لأهل الحجاز ، أو أهل الحضر ، وعزى القصر إلى بني تميم ، وقيس ، وربيعة ، وأسد ، وبني نمير [٣]. وهو ما يناسب البيئات البدوية ؛ لأنهم يميلون إلى السرعة في النطق فلا يعطون الحروف حقها كاملا في الأداء [٤]. وهذا العزو إنما هو على الأكثر والأغلب ، لا على الاطراد . [٥]

---

[١] المزهر ٢ / ٩٣ ، والكتاب ١ / ٣٢ .

[٢] لغة الشعر (دراسة فى الضرورة الشعرية) ٣٠٨

[٣] التصريح ٢ / ٢٩٣ ، وشرح الأشموني ٤ / ١٠٦ ، واللهجات العربية في القراءات القرآنية ١٦٨ ، واللهجات العربية في معاني القرآن للفراء ٢٩٨ .

[٤] اللهجات العربية في التراث ٥٥٥ ، ٥٥٦ .

[٥] المقصور والممدود لابن السكيت ١٠١ ، ولغة هذيل ٩٧ .

المبحث الرابع

التذكـــير والتأنيـــث

لا خلاف بين العرب في تذكير الأسماء إذا كان المذكر حقيقيا كأسمـــاء الأعـــلام المذكرين العقلاء ، كما أنه لا خلاف بينهم في التأنيث إذا كان المؤنث حقيقيا كأسماء أعلام الإناث . لكن الخلاف يقع بينهم إذا كان المؤنث مجازيا ، كالطريق والسبيل ، والســـوق ونحو ذلك ، فبعضهم يعمد حينئذ إلى التأنيث على حين يعمد بعضهم الآخر إلى التذكير .

وهذا ما وضحه أبو العلاء المعري بقوله : " تذكير المؤنث إذا كان غير حقيقـــي التأنيث جائز ، والحقيقي منه ما كان يلد أو يبيض " . [١]

ثم ذكر المعري أن تذكير المؤنث لهجة عربية عكلية أي لـــبني عكـــل فقـــال في بيت البحتري :

ومهـــيج هيجـــاء يبلـــغ رمحـــه ∴ صف العدى والرمح خمســـة أذرع

: " خمسة أذرع ، ذكر الذراع وهي لغة عكلية والأجود تأنيثها ، واستدل الفراء علـــى تذكير الذراع بقولهم في اسم الموضع أذرعات ؛ لأنه جمع أذرعة ، فهذا جمع ذراع في حال التذكـــير ، ولو كان مؤنثا لقيل أذرع ، وقيل في اسم الموضع أذرعات بضـــــم الـــراء فيجمع الجمع بالألف والتاء ، كما قالوا حدائدات في جمع حدائد . [٢]

وذكر في موطن آخر أن أبا زيد والفراء يجيزن تذكير لفظ (الذراع) فقـــال : "والذراع يذكر في لغة عكل ، حكى تذكيره أبو زيد والفراء " . [٣]

والحق أن العلماء في تذكير (الذراع) على فريقين . سواء أكان المراد به اســـم عضو في الإنسان من طرف المرفق إلى أطراف الأصابع ، أو كان المراد به آلة مـــن الآلات التي تقدر بها المقادير .

فمنهم من قال إن (الذراع) مؤنث ولا يجوز تذكيره كسيبويه ، والأصـــمعي ،

---

[١] عبث الوليد ١٨٥ .

[٢] السابق ١٣٥ ، ١٣٦ .

[٣] الفصول والغايات ١ / ٣٩٧ .

وابن السكيت ، والمبرد ، وأبي جعفر النحاس ، وأبي البركات الأنباري ، وأبي حيان ، والقلقشندي . وغيرهم [١]. واستدلوا على ذلك بقول الشاعر :

أرمي عليها وهي فرع أجمع ∴ وهي ثلاث أذرع وإصبع

كذا قول مرداس بن الحصين :

قصرت له القبيلة إذ تجهنا ∴ وما دانت بشدقها ذراعي

وعللوا ذلك بأن ذراع يجمع على أذرع . قال سيبويه : " كسروه على هذا البناء حين كان مؤنثا يعني أن (فعالا ، وفعالا ، وفعيلا) من المؤنث حكمه أن يكسر على (أفعل) . كما فعلوا ذلك في الأكف " . [٢]

ومنهم من أجاز فيه الوجهين أي التأنيث والتذكير . كالخليل بن أحمد وقد سأله سيبويه عنه فقال : " ذراع كثير في تسميتهم به المذكر ، ويمكن في المذكر فصار من أسمائه خاصة عندهم ، ومع هذا فإنهم يصفون به المذكر فتقول : هذا ثوب ذراع ، فقد يمكن هذا الاسم في المذكر ، ولهذا إذا سمى الرجل بذراع صرف في المعرفة والنكرة ؛ لأنه مذكر سمى به مذكر " . [٣]

كذا أجاز تذكيره الفراء ونسبه إلى بعض عكل ، وابن عصفور ، وابن منظور ، والفيروز أبادي . [٤]

والأصح في ذلك أن يجعل تذكير لفظ (الذراع) خاصة لهجية في بعض بني عكل كما ذكر الفراء ؛ لأن من العرب من يجترئ على تذكير المؤنث إذا لم يكن فيه علامة

---

[١] انظر على الترتيب : أدب الكاتب ١ / ٢٢٦ ، واللسان (ذ ر ع) ، وإصلاح المنطق ٢٩٧ ، والمقتضب ٣ / ٣٦٦ ، وإعراب القرآن ٥ / ٢٣ ، ٢٤ ، والبلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث ٧٢ ، والبحر المحيط ٩ / ٣١٤ ، ٨ / ٣١٤ ، وصبح الأعشى ٢ / ١٥٥ .

[٢] اللسان (ذ ر ع) .

[٣] السابق نفسه .

[٤] انظر على الترتيب : إعراب القرآن ٥ / ٢٤ ، وروح المعاني ٦ / ١٤٨ ، واللسان (ذ ر ع) ، والقاموس المحيط (ذ ر ع) .

تأنيث وقام مقامه لفظ مذكر . كذا قال الفيومي .[١]

ومن ذلك لفظ (العقاب) في قول البحتري :

أو كالعقاب انقض من عليائه ∴ في باقر الصمان أو آرامه

: " كان في الأصل من عليائه وهو الوجه ، وفي الحاشية من عليائها .... وقد حكى تذكير العقاب وهو قليل ... وإنما يحسن تذكير العقاب إذا ذهب مذهب الطائر ؛ لأن تأنيثها تأنيث حقيقة إذا كانت تبيض وتفرخ ، وليس كالأرض والعشية وغيرهما مما لا تأنيث له حقيقي " .[٢]

وعلى هذا فلفظ (العقاب) مما يذكر ويؤنث ، وإن كان الأصل فيه التأنيث وتذكيره محكى عن بعض العرب .

و بمراجعة هذا اللفظ (العقاب) في بعض كتب اللغة نجد أن من العلماء من ذكر أن هذا اللفظ مؤنث لا يجوز تذكيره في جميع أحواله ، كالخليل بن أحمد إذ يقول : " الغالب في العقاب التأنيث ، فلا يقولون أبداً إلا : هذه عقاب ، وانقضت عقاب " .[٣] وكذا الجاحظ ، وأبو البركات الأنباري ، والفيروز أبادى .[٤]

واستدلوا على تأنيثه بأمرين أولهما : وروده مؤنثا في قول أبي ذؤيب .[٥]

ولا الراح راح الشام جاءت سبيئة ∴ لها غاية تهدي الكرام عقابها

والثاني : مجيئه في الجمع على (أعقب) بوزن (أفعل) وهذا البناء يختص به جمع الإناث مثل أعناق وأعنق ، وذراع وأذرع .[٦]

---

[١] المصباح المنير فصل الأعضاء ٢ / ٧٠٢ .

[٢] عبث الوليد ٢١٢ .

[٣] العين (ع ق ب ٨ / ١٧٨) .

[٤] انظر على الترتيب : تاج العروس (ر ن ب) ، والبلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث ص٧٧ ، والقاموس المحيط (ع ق ب) .

[٥] المراجع السابقة نفسها .

[٦] اللسان ، والتاج (ع ق ب) .

ومنهم من أجاز فيه التذكير كالمبرد إذ يذكر أن العقاب يقع على الذكر والأنثى ، وإنما ميز اسم الإشارة كالأرنب .[١]

كذا أجاز فيه الوجهين ابن سيده ، وابن منظور ، والزبيدي .[٢]

والأدق عندي هو ما قاله أبو العلاء المعري من أن (العقاب) في الأصل مؤنث سواء أريد به الراية أو الحرب أو العلم الضخم . ولا يذكر إلا إذا أريد به طائر من العتاق . وقد سبقه إلى ذلك أبو زيد إذ يقول : " العرب تؤنث السراويل وهو اللغة العالية ، فمن ذكر فعلى معنى الثوب ، ويؤنثون العقاب فمن ذكر فعلى معنى الطائر ... " .[٣]

---

[١] التاج (ر ن ب) .

[٢] المحكم ١ / ٢٤٤ ، واللسان والتاج (ع ق ب) .

[٣] الجمهرة (ب ع ق) .

الفصل الثالث

الخصائص النحوية لبعض البيئات العربية

لبعض القبائل العربية عند المعري سمات نحوية ، تختلف عما هي عليه في العربية الفصحى ، سواء كانت هذه السمات متصلة بتراكيب الجمل ، أو باستعمال بعض الأسماء والأدوات النحوية في موضع تستعمل فيه غيرها . وهاك التوضيح .

ا لمبحث الأول : السمات أو الخصائص التركيبية في اللهجات العربية

أولا : إعراب المثنى :

الأصل في العربية الفصحى أن يرفع المثنى بالألف ، وينصب ويجر بالياء كما قال ابن مالك :

بالألف ارفع المثنى وكلا ... إذا بمضمر مضافا وصلا

كلتا كذاك اثنان واثنتان ... كابنين وابنتين يجريان

وتخلف الياء في جميعها الألف ... جرا ونصبا بعد فتح قد ألف [1]

فالمثنى يعرب بالحروف نيابة عن الحركات . وقد اختلف النحاة في كون هذه الحروف حروف إعراب أو دليل إعراب . وهو ما وضحه المعري فى قوله : " رأى سيبويه أن الألف في قولك الزيدان هي حرف إعراب . وقال أبو عمرو الجرمي : الألف حرف الإعراب ، وانقلابها هو الإعراب . وقال الأخفش سعيد : الألف دليل على الإعراب ، وكذلك الاختلاف في واو أخوك ، وياء الزيدين " . [2]

ومن العرب من يخالف ذلك . فقد ذكر المعري أن بني الحارث بن كعب يلزمون

---

[1] شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ١ / ٥٤ ، ٥٥ .

[2] الفصول والغايات ١ / ٧٣ .

المثنى الألف في جميع أحواله رفعا ونصبا وجرا فقال : " ويمرون في قفولهم بـــ(كفر نوران) وإذا قسمناها للفأل وحملناها عليه ، فنوران : تثنية نور ، قال الله تعالى : ﴿ نور على نور ، يهدي الله لنوره من يشاء﴾[١] ، ولو سميت رجلا نورين ، لجاز فيه وجهان : أحـــدهما أن ترفعه في الرفع فتثبت فيه الألف ، وتنصبه وتخفضه بالياء فتقول : جاءني نوران ، ورأيـــت نورين ، ومررت بنورين. والآخر : أن تثبت فيه الألف وتعرب النون فتقول : هذا نوران ، ومررت بنوران . وإنما ذكرت ذلك لأنك إذا أضفت كفرا إلى نوران وفتحت النون فكأنه اسم رجل قد سمى بتثنية نور ، أقرت فيه الألف . ويجوز ألا تجعله اسما لرجل وتجعله تثنيـــة نور على اللغة الحارثية كما قال هوبر بن الحارث :

تـــزود منـــا بـــين أذنـــاه ضـــربة ∴ دعتـــه إلى هـــابي التـــراب عقـــيم

وقال المتلمس :

فأطرق إطراق الشجاع ولو يـــرى ∴ مساعا لناباه الشـــجاع لصـــمما[٢]

ففي النص السابق يذكر المعري أن بني الحارث بن كعب يلزمون المثنى الألـــف مطلقا فيقولون مررت بنوران ، ورأيت نوران ، والأصل نورين ، كما يقولون : تزود منا بين أذنـــاه ، والأصل أذنيه ، ويقولون : مساعا لنابـــاه ، والأصل لنابيه .

وليس ذلك عندهم خاصا بضرورة الشعر بدليل قوله : " كـــان في عزمـــي أن أسألك عما حكاه سيبويه في قولك :

تُواهقُ رجلاهـــا يـــداه ، ورأســـه ∴ لها قَتَـــبٌ خلْـــف الحقيبـــة رادف

فإني لا أختار أن ترفع الرجلان واليدان ، ولم تدع إلى ذلك ضرورة ؛ لأنك لو قلـــت :(تواهـــق رجليها يداه) لم يزغ الوزن ؛ ولعلك إن صح قولك ذلك ، أن تكون طلبت المشـــاكلة ، وهـــذا المذهب يقوى إذا روى (يداها) بالإضافة إلى المؤنث ، فأما في حال الإضافة إلى ضمير المذكر فـــلا قوة له .[٣]

---

[١] سورة النور آية (٣٥) .

[٢] رسالة الصاهل والشاحج ٦٣٦ ــ ٦٨٦ .

[٣] رسالة الغفران ٣٤١ ، ٣٤٢ .

وإذا كان المعري قد اقتصر في نسبتها على بني الحارث بن كعب كما فعل سابقوه أبو زيد الأنصاري ، والفراء ، وابن خالويه ، وابن فارس ، والزمخشري [١] ، فإن من العلماء من عزاها إلى بني الحارث وبطن من ربيعة كابن جني [٢]، ومنهم من عزاها إلى بني الحارث وكنانة وخثعم وهمدان وبني العنبر وبني الهجيم وبني زبيد [٣] ، ومنهم من عزاها بالإضافة إلى ما سبق إلى بكر بن وائل ومزدادة ، وعذرة .[٤] وعزاها أبو حيان إلى القبائل السابقة جميعها، ونقل عن أبي زيد أنه سمع من العرب من يقلب كل ياء ينفتح ما قبلها ألفا[٥]،أى فى مثنى كانت أو فى غيره.

وهذا يدل على انتشار هذه اللهجة في أماكن متعددة من الجزيرة العربية شرقا وغربا ، ولعل ذلك كان أثرا من أثار اختلاط العرب بعضهم ببعض وتجاورهم ولا أدل على صحة هذه اللهجة وفصاحتها من ورودها في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي الشريف . فمن القرآن قوله تعالى : ﴿ إن هذان لساحران ﴾[٦] وقراءة ﴿ فكان أبواه مؤمنان ﴾[٧] ، ومن الحديث قوله ـ ﷺ ـ : " لا وتران في ليلة ".[٨] وإذا كان المبرد قد أنكر هذه اللغة ، فهو محجوج بنقل أئمة اللغة [٩].

---

[١] انظر على الترتيب : النوادر في اللغة ٥٨ ، ومعاني القرآن ٢ / ١٨٣ ، وليس في كلام العرب ٣٣٤، والصاحبي٢٩، والكشاف٣/٧٤ .

[٢] سر الصناعة ٢ / ٢٤٠ ، وعلل التثنية ٥٨ .

[٣] المفصل في شرح المفصل ١ / ١١٤،وفتح الوصيد في شرح القصيد لوحة رقم ١٤٦ ، ١٤٧ ، وفتح القدير ٣ / ٣٧٣.

[٤] همع الهوامع ١ / ٤٠ .

[٥] البحر المحيط ٢٣٨/٦ .

[٦] سورة طه آية (٦٣) .

[٧] سورة الكهف من الآية (٨٠)ونسبت لأبى سعيد الخدري،والجحدري (المحررالوجيز٣/٥٣٦، وروح المعانى١٦/١١

[٨] سنن الترمذي٢/٣٣ حديث رقم ٤٧٠ ، و صحيح ابن حبان ٢٠١/٦

[٩] طرح التثريب في شرح التقريب لزين الدين العراقي ٧ / ٢٦١ .

ثانيا : فتح نون المثنى :

أجاز المعري في قوله (كفر نوران) أن يكون محمولا على مذهب من فتح نون التثنية واستدل على ذلك بقول المفضل :

أعرف منها الجيد والعينانا

ومقلتان أشبها ظبيانا

كما استدل على ذلك بما أنشده الفراء لـ (حميد بن ثور) يصف القطاة:

على أحوذيين استقلت عشية ∴ فما هي إلا لمحة وتغيب

فتح نون أحوذيين وهما الجناحان . وقال الراجز :

أصبح زبْنُ خفش العينيَنه

يحلف لا يرضى بنعجتينَه

ياليته يعطى دُرَيْهِمَينَه

وزعم أصحاب القراءة أن عبد الوارث ــ بن سعيد بن ذكوان العنبري ــ صاحب أبي عمرو بن العلاء ــ قرأ هذه الآية بفتح النون ﴿ أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي ﴾ [١]. [٢]

ففتح نون المثنى مذهب لبعض العرب كما ذكر المعري وإن لم يسمهم واستدل على ذلك بعدد من النماذج الشعرية ، وبقراءة قرآنية كما سبق .

وقد نص ابن هشام الأنصاري ، وابن مالك على أن فتح نون المثنى لغة سواء أكانت النون بعد الياء أو بعد الألف . [٣]

والأصل في حركة نون التثنية أن تكسر ، و فى حركة نون الجمع الذي على حد التثنية أن تفتح، وكلتاهما متحركة بالتقاء الساكنين ، وكانت نون التثنية أولى بالكسر من

---

[١] سورة الأحقاف من الآية (١٧)وهي قراءة أهل المدينةفى الجامع لأحكام القرآن١٩٦/١٦،وفتح القدير ٢٠/٥

[٢] رسالة الصاهل والشاحج ٦٣٦ ــ ٦٣٩ .

[٣] أوضح المسالك ١ / ٦٣ ، وشرح ابن عقيل ١ / ٦٩ ــ ٧٣ .

نون الجمع ؛ لأنها قبلها ألف وهي خفيفة ، والكسرة ثقيلة فاعتدلا ، وقبل نون الجمع واو وهي ثقيلة ، ففتحوا النون ليعتدل الأمر . ... على أن من العرب من فتحها (أي نون التثنية) ـــ في حال الجر والنصب تشبيها بـــ (أين وكيف ...) .[١] وقد عزاها البغدادي إلى بني فقعس[٢]

ثالثا : ما النافـــية بين الإعـــمال والإهـــمال :

كان للعرب في " ما " إذا دخلت على الجملة الاسمية لهجان :

الأول : إهمالها وعدم تأثيرها فيما يليها من مبتدأ وخبر ، فيظلان مرفوعين نحو : ما زيـــد قائم . وهذا منهج بني تميم .

الثاني : إعمالها عمل ليس ، فالمبتدأ الذي يليها يكون مرفوعا ، والخبر يكون منصوبا . نحو : ما زيد قائما . وهذا مذهب أهل الحجاز .

وقد أشار المعري إلى هاتين اللهجتين فقال : " وأما صاحب المعونة فكان مثله مثل (ما) الحجازية بطل عملها فكأنها صارت التميمية ؛ لأنك إذا قلت : ما زيد قائما . فـــ(ما) قد عملت الرفع والنصب . وإذا قلت : ما زيد قائم . فـــ(ما) لم تعمل شيئا " .[٣]

فالمعري ذكر أن ما النافية تعمل عمل ليس في لهجة أهل الحجاز ، على حـــين لا تعمل شيئا فيما بعدها في لهجة أهل تميم .

وإعمال (ما) عمل ليس عند أهل الحجاز أجمع عليه كثير من العلماء[٤] ، أما نســـبة إهمالها إلى تميم فقد اقتصر عليها بعضهم[٥] ، وبعضهم عزا إهمالها إلى أهل نجد عامـــة[٦]،

---

[١] علل التثنية ٨٥ ـــ ٨٧ بتصرف .

[٢] خزانة الأدب ٧ / ٤٢٩ ،٤٣٣.

[٣] رسالة الصاهل والشاحج ٤٤٧ .

[٤] الكتاب ١ / ٥٩ ، والمقتضب ٤ / ١٨٨ ، أسرار العربية ١ / ١٣٩ ، ومنازل الحروف ـــ علي بن عيسى الرماني ٣٧ ، والمحرر الوجيز ٣ / ٢٤٠ .

[٥] الجمل في النحو ١ / ١٢١ ، الكتاب ١ / ٥٩ ، المقتضب ٤ / ١٨٨ ، ومنازل الحروف ٣٧ .

[٦] جامع البيان ١٢ / ٢٠٩ ، وتفسيرالثعلبي ٥ / ٢١٩ ، ومغنى اللبيب ١ / ٣٩٩ .

وعزاها آخرون إلى تهامة .[١]

ولإعمال (ما) عمل (ليس) عند أهل الحجاز شروط معينة ، فإذا افتقد شرط منها بطل عملها .[٢]

رابعا : إلحاق علامة التثنية والجمع بالفعل في أول الجملة :

مذهب جمهور العرب أنه إذا أسند الفعل إلى ظاهر مثنى أو مجموع وجب تجريده من علامة تدل على التثنية أو الجمع فيكون كحاله إذا أسند إلى المفرد فتقول قام الزيدان ، وقام الزيدون ، وقامت الهندات . كما تقول : قام زيد ، ولا تقول على مذهب هؤلاء : قاما الزيدان ، ولا قاموا الزيدون ، ولا قمن الهندات ، فتأتي بعلامة في الفعل الرافع للظاهر على أن يكون ما بعد الفعل مرفوعا به ، وما اتصل بالفعل من الألف والواو والنون حرف تدل على تثنية الفاعل أو جمعه . لذا قال ابن مالك :

وجرد الفعل إذا ما أسند ∴ لاثنين أو جمع كفاز الشهدا [٣]

لكن المعري أشار ــ كما ذكر سابقوه ــ إلى جواز اتصال الفعل بعلامة التثنية أو الجمع للدلالة على تثنية الفاعل أو جمعه.ودلل على ذلك ببيتين من الشعر، قال في قول البحتري :

كدن ينهبنه العيون سراعا ∴ فيه لو أمكن العيون انتهابه

:" في النسخة كدن وهو جائز على أنه رديء ؛ لأن الصواب أن يقال رأته النساء، يؤنث الفعل بالتاء ، أو رآه النساء ، فأما المجيء بالنون في الفعل المتقدم فهو قليل ، وذلك على مذهب من قال أكلوني البراغيث ، ومنه قول الفرزدق :

ولكن ديافى أبوه وأمه ∴ بحوران يعصرن السليط أقاربه

---

[١] إعراب القرآن ٢ / ٣٢٨ .

[٢] أوضح المسالك ١ / ٢٧٤ ، وهمع الهوامع ١ / ٤٤٧ .

[٣] شرح ابن عقيل ٢ / ٨٠ .

ولو قال كاد لجاز وخلص من هذا الوجه .... " .[١]

ففي هذا النص يذكر المعري أن إلحاق علامة الجمع وهي نون النسوة في (كدن) رديء وإن كان جائزا . كذا في (يعصرن) في بيت الفرزدق . على حين أنه ذكر أنه مذهب لبعض العرب .

والصحيح أنه لغة صحيحة واردة عن العرب بل هى الأصل فى اللغات السامية [٢] فكأن من استعملها قد حافظ على الأصل . وعلى هذا يمكن القول أنها ليست رديئة لما سبق ، ولورودها في القرآن الكريم ، وفي الشعر العربي الفصيح كما سبق . وكما في قول الشاعر :

تولى قتال المارقين بنفسه ∴ وقد أسلماه مبعد وحميم[٣]

وقول الآخر :

يلومونني في اشتراء النخيل ∴ أهلي فكلهم ألوم[٤]

ومن القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ ثم عموا وصموا كثير منهم ﴾[٥] وقوله : ﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا ﴾[٦] لذا قال ابن مالك :

وقد يقال سعدا وسعدوا ∴ والفعل للظاهر بعد مسند [٧]

أما عن نسبة هذه الظاهرة فقد عزاها ابن مالك إلى بني الحارث بن كعب .[٨] وعزاها ابن هشام الأنصاري إلى طيئ ، وأزد شنوءة [٩]، كذا عزاها أبو حيان إلى أزد

---

[١] عبث الوليد ٥٩ ، ٦٠ .

[٢] بحوث ومقالات فى اللغة ٢٥١

[٣] شرح ابن عقيل ٢ / ٨١ .

[٤] البيت لأمية بن أبى الصلت فى شرح الأشموني ٢ / ٤٧ .

[٥] سورة المائدة من الآية (٧١) .

[٦] سورة الأنبياء من الآية (٣) .

[٧] شرح ابن عقيل ٢ / ٧٩ .

[٨] السابق ٢ / ٨٠ .

[٩] أوضح المسالك ٢ / ٩٨ .

شنوءة ووصفها بأنها لغة حسنة ، وذلك في ردها على من جعلها شاذة [١]، كذا عزاها إلى طيئ آخرون [٢].

خامسا : إعـــراب الاســـم المنقـــوص

المنقوص هو :ما آخره ياء خفيفة لازمة تلو كسرة كالقاضى والداعى ، بخلاف نحـــو كرسى لتشديدها ...وظبى و رمى لسكون ما قبلها [٣]. ٠

والأصل فى إعرابه أن تحذف ياؤه فى الرفع والجر ويعرب بحركـــة مقـــدرة فيهمـــا ؛ لاستثقال الضمة والكسرة مع الياء٠ وتبقى الياء مفتوحة فى النصب لخفتها [٤]. ٠ لكـــن المعري ذكر أن فى المنقوص المنصوب لغة أخرى هى حذف الياء والإعراب بحركة مقـــدرة قال : " وإن أخذ الطريق الأخرى فإنه يمر بـــ (أرمناز) وهى تؤدى لفظ قولك : أرَم ناز ، أى غلب فسكت.....وإن شئت كان من قولك : ارم ناز ، أى ارم يا مسلم بسهامك أو بعزيمتك نازيا من الأعداء٠ وهذه لغة للعرب يقولون : رميت ناز ، وضربت غاز ٠ وهو على رأى البصريين ضرورة ، وعند الكوفيين لغة . قال الشاعر :

ولو أن واش باليمامة داره وكنت بأعلى حضرموت استرى ليا

وأنشد الفراء :

فكسوت عار جسمه فتركته جذلان جـــاد قميصـــه ورداؤه [٥].

فالمعري (رحمه الله) ذكر فى إعراب المنقوص المنصوب لغتين أولهجتين عن العرب هما : بقاء الياء والإعـــراب بالفتحة الظاهرة وهو ما عليه الفصـــحى ٠ وحـــذف اليـــاء والإعراب بفتحة مقدرة ، وهو عند البصريين ضرورة ، وعند الكوفيين لغة أو لهجة عربية ٠ ورأى الكوفيـــين أرجـــح عندى ؛ لأن أبا حاتم السجستانى أجاز فيه لغة ثالثة وهى

---

[١] البحر المحيط ٦ / ٢٧٥ .

[٢] شرح المفصل ٣ / ١٤٧ ، التصريح ١ / ١٣٨ ، وبحوث ومقالات فى اللغة ٢٥١.

[٣] همع الهوامع ٢٠٨/١.

[٤] السابق نفسه

[٥] الصاهل والشاحج ٦٦١ ، ٦٦٢

بقاء الياء ساكنة والإعـــراب بفتحـــة مقـــدرة دون ضـــرورة تدعـــو إلى ذلك بل إنه يأتى فى الاختيار وعـــدها لغة فصيحة [١]. وخرج عليها قراءة (من أوسط ما تطعمـــون أهاليكم) بسكون الياء [٢]. ووافقه فيها البيضاوى ، وأبو السعود [٣] . قـــال الإمـــام الألوسى معلقا على هذه القراءة : " بسكون الياء على لغة من يسكنها فى الحالات الثلاث كالألف " [٤] تخفيفا أوتشبيها للياء بالألف ، ولم أعثر على نسبتها إلى قبيلة معينـــة مـــن العرب . وحذف الياء وجعل التنوين عوضا عنها أقرب إلى الفصحى من بقاء الياء ساكنة ؛ لأنه الأصل فى المنقوص المرفوع والمجرور ،كما فى غواش وجوار فى غواشـــى وجـــوارى ، فأجرى المنصوب مجراهما ، و لعل المعري قد انفرد بذكر هذه اللغة ؛ لأنى لم أجد لهـــا نظيرا فى كتب اللغة.

---

[١] همع الهوامع ٢١٠/١

[٢] سورة المائدة آية (٨٩) ، والهمع ٢١٠/١ ،وهى قراءة الإمام جعفر بن محمد الصادق (الكشاف ٧٠٦/١)

[٣] تفسير البيضاوى ٣٦١/٢ ،وتفسير أبي السعود ٧٥/٣

[٤] روح المعانى ١٢/٧

المبحث الثانى

الأدوات النـــحويـــة

أولا : استعمال ذو اسما موصولا بمعنى الذي :

الأصل في (ذو) أن تكون اسمـــا من الأسماء الستة ، فترفـــع بالواو ، وتنصب بالألف ، وتجر بالياء بشروط محددة [١] لكن المعري ذكر أنها تأتي في لهجـــة طيـــئ اسمـــا موصولا بمعنى الذي ، قال في قول البحتري :

مهـــلا فـــداك أخـــوك ذو ألهيتـــه ∴ عن لهـــوه وشـــغلته عـــن غمضـــه

: (ذو ألهيته) لغة طيئ ، وإنما اتبع أبا تمام ؛ لأنه كان يقفو أثره ، وبيت حاتم معروف :

إذا ما أتـــى يـــوم يفـــرق بيننـــا ∴ بموت فكـــن يـــارُهم ذو يتـــأخر[٢]

وقال في قول أبي تمام :

فـــإن المـــاء مـــاء أبي وجَـــدي ∴ وجَفْرى ذو حفـــرت وذو طويـــت

: " هذه لغة طيئ (ذو حفرت) أي (الذي حفرت) ، وكذلك (ذو طويت) أقـــول : وهذا البيت من قول سنان بن الفحل الحارثي ، وهو من جملة أبيات جاءت في (الحماسة) . وهو من شواهد النحاة في اسم الموصول (ذو) الطائية وقد ورد في عامة كتب النحو " . [٣]

وقد ذكر أحد الباحثين المحدثين أن استعمال (ذو) اسما موصولا شائع في كـــلام أهل طيئ ومن جاورهم كبني أسد ، ودلل على ذلك بنماذج كثيرة لشعراء من طيئ وأسد ، كما أورد اختلاف الطائيين أنفسهم في إفرادها وثنيتها وجمعها ، وفي إلزامـــها الـــواو مطلقا أو إعرابها . وأرجع ذلك إلى أنها قد استعملت في اللغات السامية اسما موصـــولا ،

---

[١] أنظر : المفصل ١/ ١٤٠ومابعدها ، وأوضح المسالك١/٣٩وما بعدها ، وهمع الهوامع ١/١٣٥وما بعدها

[٢] عبث الوليد ١٢٦ .

[٣] شرح ديوان الحماسة ورقة رقم ٦٨و البيت فى المعجم الوسيط (وبئرى) بدلا من وجفرى

هكذا وردت في لغة الشعر العبرية ، وفي نقش النمارة ، وهو نقش عربي قديم . فهي إذن عند هذه الفرقة تمثل الظاهرة في صورتها القديمة ، وعند ماعداها تعد تطورا لعب فيه القياس اللغوي دوراً كبيراً . [١]

ثانيا : استعمال (إن) في معنى نعم :

ذكر المعري أن بني كنانة يستعملون (إن) في معنى (نعم) وذلك في شرحه لقول أبي عبادة :

إذا اتبع الرمح المركب رأسه ∴ عليه بلعن قلت إن وراكبه

: إن في معنى نعم وهي كثيرة في لغة كنانة ، ومن جاورهم في مكة ونواحيها . وإنما أخذ أبو عبادة هذا المعنى من حديث يروى عن أبي الزبير ، وذلك أن فضالة بن شريك الأسدي قدم عليه وقيل إنه عبد الله بن فضالة ، فسأله عن شيء فلم يسمح له به ، فقال فضالة : لعن الله ناقة حملتني إليك ، فقال ابن الزبير : إن وراكبها ، أي : نعم ولعن راكبها ... " . [٢]

وعلى هذا الاستعمال خرج بعضهم الآية الكريمة : ﴿ إن هذان لساحران ﴾[٣] بمعنى (نعم) ، كذا روى عن رسول الله ــ ﷺ ــ أنه قال في خطبته : " إن الحمدُ لله " فرفع الحمد [٤] ؛ لأن (إن) إذا كانت بمعنى نعم فالجملة التي بعدها تكون مبتدأ وخبرا . [٥] وذلك لأن خطباء الجاهلية كانت تفتتح خطبها بنعم وقال الشاعر في معنى نعم :

قالوا غدرت فقلت : إن وربما ∴ نال العلا وشفى الغليل الغادر[٦]

---

[١] بحوث ومقالات في اللغة ٢٥٢ ــ ٢٥٨ بتصرف .

[٢] عبث الوليد ٥٠ .

[٣] سورة طه من الآية (٦٣) .

[٤] إعراب القرآن ٣ / ٤٤ ، والمحرر الوجيز ٤ / ٥٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ٢١٨ .

[٥] مغني اللبيب ١ / ٥٦ ، ٥٧ ، البحر المحيط ٣ / ٥٤١ .

[٦] إعراب القرآن ٣ / ٤٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ٢١٨ .

وهذا يبطل قول ابن هشام: إن مجيء (إن) بمعنى نعم شاذ حتى قيل إنه لم يثبت.[١]

والصواب هو مجيء إن بمعنى نعم وما بعدها مبتدأ وخبر في لغة كنانة كما ذكر المعري ، وإن كانت لغة قليلة الاستعمال كما ذكر أبو شامة الدمشقي .[٢]

فبمراجعة ما سبق ندرك مدى إلمام أبي العلاء المعري (رحمه الله) بلغات العرب ، ومعرفة طرائق نطقهم الألفاظ ، وفن آدائهم لكلام الله تعالى إدغاما ، أو إمالة ، أو فتحا ، أو وقفا ، أو غير ذلك كما سبق ، كما عرف طرائقهم في صوغ كلماتهم وبنيتهم التي اقتضتها سليقتهم الفطرية السليمة المطابقة لكلام العرب . كما أدرك بحسه الواعي وعمق ثقافته ، ودقة ذهنه ، وحدة فكره أن العرب في تركيبهم الألفاظ في جمل وعبارات ، أو استعمالهم الأدوات اللغوية قد يخالف بعضهم ما عليه الفصحى انتهاجاً لأثر سامي قديم ، أو نهج عربي أقدم من وضع القواعد .

رحم الله أبا العلاء المعري ، وجزاه عن العربية وطلابها وباحثيها خير الجزاء ، بما حفظه لهم من تراث العرب الذاخر بالجواهر ، الممتلئ بالكنوز التى وعاها عقله النابه ، وتدبرها بفكره الثاقب ، والتي لولا هو وغيره من العلماء لذهب عنا أكثر اللغة ، ودق علينا فهمها ، بل فهم كتاب الله ــ عز وجل ــ وحديث رسوله الكريم سيدنا محمد ــ ﷺ ــ .

وأخيرا أقول كما قال المعري :"رب اجعل ذكراك أنسى ، وطاعتك مزاج نفسى ، ولرضاك حركتى وحسى ، فى الدفء والقرس " .[٣]

وصلى اللهم على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين .

---

[١] مغنى اللبيب ١ / ٥٧ .

[٢] إبراز المعاني ٢ / ٥٩٣ .

[٣] الفصول والغايات١/٣٤٧ .

الخاتمـــــة

لكل بحث علمى يهدف يقصد الباحث إلى تحقيقه أو إبرازه ، ومنهج يساعد على ذلك ، وغاية ينتهي إليها تكون بمثابة الخاتمة يبرز فيها الباحث أهم ما توصل إليه من نتائج ، وقد انتهى هذا البحث إلى نتائج عدة أجملها فى الآتي :

١ــ إبراز الفكر اللهجي لأبى العلاء المعري ، فهو عقليـــة حباهـــا الله تعـــالى بالفصاحة والبيان ، والكشف عن غوامض اللغة ، وقد كان رحمه الله من العلماء المبرزين فى هذا الجانب ، إذ فاق كثيرا من سابقيه فى اعتنائه به ، وتلمس السبل إلى الحديث عنه حتى تشعر أنه يقصد إلى ذلك قصداً خلافاً لسابقيه .

٢ــ إعماله العقل فى كثير من التعليلات حتى تشعر أنك أمام فليسوف يطـــوع عقله لاستنباط الأحكام والأقيسة اللهجية ، لما لا وهو فيلسوف متأثر بـــروح عصـــره ، وفكره .

٣ــ سبق المعري بدراسات لهجية متنوعة ، إلا أنه فاق جميع سابقيه – عدا ابـــن جنى – على اختلاف عصورهم فى تناوله لهذه اللهجات فى أمرين :

أولهمـــا : أن سابقيه تناولوا اللهجات عرضا لتعليل بيت شعري ، أو الدفاع عن قراءة قرآنية خالفت ما عليه الفصحى ، أما هو فتجده يورد اللهجات قصداً ، حتى تشعر أنه يقحم الحديث عنها فى كل مناسبة ، وإن لم تكن فى موضعها .

ثانيهمـــا : أنه وإن تأثر بسابقيه فى بعض المواضع عرضاً أو نسبة إلا أنه أضـــاف إلى الفكر اللهجي تعليلات جديدة بارعة تكشف عن عمق ثقافته ، ورجاحة عقله ، وإلمامه بخصائص اللغة وأسرارها لاسيما فى مبحثى الهمز والتسهيل ، و القلب المكاني ، وفى مواضع أخرى كثيرة

٤ــ أدرك المعري بفكره الثاقب ، وذكائه النادر ، وعقله النابه أن العـــرب وإن اختلفت لهجاتهم أحياناً إلا أنهم قد يلتقون فيما اختلفوا فيه ، فمن ذلك أن تخفيف الهمـــز وإن كان عادة لهجية بعيدة عن سمات الفصحى ، فقد يكون سمة من سماتها ، لاسيما إن كان فى قافية بيت شعري تحقيقاً للمناسبة بين القوافي ، ودرءً لعيب شعري ، ساعده على ذلك

معرفته بالشعر العربي والعروض وأبحره ، لما لا وهو شاعر بارع .

٥ــ أدرك المعري أن قرب الجوار بين البيئات العربية ، والاختلاط بينهم يلقى بظلاله فى استعمال الألفاظ أو التراكيب أو الأبنية بين البيئات العربية فيتأثر هذا بهذا ، وهذا بذاك ، بل إنه قد يجمع أحدهما بين اللغتين فى آن واحد .

٦ــ أنه على ما أظهره أبو العلاء المعري من علم و إلمام بكثير من لغات العرب ، ودقة فى العرض و التعليل، و براعة فى الأسلوب إلا أنه يؤخذ عليه أمران هما :

(أ) ــ عد المعري بعضا من الخصائص اللهجية المعروفة من قبيل الشواذ أو النوادر ، ولم يشر إلى كونها لهجات عربية كما فى قطعة طيئ المعروفة . [1]

(ب) ــ ناقض المعري نفسه فى بعض الظواهر اللهجية فعدها ضرورة تارة ولغة تارة ثانية كما فى الإشباع .

---

[1] ينظر : رسالة الملائكة ٢٧٨ ، وعبث الوليد ٧٩ .

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم .

٢. الإبدال ــ أبو الطيب اللغوي ــ تح / عز الدين التنوخي ــ دمشق ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م .

٣. الإبدال ــ يعقوب بن السكيت ــ تح / حسين محمد شرف ــ الهيئة المصرية العامة لشئون المطابع الأميرية ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .

٤. إبراز المعاني من حرز الأماني فى القراءات السبع ــ ابن شامة الدمشقي ــ تح / إبراهيم عطوة ــ مكتبة مصطفى البابي الحلبي .

٥. اتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر ــ البنا الدمياطي ــ تح / أنس مهرة ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ط أولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

٦. الإتقان فى علوم القرآن ــ السيوطي ــ تح / سعيد المندوب ــ دار الفكر ــ بيروت ــ ط أولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .

٧. أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربي ــ د/ عبد الصبور شاهين ــ الخانجي ــ ط أولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .

٨. أدب الكاتب ــ اين قتيبة ــ تح / محمد محيى الدين عبد الحميد ــ مكتبة السعادة ــ مصر ط رابعة ١٩٦٣م .

٩. ارتشاف الضرب من لسان العرب ــ أبو حيان الأندلسي ــ تح د/ مصطفى النماس ــ القاهرة ١٤٠٤هـ .

١٠. أسرار العربية ــ أبو البركات الأنباري ــ تح د/ فخر الدين قباوة ــ دار الجيل ــ ط أولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

١١. الاشتقاق ــ ابن دريد ــ تح/عبد السلام هارون- الخانجى - مصر.

١٢.إصلاح المنطق ــ يعقوب بن السكيت ــ تح / أحمد محمد شاكر ، و/ عبدالسلام هارون ــ دار المعارف ــ القاهرة ط رابعة .

١٣.الأصوات اللغوية ــ د/ إبراهيم أنيس ــ الأنجلو المصرية ١٩٩٥م .

١٤.الأصول فى النحو ــ أبو بكر بن السراج ــ تح د/ عبد الحسين الفتلى ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ ط ثالثة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

١٥.أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن ــ الشنقيطي ــ تح / مكتب البحوث والدراسات ــ دار الفكر ــ بيروت ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

١٦.إعراب القرآن ــ أبو جعفر النحاس ــ تح د/ زهير غازي زاهد ــ عالم الكتب ــ بيروت ــ ط ثالثة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .

١٧.الأمالي فى لغة العرب ــ أبو علي القالي ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .

١٨.الإنصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين أبو البركات الأنباري ــ تح / محمد محيى الدين عبد الحميد ــ دار الفكر ــ دمشق

١٩.أوضح المسالك على ألفية ابن مالك ــ ابن هشام الأنصاري ــ تح / محمد محيى الدين عبد الحميد ــ دار الجيل ــ بيروت ــ ط خامسة ــ ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

٢٠.البحر المحيط ــ أبو حيان الأندلسي ــ تح الشيخ / عادل أحمد عبدالموجود وآخرين ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ط أولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

٢١.بحوث ومقالات فى اللغة ــ د/ رمضان عبد التواب ــ مكتبة الخانجي ــ ط ثالثة ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

٢٢.البداية والنهاية ــ ابن كثير ــ مكتبة المعارف ــ بيروت .

٢٣.البلغة فى الفرق بين المذكر والمؤنث ــ أبو البركات الأنباري ــ تح د/ رمضان

عبد التواب ــ مكتبة الخانجي ــ مصر ــ ط ثانية ــ ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

٢٤.البيان والتبيين ــ الجاحظ ــ تح / فوزى عطوى ــ دار صعب بيروت .

٢٥.تاج العروس من جواهر القاموس ــ محمد مرتضى الزبيدي ــ دار الفكر.

٢٦.تاريخ آداب العرب ــ الرافعي ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ ط رابعة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .

٢٧.تاريخ بغداد ــ الخطيب البغدادي ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت .

٢٨.تجديد ذكرى أبى العلاء ــ د/ طه حسين ــ دار المعارف ــ ط ثامنة .

٢٩.تحبير التيسير فى القراءات العشر ــ ابن الجزرى ــ تح د/ أحمد محمد مفلح القضاة ــ دار الفرقان ــ الأردن ــ عمان ــ ط أولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

٣٠.التحديد فى الاتقان والتسديد فى صنعة التجويد ــ أبو عمرو الداني ــ تح د/ أحمد عبد التواب الفيومي ــ مكتبة وهبة ــ ط أولى ١٩٩٣م .

٣١.تصحيح الفصيح وشرحه ــ ابن درستويه ــ تح / محمد بدوي المختون ــ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ــ القاهرة ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

٣٢.التصريح بمضمون التوضيح ــ الشيخ / خالد الأزهري ــ دار إحياء الكتب العربية .

٣٣.التطور اللغوي التاريخي ــ د/ إبراهيم السمرائي ــ دار الأندلس ــ بيروت ط ثالثة ١٩٨٣م .

٣٤.التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ــ د/ رمضان عبد التواب – الخانجى القاهرة –١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

٣٥.تفسير البغوي ــ تح / خالد عبد الرحمن العك ــ دار المعرفة ــ بيروت

٣٦.تفسير أبى السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)– أبوالسعود

محمد بن محمد العمادى – دار إحياء التراث العربى – بيروت .

٣٧.تفسير البيضاوى – دار الفكر – بيروت .

٣٨.تفسير الثعلبي (الكشف والبيان) ــ أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي النيسابوري ــ تح الإمام / أبي محمد بن عاشور ــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ ط أولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

٣٩.التفسير الكبير ــ الفخر الرازي ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ط أولى ــ ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

٤٠.تهذيب اللغة ــ أبو منصور الأزهري ــ تح / محمد عوض مرعب ــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ ط أولى ٢٠٠١م .

٤١.التيسير فى القراءات السبع ــ لأبي عمرو المراني ــ مكتبة المثنى ــ بغداد .

٤٢.جامع البيان عن تأويل آي القرآن ــ أبو جعفر بن جرير الطبرى ــ دار الفكر ــ بيروت ــ ١٤٠٥هـ .

٤٣.الجامع لأحكام القرآن ــ القرطبي ــ دار الشعب ــ القاهرة .

٤٤.الجانب الصوتي للوقف فى العربية ولهجاتها ــ د/ أحمد طه سلطان ــ مطبعة الأمانة ــ ط أولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م .

٤٥.الجمل فى النحو ــ الخليل بن أحمد ــ تح د/ فخر الدين قباوة ــ ط خامسة ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .

٤٦.جمهرة أشعار العرب ــ أبو زيد القرشي ــ تح / عمر فارق الطباع ــ دار الأرقم ــ بيروت .

٤٧.جمهرة أنساب العرب ــ أبو محمد علي بن حزم ــ تح / عبد السلام هارون ــ دار المعارف ــ مصر ــ ١٩٧٧م .

٤٨.جمهرة اللغة ــ ابن دريد ــ تح / رمزي منير بعلبكي ــ دار العلم للملايين ــ ط أولى ١٩٨٧م .

٤٩.الجواهر الحسان فى تفسير القرآن ــ الثعالبي ــ مؤسسة الأعلى للمطبوعات ــ بيروت .

٥٠.حاشية الخضري على ابن عقيل على ألفية ابن مالك – شرح وتعليق /تركى فرحان المصطفى – دار الكتب العلية – بيروت – ط/ثانية ١٤٢٦/٢٠٠٥ .

٥١.حاشية الشهاب على البيضاوي ــ شهاب الدين الخفاجي ــ دار صادر ــ بيروت .

٥٢.الحجة فى علل القراءات السبع ــ أبو علي الفارسي ــ تح / علي الجدي ناصف ،ود/ عبد الفتاح شلبي ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ثانية ١٤٠٣هـ

٥٣.الحجة فى القراءات السبع ــ ابن خالويه ــ تح / عبد العال سالم مكرم ــ دار الشروق ــ بيروت ــ ط رابعة ١٤٠١هـ ..

٥٤.حجة القراءات ــ أبو زرعة ــ تح / سعيد الأفغاني ــ بيروت .

٥٥.حروف المعاني ــ أبو إسحاق الزجاجي ــ تح / علي توفيق الحمد ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ ط أولى ١٩٨٤م .

٥٦.الحماسة البصرية ــ صدر الدين علي بن الحسن البصري ــ تح / مختار الدين أحمد ــ عالم الكتب ــ بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

٥٧.الحيوان ــ أبو عثمان عمرو الجاحظ ــ تح / عبد السلام محمد هارون ــ دار الجيل ــ بيروت ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .

٥٨.خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ــ عبد القادر البغدادي ــ تح / محمد نبيل طريفي ــ وإميل يعقوب ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ط أولى ١٩٩٨م .

٥٩.الخصائص ــ ابن جني ــ تح / محمد علي النجار ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ ط ثالثة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

٦٠.الدراسات الصويتة عند علماء التجويد ــ غانم قدورى الحمد ــ مطبعة الخلود ــ بغداد ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

٦١.دراسات فى فقه اللغة ــ د/ صبحي الصالح ــ دار العلم للملايين ــ بيروت .

٦٢.دراسات فى فقه اللغة ــ د/ محمد الأنطاكي ــ دار الشرق العربي ــ بيروت ط رابعة .

٦٣.درة الغواص فى أوهام الخواص ــ القاسم بن علي الحريري ــ تح / عرفات مطرجى ــ مؤسسة الكتب الثقافية ــ بيروت ــ ط أولى ١٤١٨هـ .

٦٤.دستور العلماء ــ القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكرى ــ تعريب / حسن هانى فحص ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ط أولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

٦٥.دلالة اللفظ أطوارها وأنواعها ــ د/ عيد الطيب ــ مطبعة الأمانة ٤٠٤هـ /١٩٨٣م .

٦٦.ديوان ابن الرومى – تح د/حسين نصار ، وآخرين – دار الكتب ١٩٧٩

٦٧.ديوان الإمام الشافعى – تح د/محمد عبد المنعم خفاجى – مكتبة الكليات الأزهرية – ط ثانية ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م

٦٨.ديوان الشريف الرضي – دار صادر – بيروت .

٦٩.ديوان الهذليين ــ دار الكتب المصرية ١٩٥٠م .

٧٠.ديوان عمر بن أبى ربيعة – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨

٧١.ديوان لبيد بن ربيعة – دار صادر – بيروت

٧٢.رسالة الصاهل والشاحج ــ أبو العلاء المعري ــ تح د/ عائشة عبدالرحمن دار المعارف ــ ط ثانية ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

٧٣.رسالة الغفران ــ أبو العلاء المعري ــ تح د/ عائشة عبد الرحمن ــ دار المعارف ــ ط سادسة .

٧٤.رسالة الملائكة ــ أبو العلاء المعري ــ المكتب التجاري للطباعة والنشر ــ بيروت .

٧٥.الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ــ مكي بن أبي طالب ــ تح د/ أحمد حسن ــ دار الكتب العربية .

٧٦.روح المعاني فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ــ شهاب الدين الألوسي ــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت .

٧٧.الروض الأنف فى تفسير السيرة النبوية لابن هشام ــ أبو القاسم السهيلي – مكتبة الكليات الأزهرية .

٧٨.الزاهر فى معاني كلمات الناس ــ أبو بكر الأنباري ــ تح د/ حاتم الضامن ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ ط أولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

٧٩.السبعة فى القراءات ــ ابن مجاهد ــ تح د/ شوقي ضيف ــ دار المعارف مصر ــ ط ثانية ١٤٠٠هـ .

٨٠.سر صناعة الإعراب ــ ابن جني ــ تح د/ حسن الهنداوي ــ دار القلم ــ دمشق ــ ط ثانية ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

٨١.سنن الترمذي – محمد بن عيسى الترمذي – تح /أحمد محمد شاكر ،و آخرين – دار إحياء التراث العربى – بيروت ٠

٨٢.السيرة الحلبية فى سيرة الأمين والمأمون – على بن برهان الدين الحلبي –دار المعرفة – بيروت –١٤٠٠.

٨٣.الشافية فى علم التصريف ــ ابن الحاجب ــ تح / حسن أحمد عثمان ــ المكتبة المكية ــ مكة المكرمة ــ ط أولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

٨٤.شرح الأشموني ــ دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي .

٨٥.شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ــ ابن عقيل الهمداني ــ تح / محمد محيى الدين عبد الحميد ــ دار الفكر ــ سوريا ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

٨٦.شرح التنوير على سقط الزند – أبويعقوب يوسف بن طاهر الخويي .

٨٧.شرح ديوان الحماسة ــ المرزوقي ــ تح / عبد السلام هارون ــ لجنة التأليف والترجمة ــ ط أولى ١٣٧٢هـ / ١٩٣٥م .

٨٨.شرح الشافية ــ رضى الدين الاستراباذي ــ تح / محمد نور الحسن وآخرين ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ١٩٧٥م .

٨٩.شرح شواهد العيني على شرح الأشموني ــ دار إحياء الكتب العربية ــ ط أولى بدون

٩٠.شرح القصائد التسع ــ أبو جعفر النحاس .

٩١.شرح الكافية فى النحو ــ رضى الدين الاستراباذي ــ بيروت ــ ط ثانية ١٩٧٩م .

٩٢.شرح المفصل ــ ابن يعيش ــ عالم الكتب ــ بيروت .

٩٣.شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ــ نشوان الحميرى ــ تح د/ و.سترستين ١٩٥١م .

٩٤.الشمعة المضيئة بنشر قراءات السبعة المرضية ــ أبو السعد زين الدين منصور الطبلاوي ــ تح د/ علي سيد أحمد جعفر ــ مكتبة الرشد ــ السعودية ــ ط أولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م .

٩٥.الصاحبي فى فقه اللغة ــ ابن فارس ــ تح / السيد أحمد صقر ــ دار إحياء الكتب العربية ــ مصر .

٩٦.صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ــ القلقشندي ــ تح / عبد القادر زكار وزارة الثقافة ــ دمشق ١٩٨١م .

٩٧.الصحاح ــ الجوهري ــ تح / أحمد عبد الغفور عطار ــ دار العلم للملايين ــ بيروت .

٩٨.صحيح ابن حبان – محمد بن حبان البستى – تح /شعيب الأرنؤوط – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط / ثانية ١٤١٤/١٩٩٣

٩٩.صحيح مسلم ــ بشرح النووي ــ أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ ط ثانية ١٣٩٢هـ .

١٠٠. الصناعتين الكتابة والشعر ــ أبو هلال العسكري ــ تح / علي محمد البجاوي ، و / محمد أبو الفضل إبراهيم ــ المكتبة العصرية ــ بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

١٠١. ضرائر الشعر ــ ابن عصفور الإشبيلي ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ط أولى ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

١٠٢. طرح التثريب فى شرح التقريب ــ زين الدين العراقي ــ تح / عبدالقادر محمد علي ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ط أولى ٢٠٠٠م .

١٠٣. ظاهرة التخفيف فى النحو العربي ــ د/ أحمد عفيفي ــ الدار المصرية اللبنانية ــ ط أولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

١٠٤. عبث الوليد ــ أبو العلاء المعري ــ مكتبة النهضة المصرية ــ ط ثامنة .

١٠٥. العربية وخصائصها وسماتها ــ د/ عبد الغفار هلال ــ مطبعة الجبلاوي مصر ــ ط رابعة ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

١٠٦. علل التثنية ــ ابن جني ــ تح د/ صبيح التميمي ــ مكتبة الثقافة الدينية ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .

١٠٧. عمدة القارى شرح صحيح البخاري ــ بدر الدين العيني ــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت .

١٠٨. العين ــ الخليل بن أحمد ــ تح د/ مهدي المخزومي ، ود/ إبراهيم السامرائي ، مكتبة الهلال .

١٠٩. غريب الحديث ــ ابن الجوزى ــ تح د/ عبد المعطي أمين القلعجى ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ط أولى ــ ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

١١٠. غريب الحديث ــ أبو عبيد القاسم بن سلام ــ تح د/ محمد عبد المعيد خان ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ ط أولى ١٣٩٦هـ .

١١١. الفائق فى غريب الحديث ــ الزمخشري ــ تح / علي محمد البجاوي ، ود/ محمد أبو الفضل إبراهيم ــ دار المعرفة ــ لبنان ــ ط ثانية .

١١٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري ــ ابن حجر العسقلاني ــ تح / محب الدين الخطيب ــ دار المعرفة ــ بيروت .

١١٣. فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير ــ الشوكاني ــ دار الفكر ــ بيروت .

١١٤. فصول فى فقه العربية ــ د/ رمضان عبد التواب ــ الخانجي ــ مصر ط ثالثة ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .

١١٥. الفصول والغايات فى تمجيد الله والمواعظ ــ أبو العلاء المعري ــ تح / محمد حسن زناتي ــ المكتب التجاري ــ بيروت .

١١٦. فقه اللغة ــ د/ علي عبد الواحد وافي ــ دار نهضة مصر ــ القاهرة.

١١٧. فقه اللغة وسرالعربية ــ الثعالبي ــ مطبعة الاستقامة ــ القاهرة .

١١٨. الفلسفة اللغوية ــ جورجي زيدان ــ دار الهلال ــ القاهرة .

١١٩. فى اللهجات العربية ــ د/ إبراهيم أنيس ــ الأنجلو المصرية .

١٢٠. القاموس المحيط ــ الفيروز آبادي ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب .

١٢١. القواعد والإشارات فى أصول القراءات ــ أحمد بن عمر الحموي ــ تح د/ عبد الكريم محمد الحسين بكار ــ دار القلم ــ دمشق ط أولى ١٤٠٦هـ

١٢٢. الكتاب ــ سيبويه ــ تح / عبد السلام محمد هارون ــ دار الجيل ــ بيروت ــ ط أولى .

١٢٣. الكتاب المصنف فى الأحاديث والآثار ــ أبو بكر عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة ــ تح / كمال يوسف الحوت ــ مكتبة الرشد ــ الرياض ــ ط أولى ١٤٠٩هـ .

١٢٤. الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل أو وجوه التأويل ــ الزمخشري ــ تح / عبد الرازق المهدي ــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت .

١٢٥. الكشف عن أحكام الوقف والوصل ــ د/ محمد سالم محيسن ــ دار الجيل بيروت ــ ط أولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

١٢٦. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها ــ مكي بن أبي طالب ــ تح/ محيى الدين رمضان ــ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .

١٢٧. الكفاية فى علم الرواية ــ الخطيب البغدادي ــ تح / أبو عبد الله السوري ــ وإبراهيم حمدي المدني ــ المكتبة العلمية ــ المدينة المنورة .

١٢٨. الكليات ــ أبو البقاء الكفوى ــ تح / عدنان درويش ، و / محمد المصري مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

١٢٩. كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ــ علاء الدين بن حسام الهندي ــ تح / محمود عمر الدمياطي ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ط أولى ١٤١٩هـ /

١٩٩٨م .

١٣٠. اللامات ــ أبو القاسم الزجاجي ــ تح د/ مازن المبارك ــ دار الفكر ــ دمشق ــ ط ثانية ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

١٣١. اللباب فى علل الإعراب والبناء ــ أبو البقاء العكبري ــ تح د/ عبدالإله النبهان ــ دار الفكر ــ دمشق ــ ط أولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .

١٣٢. اللباب فى علوم الكتاب ــ ابن عادل الدمشقي ــ تح الشيخ / عادل أحمد عبد الموجود وآخرين ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ط أولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

١٣٣. لزوم ما لا يلزم (اللزوميات) – أبوالعلاء المعري – دار صادر – بيروت

١٣٤. لسان العرب ــ ابن منظور ــ دار صادر ــ بيروت ــ ط أولى .

١٣٥. اللغة ــ فندريس .تر ــ د/ عبد الحميد الدواخلي ، ود/ محمد القصاص طبعة لجنة البيان العربي ، ١٩٥٠م .

١٣٦. لغة تميم ــ د/ ضاحي عبد الباقي ــ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

١٣٧. لغة الشعر دراسة فى الضرورة الشعرية–د/ محمد حماسة عبداللطيف–دار الشروق القاهرة – ط /أولى ١٤١٦/١٩٩٦

١٣٨. اللغة العربية معناها ومبناها ــ د/ تمام حسان ــ عالم الكتب ــ ط ثالثة ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م .

١٣٩. لغة قريش ــ مختار الغوث ــ دار المعراج الدولية ــ الرياض ــ السعودية ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .

١٤٠. لغة هذيل ــ د/ عبد الجواد الطيب .

١٤١. لهجات العرب ــ دراسة تحليلية ــ د / محمد عبد الحفيظ العريان ــ مطبعة أبناء وهبة حسان ــ ط أولى ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .

١٤٢. اللهجات العربية فى التراث ــ د/ أحمد علم الدين الجندي ــ الدار العربية للكتاب ــ ١٩٨٣م .

١٤٣. اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ــ د/ عبده الراجحي ــ دار المعرفة ــ الإسكندرية .

١٤٤. اللهجات العربية فى معاني القرآن للفراء ــ د/ صبحي عبد الحميد ــ دار الطباعة المحمدية ــ ط أولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

١٤٥. اللهجات العربية نشأة وتطوراً ــ د/ عبد الغفار هلال ــ مكتبة وهبة ــ ط ثانية ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .

١٤٦. ليس فى كلام العرب ــ ابن خالويه ــ تح د/ أحمد عبد الغفور عطار ــ مكة المكرمة ــ ط ثاية ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

١٤٧. مجالس ثعلب ــ تح / عبد السلام هارون ــ القاهرة ١٩٦٠م .

١٤٨. مجمع الأمثال ــ أبو الفضل الميداني ــ تح / محمد محيى الدين عبد الحميد ــ دار المعرفة ــ بيروت .

١٤٩. المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ــ ابن جني ــ تح / علي النجدي ناصف وآخرين ــ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ــ القاهرة ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .

١٥٠. المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ــ ابن عطيه الأندلسي ــ تح / عبد السلام عبد الشافي محمد ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ط أولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

١٥١. المحكم والمحيط الأعظم ــ ابن سيدة ــ تح / حسن هنداوي ــ دار الكتب

العلمية ــ ط أولى ٢٠٠٠م .

١٥٢. مختصر شواذ القرآن ــ ابن خالويه ــ مكتبة المتنبي ــ القاهرة .

١٥٣. المخصص ــ ابن سيده ــ دار الكتاب الإسلامي ــ القاهرة .

١٥٤. مدخل إلى فقه اللغة ــ د/ أحمد محمد قدور ــ دار الفكر المعاصر ــ بيروت ــ ط أولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

١٥٥. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ــ الملا على القارى ــ تح / جمال عيتانى ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ط أولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

١٥٦. المزهر فى علوم اللغة وأنواعها ــ السيوطي ــ تح / محمد جاد المولى وآخرين ــ المكتبة العصرية ــ بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .

١٥٧. مشارق الأنوار على صحاح الآثار ــ القاضي عياض ــ دار التراث .

١٥٨. مشكل إعراب القرآن ــ مكي بن أبي طالب ــ تح / حاتم الضامن ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ ط ثانية ١٤٠٥هـ .

١٥٩. مشكلة الهمزة العربية ــ د/ رمضان عبد التواب ــ الخانجي ــ ط أولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

١٦٠. المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير ــ للرافعي ــ تح / أحمد بن محمد ابن علي الفيومي ــ المكتبة العلمية ــ بيروت .

١٦١. المصنف ــ أبو بكر بن عبد الرازق الصنعاني ــ تح / حبيب الرحمن الأعظمى – المكتب الإسلامي ــ بيروت ــ ط ثانية ١٤٠٣هـ .

١٦٢. معاني القراءات ــ أبو منصور الأزهري ــ تح د / عيد مصطفى درويش ود/ عوض القوزى ــ دار المعارف ــ ط أولى ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

١٦٣. معاني القرآن ــ أبو جعفر النحاس ــ تح / محمد على الصابوني ــ جامعة أم

القرى ــ ط أولى ١٤٠٩هـ .

١٦٤. معاني القرآن ــ الأخفش ــ تح د/ عبد الأمير محمد أمين الورد ــ عالم الكتب ــ بيروت ــ ط أولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

١٦٥. معاني القرآن ــ الفراء ــ تح د/ فائز فارس ــ ط ثانية ــ الكويت ١٩٨١م.

١٦٦. معجم البلدان ــ ياقوت الحموي ــ دار الفكر ــ بيروت .

١٦٧. المعجم الكامل فى الفصحى ولهجاتها ــ د/ داود سلوم ــ عالم الكتب ــ ط أولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

١٦٨. معجم قبائل العرب ــ عمر رضا كحالة ــ المطبعة الهاشمية ــ دمشق ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م .

١٦٩. المعجم الكبير ــ الطبراني ــ تح / حمد بن عبد المجيد السلفي ــ مكتبة الزهراء الموصل ــ ط ثانية ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م .

١٧٠. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ــ عبد الله بن عبد العزيز البكري ــ تح / مصطفى السقا ــ عالم الكتب ــ بيروت ــ ط ثالثة ١٤٠٣هـ .

١٧١. مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ــ ابن هشام الأنصاري ــ تح د/ مازن المبارك ، ود/ محمد علي حمد الله ــ دار الفكر ــ دمشق ــ ط سادسة ١٩٨٥م

١٧٢. المفصل فى صنعة الإعراب ــ الزمخشري ــ تح د/ علي أبو ملحم ــ مكتبة الهلال ــ بيروت ط أولى ١٩٩٣م .

١٧٣. مقاييس اللغة ــ ابن فارس ــ تح / عبد السلام هارون ــ دار الجيل بيروت

١٧٤. المقتضب ــ المبرد ــ تح / محمد عبد الخالق عضيمه ــ عالم الكتب ــ بيروت .

١٧٥. مقدمتان فى علوم القرآن [كتاب المباني فى نظم المعاني ، ومقدمة

ابن عطية] نشرهما آرثر جفرى ــ مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٤م .

١٧٦. المقصور والممدود ــ ابن السكيت ــ تح د/ محمد محمد سعيد ــ مطبعة الأمانة ــ ط أولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

١٧٧. المقصور والممدود ــ أبو الطيب الوشاء ــ تح د/ رمضان عبد التواب ــ الخانجي ١٩٧٩م .

١٧٨. الممتع فى التصريف ــ ابن عصفور ــ تح / فخر الدين قباوة ــ حلب ١٩٧٠م .

١٧٩. من أسرار اللغة ــ د/ إبراهيم أنيس ــ الأنجلو المصرية ــ ط سابعة ١٩٩٤م .

١٨٠. منازل الحروف ــ علي بن عيسى الرماني ــ تح د/ إبراهيم السامرائي ــ دار الفكر ــ عمان .

١٨١. المنصف ــ ابن جني ــ تح / أحمد عبد القادر عطا ــ دار الكتب العلمية بيروت ــ ط أولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .

١٨٢. النشر فى القراءات العشر ــ ابن الجزرى ــ مطبعة مصطفى محمد .

١٨٣. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب – أحمد بن محمد التلمساني – تح د/.إحسان عباس – دار صادر – بيروت

١٨٤. نهاية القول المفيد فى علم التجويد ــ الشيخ / محمد مكي نصر ــ طبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٤٩هـ .

١٨٥. النهاية فى غريب الحديث والأثر ــ ابن الأثير ــ تح / طاهر أحمد الزاوي و / محمود محمد طناحي ــ المكتبة العلمية ــ بيروت ــ ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

١٨٦. النوادر فى اللغة ــ أبو زيد الأنصاري ــ تح د/ محمد عبد القادر أحمد دار الشروق ــ بيروت ــ ط أولى ١٤١٠هـ / ١٩٨١م .

١٨٧. همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع ــ السيوطي ــ تح / عبد الحميد هنداوي ــ المكتبة التوفيقية ــ مصر .

١٨٨. الوافية نظم الشافية ــ النيسابورى ــ تح / حسن أحمد العثمان ــ المكتبة المكية ــ ط أولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

ثانياً : المخطوطات والدوريات :

١. شرح ديوان الحماسة ــ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٤٥ .

٢. الظواهر اللغوية فى معاني القراءات للأزهري ــ رسالة دكتوراه للباحث بكلية اللغة العربية بأسيوط .

٣. فتح الوصيد فى شرح القصيد ــ علم الدين السخاوي ــ دار الكتب المصرية ــ تفسير تيمور ٢٥٥ .

٤. مجلة الجامعة الإسلامية ــ المدينة المنورة ــ العدد ١١٧ لسنة ١٤٢٢هـ بحث باسم (لغات الأزد) .

٥. مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط ــ العدد ٢٦ لسنة ٢٠٠٧ بحث باسم (الدلالة الصوتية عند ابن جني) .

٦. المجيد فى إعراب القرآن المجيد ــ تح / إبراهيم بن محمد الصفاقسي تح / عبد العزيز أحمد إسماعيل ــ وعلي محمود النابى فى رسالتى دكتوراه بكلية اللغة العربية بالقاهرة رقم ١٢٧٨ لسنة ١٩٧٨م ، ورقم ١٢٤٥ لسنة ١٩٧٨م .

٧. المفضل فى شرح المفصل ــ علم الدين السخاوي ــ تح / محمود محمد السيد الدريني ــ رسالة دكتوراه بالمكتبة المركزية لجامعة الأزهر برقم (٣٣١١) .